المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة
قسم التربيةالإسلامية والمقارنة





دراسة تحليلية نقدية من منظور التربية الإسلامية

بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراة

في الأصول الإسلامية للتربية

اعداد الطالب

صالح بن محمد صغير بن مقبل

اشراف

سعادة الدكتور محمود بن محمد بن عبدالله كسناوي

مقدم لقسم التربية الإسلامية و المقارنة

كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الفصل الدراسي الثاني - لعام ١٤١٦هـ .

الجزء الثاني



مبدأ التربية للعلم

تمهيد

أولا - مبدأ التربية للعلم من خلال الاستراتيجية

ثانيا - مبدأ التربية للعلم من منظور التربية الإسلامية

– تمهيد:

تناول محررو الاستراتيجية هذا المبدأ تناولا متعددا في ثنايا التقرير، ويعتبر هذا المبدأ من المبادئ المهمة التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم، وفي هذه السطور سوف يلجأ الباحث إلى تناول هذا المبدأ مقسما إياه إلى فقرات متنوعة ليسهل فهمه وتقريبه إلى الأذهان ولتكون الصورة واضحة عنه لدى القارئ والمطلع على هذه الدراسة.

أولا : مبدأ التربية للعلم من خلال الاستراتيجية.

وسيتحدث الباحث عن هذا المبدأ ويبين رأى محرري الاستراتيجية فيه ثم يناقش هذه الآراء في ضوء تصور التربية الإسلامية لهذا المبدأ.

١- الحركة العلمية:

يؤكد التقرير على أن الحركة العلمية ليست وليدة العصر بل لها جذور تاريخية، فأ«صول تلك الحركة الفكرية تمتد إلى الحضارات القديمة، التي كان الوطن العربي مهدا لها، وأرست الحضارة العربية الإسلامية بعض أسسها التجريبية». (ص١٩).

ثم يستطرد المحررون مؤكدين على أن التطور العلمي للحركة لم يحدث إلا في مطلع العصر الحديث وبالتحديد «فإن تطور نموها قبل حوالي ثلاثة قرون قد آدى إلى ما يسمى بالثورة الصناعية الأولى وكان من ثمارها في القرن الثامن عشر أن ولدت من القوى ما يستبدل قوى الإنسان الجسمية ويضاعفها مرات عديدة، غير أن الثورة العلمية التقنية الثانية التي تزايدت في اعقاب الحرب العالمية الثانية قد تجاوزت النطاق الجسمي إلى النطاق العقلي ومكنت الإنسان من إنشاء الآلات التي تنهض بالعمليات العقلية وحل معضلاتها وخزن المعلومات عنها ونقلها واستثمارها على صورة عقلانية على حظ كبير من التعقيد». (ص١٩).

إن الحركة العلمية قد ساهمت في تذليل العقبات وقدمت خدمات للإنسان في مختلف حياته «غير أن مصادرها الرئيسية سواء من حيث ابتكار مفاهيمها العلمية أو من حيث اختراع تقنياتها وانتاجها واستثمارها ما تزال حكرا على الدول المتقدمة، إلى حد بعيد». (ص ١٩).

ويرى التقرير أن الإسلام له دور كبير في تنمية الحركة العلمية وتطورها فقد «كان ظهور الإسلام نقطة انطلاق لنشر الدين الجديد بتربية جديدة» وقد «كان الإقبال

على تعلم القرآن ومبادئ الدين واستيعاب مفاهيم العقيدة الجديدة سبيلا رئيسيا إلى التعليم وتطور القراءة والكتابة والمعروف أن أولى آيات القرآن الكريم كانت أمرا بالقراءة وتمجيدا للعلم » . (ص ٥٨).

وتطبيقا لمبدأ القراءة والتعليم كان «الرسول ﷺ يكلف المتعلمين من الصحابة بتعليم إخوانهم تعليما يتناول تفقيههم في الدين وتعليمهم القراءة والكتابة أحيانا» . (ص ٥٩).

لقد كان محو الأمية من أهم الأمور التي يسعى إليها المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ومن هنا يجد المسلم أن أول معركة بين الحق والباطل كانت تهدف إلى مثل هذا فأسرى «بدر قد اتيح لهم الفداء بأن يقوم كل واحد من المتعلمين منهم بتعليم عشرة من المسلمين وكانت تلك أول محاولة لمحو الأمية بين الكبار» . (ص ٥٩).

ليس هذا فحسب بل «كانت دار ابن أبي الأرقم أول مدرسة لتعليم الكبار ينشئها الرسول» . (ص ٥٩).

وهذا يدل على أن التعليم يعتبر حقا وواجبا على كل مسلم وكان لتأكيد القرآن أثر في ذلك وكذلك أحاديث الرسول ﷺ إذ إن أمور العبادات ومعرفتها ضرورة لكل ناشئ في الإسلام ومن هنا أصبح طلب العلم فريضة على كل مسلم وألزم علماء المسلمين الآباء بتعليم أبنائهم وأصبح تعليم الصغار واجبا مفروضا على الآباء . (ص٥٩).

وبما أن الإسلام في نظر محرري الاستراتيجية ثورة حضارية فقد تولد عنها حركة تاريخية كبرى و«نشاط بارز في الحياة الثقافية والعلمية للأمة تجلى أولا في مجتمع المدينة نفسها وما لبث أن انتشر إلى الأمصار بعد فتحها» . (ص ٤٧).

لقد «كان النشاط الثقافي في المدينة أساسا لحركات ثقافية وعلمية ظلت تتزايد في الأمصار وتنتشر في شرق الوطن العربي ثم في مغربه حتى بلغت أوج ازدهارها بين القرن الرابع والسادس الهجري على وجه التقريب» (ص ٤٧).

إن الحركة التعليمية مرت بثلاث مراحل متداخلة «فمرت بعهد انطلاق وتأسيس، وعهد نمو وترسيخ وعهد نضج وازدهار» (ص ٤٧).

إن من يدقق النظر في تاريخ الحركة العلمية يجد أن المسلمين الأوائل أثروا

الحركة العلمية ثراء لا نظير له حيث برز علماء في مختلف التخصصات التي كان المجتمع الإسلامي يفتقدها وظل نمو هذه الحركة في تزايد حتى وصلت إلى القمة ثم خبا نورها وانطفأ سراجها بسبب الخلود إلى الراحة وتوقف العقل المسلم عن الإبداع والابتكار بسبب انتشار الطرق الصوفية ومحاربة الاجتهاد وهذه الأمور أدت في النهاية إلى ركود وجمود الحركة التعليمية وتوقفها عن العطاء والنماء. (ص٤٧-٥٣).

وفي العصر الحاضر يجد المرء أن المجددين ممن تثقفوا بالثقافة الأجنبية هم الذين سعوا إلى التوفيق بين الإسلام والعلم وكان لهؤلاء المجددين أمثال: "قاسم أمين" و"محمد عبده" دور كبير في النهوض بالحركة العربية «وكان لهم من دوافعهم الوطنية والذاتية ما حملهم على الاضطلاع برسالة تكوين ثقافة تلائم الأمة العربية . . . لتستعيد مكانتها في مجالات الفكر وتعبر عن طموحها في طلب التغيير». (ص٨١).

ويوضح التقرير أن المجددين هم الذين اعتنوا بدراسة التراث دراسة نقدية مميزة واستطاعوا أن يوفقوا بين الإسلام والعلم الحديث حيث لم يعد التجديد «مقصودا منه مجرد احتذاء الثقافة الغربية والإقبال عليها والاقتباس منها وإنما حسن الاختيار والمفاضلة بين عناصرها . . . وعدم الوقوف عندها، بل جعلها منطلقا إلى الإبداع والابتكار بنماذج فيها تعبير عن ذاتية الأمة وتأصيل لثقافتها، فأصبح المجددون أهل فهم ونقد وابتكار وإبداع». (ص ٨٢).

ويحدد التقرير الغاية من العلم فيرى «إن العلم في جوهره أسلوب في التفكير ومنهج للنظر في الأمور وهو محايد من حيث القيم والغايات وإنما يربطه من يعتمده ويستثمره بهذا النظام من القيم أو ذاك وبهذه الغاية أو تلك من غايات الإنسان، فيكون للشر والدمار كما يكون للخير والإعمار والأمة العربية إنما تريد العلم لخير الإنسان ولغايات تستمدها من عقائدها وما فيها من القيم السليمة والروح العلمية ومناهجها والقيم الثقافية الإنسانية ليست أمورا غريبة عنها بل هي ماثلة في أصول عقائدنا . . . والحق أن الطبيعة الإنسانية عامة قادرة على استيعابها حيثما واتتها ظروف البيئة الصالحة والتربية السوية وتلتقي عندها الفطرة الخالصة والنفس الخيرة والعقل الحصيف». (ص ٢٠).

ويؤكد التقرير على أن الاتصال بالحضارات الأخرى لم يتوقف بل العقل العربي استفاد من الحضارات الأخرى وأضاف إليها إضافات أصيلة (ص ٥٧) وهذا يدل على أن خصائص الحضارة العربية تتبنى الاتصال بالحضارات الأخرى، ولها قدرة على العطاء والأخذ والاقتباس والتفاعل والتجديد وهذا يعني أنها «تربية ذات رؤية متكاملة وبرامج متطورة وأساليب متجددة تحفظ لهذه الحضارة خصائصها الأصيلة وتمكنها من التفاعل الخلاق مع خصائص العصر في الحاضر والمستقبل». (ص٥٨).

٢- انبهار البلاد العربية بالتنمية الغربية:

وضع المحررون تعريفا لاستراتيجية الإصلاح التي تبنوها ومن خلال هذا التعريف ستتضح للقارئ الأبعاد التي يسعى التقرير إلى تحقيقها والمصادر التي يستمد التقرير منها المبادئ والمفاهيم والتصورات.

عرف التقرير استراتيجية الإصلاح بأنها «هي الجهود التي بذلت في سبيل توجيه التعليم المستحدث توجيها يفي به إلى الأهداف الوطنية والقومية وإلى نشره وتحسين نوعيته وجعله مستندا إلى أسس فكرية وإلى جانب التكييف لما هو مستمد من الفكر الأوروبي». (ص ٩٤).

يفهم من هذا التعريف أن التقرير سيسير على نهج أوروبا وفكرها؛ لأنها تعتبر موئلا لطلاب العلم والمعرفة ومركز إشعاع للعالم العربي حتى إن المجددين الذين تلقوا تعليمهم في خارج العالم العربي والإسلامي هم الجديرون بتقديم تصورات مقترحة ليلائموا بين الإسلام والعلم، وذلك لأن الثقافة التي يتمتعون بها هي ثقافة أجنبية تؤهلهم للإضطلاع برسالة تكوين ثقافة تلائم الأمة العربية حتى في المجال العلمي.

فالتقدم العلمي الغربي يجب أن يكون منطلقا للإبداع والابتكار لكي تقتدي الأمة العربية به لتنال قسطا من التقدم التقني وتحاول اللحاق بهذه الدول في هذا المضمار. (ص ٨٢).

إن هناك عوامل متشابكة ساهمت في تخلف البلاد العربية وفي هبوط معيشة الأفراد وانتاجيتهم ومن هذه العوامل سوء التخطيط و نقص الموارد المالية وزيادة

السكان لكن أهم شيء في هذا «هو اقتداء البلاد العربية في سعيها إلى تطوير نفسها بمفهوم التنمية وأشكالها التي بدأت ونمت في البلاد الغربية الصناعية». (ص ١٢٢).

وقد ساد الاعتقاد في معظم الدول العربية أن الهدف الرئيسي من التنمية هو «التركيز على جانب الاحتياجات الحضارية وبعض الصناعات وترتب على هذا الاتجاه استيراد التكنولوجيا الغربية جاهزة وإقامة البني الجاهزة باهظة التكاليف المجمعات الصناعية المنقولة وتوجيه العملات الصعبة لشراء قطع الغيار . . . وهكذا تركزت التنمية على المظاهر الخارجية من هياكل عامة ومشروعات ضخمة وسلع كمالية دون مضمون حقيقي تنبثق بمقتضاه مشروعات حيوية يشارك فيها الشعب وتكنولوجيا تكون وليدة حاجته وتفكيره . . . وينطوي كل هذا على مظاهر التبعية للعالم الغربي». (ص١٢٢-١٢٣).

وهذا الاتجاه ترك قسما كبيرا من الشعب يلجأ إلى السلبية والجمود وأفقده القدرة على الإبداع والمبادرة. (ص ١٢٣).

ويضيف التقرير الفضل إلى الفكر الحديث الذي سعى إلى تقديم خدمات أفضل للإنسانية. «أو لم تكشف الدراسات الحديثة في العلوم الاجتماعية أن مواقف الناس واتجاهاتهم وما تعبر عنه من الإرادة والاختيار هي التي يعول عليها في تحقيق التنمية الشاملة بينهم وسعيهم لتطوير أساليب الحياة والارتفاع بمستوياتها»؟ (ص ٢٩).

٣ - التربية وحاجتها إلى الثورة العلمية:-

تقرير الاستراتيجية يعتمد بالدرجة الأولى على الجانب العلمي ولهذا تسعى الاستراتيجية «إلى أن تستند إلى العلم منهجا ومحتوى وإلى الفكر الحديث اتجاهات وتطبيقات». (ص ٢٢٤).

وتدعو الاستراتيجية إلى «إقامة التربية في الوطن العربي على أسس فلسفية متميزة نابعة من خصائصه وأصالة قيمه وعلى أسس علمية». (ص ٢٢٥).

ثم يوضح التقرير قائلا: «يسهم في إرسائها "التربية العلمية" العلماء العرب ويؤكدون التزام العلم بالأهداف والحاجات القومية، كما يعملون على الارتفاع بمهنة التربية ليزداد نصيبها من منهجية العلم ولتستوعب حظها من الثورة العلمية ونتائجها». (ص ٢٢٥).

ويقدم التقرير تصورا لتنمية التفكير العلمي على مستوى الأفراد والمؤسسات يتمثل في «وضع سياسات تشمل إعداد المعلمين المختصين وإنشاء مراكز البحوث وتوفير الموارد التي تمكنها من الحصول على الأجهزة الدقيقة وعلى اجتذاب الكفايات إليها وتمكينهم من الاستقرار فيها وفوق ذلك توفير المناخ الفكري والاجتماعي الذي يكفل استقرار الباحثين . . . بل وهناك بدايات لجعل هذه السياسات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتنمية الشاملة وبمشروعاتها وباستثمار الموارد الطبيعية وجعلها أساسا لصناعات ناشئة متطورة» . (ص ١١١) .

إن على الأمة العربية أن تغذي الاتجاهات الإنسانية «وملاحقة التطورات العلمية والتكنولوجية والوقوف من بعد ذلك موقف الند في صراع القوي الدائر من حولها لتتمكن من الأخذ والعطاء على أساس التكافؤ» . (ص ١١١) .

وتدل الإحصاءات التي أوردتها الاستراتيجية على أن الأمة العربية تعاني نقصا في الجوانب العلمية وأنها دون المستوى المطلوب . (ص ١٢١) .

إن ضعف الجانب العلمي عائد إلى «غلبة الدراسات الإنسانية والاجتماعية على الدراسات العلمية والتقنية» . (ص١٥١) .

ثم يشرح التقرير ويوضح كيفية مواجهة الثورة العلمية التقنية وسد الفجوة التي تعانيها الأمة العربية في هذا المجال ، وذلك عن طريق «تحديث العقل العربي بجملته وتمكينه من استيعاب روح العصر في صيغتها الواقعية مجردة من عيوبها وسلبياتها ، إنه تحديث يؤاخي بين العلم وما يتطلبه من منهجية عقلانية صارمة وما يترتب عليه من تقنية قابلة للتطبيق والاستثمار وبين الثقافة وما تنطوي عليه من القيم الإنسانية والمواقف العقلانية وأنماط السلوك الواقعية الفعالة المنطلقة إلى العمل والتعاون والتكافل في المجتمع» . (ص٢٠) .

إن الاستراتيجية تدعو «إلى أهمية تنمية الثروة البشرية بالتربية الصالحة والتنشئة السليمة والتدريب المتواصل ، فهي لا غنى عنها في اعتماد الثورة العلمية التقنية وفي تحقيق التنمية الشاملة وفي استثمار الثروات الطبيعية وفي إنشاء الصناعات القومية وفي الحفاظ على أمن الأمة ورد العدوان عنها ، وليس من المغالاة القول بأن نهضة الأمم وتقدمها رهن بالتربية الصالحة لأبنائها تكشف عن قدراتهم وتنمي كفاءاتهم وتهذب أخلاقهم وتطور شخصياتهم بجملتها» . (ص٣٢) .

إنه يجب «إرساء النظام التربوي بجملته على أسس قومية وتوجيهه وتنظيمه وفقا لها لتمتد جذوره في واقع مجتمعه فيتغذى عليها ويواجه مشكلاتها ويسهم علماؤه في تطوير فكر تربوي عربي يجتمع له فلسفة عربية متميزة ومشاركة فعالة في العلوم الأساسية للتربية وتطبيقاتها كما يترتب عليه تعريب الثقافة لغة عربية فصيحة معتمدة في التعليم . . . وتعريب العلم تأكيد لولاء العلماء لأوطانهم ولأمتهم وسعيهم في خيرها وتقدمها ويسرى ذلك على التقنية فلا تكون مجرد نقل لها بل استيعابا لأساليب بنائها وإرساء لها بأيدي عربية لحاجات قومية» . (ص ٢٢٩) .

إن الثورة العلمية لم تقتصر على الطبيعة بل شملت العلوم الاجتماعية والنفسية واخضعت الثقافات والمجتمعات وشخصية الإنسان للدراسة والتحليل . (٢٠٤) .

لقد أسهمت «الدراسات النفسية والاجتماعية في الكشف عن قوى الإنسان وقدراته وعن بواعثه ومنازع اتجاهاته وعن تفاعله المستمر ببيئته أخذا وعطاء تأثرا بها وتأثيرا فيها واستتبع ذلك تأكيد قدرة الإنسان على تطوير ذاته وبيئته وعلى إرادة التغيير التي يمتلكها وتأثيرها في ثقته بنفسه وفي تشكيل مستقبله ومصيره» . (ص٢٠٥)

وفي (ص٢٣) من التقرير يرى «النماذج الغربية للعلم وللتنمية والديمقراطية خلافا لما ظل لفترة طويلة سائدا على الأذهان - لم تعد صالحة لشعوبها بله أن تكون صالحة لكل زمان ومكان» .

وخلاصة القول: «إن التربية في العالم العربي استطاعت أن تنقل إلى الناشئين والشباب الاعتزاز بالتراث وبالأحداث الماضية . . . وإلى ممارسة هذا الاعتزاز بفهم مقوماته، وما في التراث من معاني وظيفية تفيد في مواجهة تحديات العصر والتقدم» . (ص ١٠٩) .

٤ - ركود وجمود الحركة العلمية:

مرت الحركة التعليمية بثلاث مراحل متداخلة :

١ - مرحلة انطلاق وتأسيس . ٢- مرحلة نمو وترسيخ . ٣- ومرحلة نضج وازدهار . (ص ٤٧) .

وكانت هناك عوامل شجعت الناس على الإقبال على طلب العلم والنبوغ فيه

وفي مختلف التخصصات، ومن هذه العوامل:

أ- اهتمام الخلفاء برعاية العلم والعلماء ووضع مكافأة مجزية لهم، (ص ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٦٢).

ب- تقدير العلم والعلماء والعلاقات الروحية القائمة بين العلماء أنفسهم وبينهم وبين المتعلمين.

ج - بذل العلماء العلم لمن يطلبه وتمكين الآخرين من كسبه وفي جعله نافعا للناس وفي خير المجتمع.

د - الجهر بالرأى والاستمساك بالحق وضمان الحرية الفكرية وتمكين الإنسان من ممارسة حق التفكير وحق التعبير، فقد كانت الدولة الإسلامية أرحب صدرا وأسمح فكرا مع الحضارات الأخرى، وخاصة الفلسفة اليونانية الوافدة من بلاد اليونان والتي لاحقت أصحابها النكبات، أما في الدولة الإسلامية فلم يصب أحد من فلاسفة الإسلام بمثل تلك النكبات لآرائهم في الفلسفة. (ص٥٧).

هـ - احتضان المجتمع الإسلامي للعلم ورعايته. (ص ٦٠).

و - حبس الأوقاف على المساجد والمدارس حتى تتمكن من أداء رسالتها وتشجيع الراغبين في طلب العلم وتسهيل ذلك من حيث توفير الغذاء والسكن وخلافهما. (ص ٦٤).

ز - عدم وجود حواجز بين أبناء المسلمين، فقد كان المسلم ينتقل من مكان لآخر وفي كل مدينة يجد له إخوانا يرحبون به ويقفون معه؛ ولهذا كان للرحلات العلمية أثر بارز في تطور ونماء وتقدم الحركة العلمية، حيث برز علماء أجلاء في مختلف الفنون في الحديث والتاريخ واللغة. (ص ٤٧).

ح - كما أن حركة الترجمة التي نشأت في أواخر القرن الأول الهجري كان لها أثر بارز في تطور الحركة العلمية حيث تمكن المسلمون من ترجمات الحضارات المعاصرة لهم بتشجيع من بعض الخلفاء الذين أولو العلم عناية فائقة وبذلوا مكافات مجزية للتعرف على ثقافات الأمم الأخرى وصهرها في بوتقة الإسلام وقد كانت هذه الحركة تعتبر من القنوات التي استفاد منها المسلمون أيما استفادة

حيث نبغ أعلام في الطب والصيدلة والجغرافيا والفلسفة وفي الكيمياء وغيرها. (ص ٤٩-٥٢).

وكان المسلمون سادة في ميدان التجريب وطوروا ما وصل إليهم من غيرهم من علوم الإغريق وغيرها. (١٩٢).

ونهج المسلمون مناهج علمية منها:

اعتماد الرحلات البعيدة ودقة الملاحظة في العلوم الطبيعية والاعتماد على المشاهدة والتجربة وصحة القياس بالاستنتاج. (ص ٥٥).

وكان من أهم دعائم البحث في العلوم الطبيعية أنه يقوم على:

١- نفي الخرافات.

٢- سعة الإطلاع.

٣- الرحلات للبحث والتنقيب.

٤- التجارب.

٥- الموازنة. (ص ٥٣).

يؤرخ التقرير لازدهار الحركة العلمية في العالم العربي، وكم بقيت مزدهرة قائلا: «كان النشاط الثقافي في المدينة أساسا لحركات ثقافية وعلمية ظلت تتزايد في الأمصار تنتشر في مشرق الوطن العربي ثم في مغربه حتى بلغت أوج ازدهارها بين القرن الرابع والقرن السادس الهجري على وجه التقريب». (ص ٤٧).

لقد كان الازدهار العلمي لدى المسلمين جامعا بين الجانب النظري والجانب التطبيقي ولكن هذا الازدهار لم يستمر بل توقف عقل المسلم عن الإبداع وتعطل عن الإنتاج بسبب التقليد، ومن هنا وقفت الحضارة العربية «عند ذلك الحد، بل أخذت تشهد أحداثا جساما وكوارث ونكبات أسلمتها إلى الضعف والانحطاط فتضاءلت جذوتها وخبت أنوار الثقافة فيها». (ص ٦٧).

ومن مظاهر الضعف في الجانب الثقافي أن الناس انقطعوا عن العلم في القرن السابع الهجري وتلاه غاشية الركود والجمود وانتشرت ظاهرة التقليد بين غلبة العلماء وسرت هذه النزعات إلى عامة الناس. (ص ٧٠).

ولم يقتصر الضعف والانحطاط في المجال الثقافي بل تعداه إلى مجال التربية وفي صور متعددة فعلى الرغم من زيادة المؤسسات التعليمية إلا أنها كانت تتسم بطابع الكم لا الكيف حيث لم يصاحبها تحسن في نوعية التعليم بل حدث العكس وكانت مناهج التربية والتعليم تخضع لرغبات وأهواء الحكام وكان من شأن هذا التدهور في ميدان التربية أن فرض على الناس صفات الضعف كالأمية والجهل والتواكل والسذاجة والميل إلى التقليد والانغلاق والجمود وظلت هذه الحالة مسيطرة على العالم العربي حتى مطلع القرن التاسع عشر. (ص ٧٠).

وفي العصر الحاضر حصل أيضا «ركود الحضارة الإسلامية لعدم القدرة على تغذيتها بالتشجيع المعنوي والمادي واغلاق الشرايين التي كانت تصل بينها وبين الثقافات الأخرى مما أدى إلى ضعفها وضمور مراكزها باستثناء الأزهر في مصر والقيروان في المغرب، فكان فيها حفاظ على الحركة العلمية عامة». (ص ٦٩).

وهنا جابهت الأمة العربية تحديات خطيرة وهي في حالة ضعف ومحرومة من العلم والثروة والسلاح بسبب المحتل الأجنبي، (ص٧٥) الذي كان يهدف إلى ترسيخ وجوده ومحاولة السيطرة على الأمة العربية واستغلال البلاد إضافة إلى تفوق أوروبا حضاريا في المجال العلمي وبهذه الصفات واجه العالم العربي الغرب وهو بهذه الحالة. (ص ٧٠، ٧٦-٧٨).

٥ - المؤسسات التعليمية:-

هناك مؤسسات تعليمية جسدت مدى الاهتمام بالعلم من قبل الدولة الإسلامية وتعدد هذه المؤسسات يوضح هذه الأهمية.

إن المؤسسات التعليمية كانت متنوعة ومتعددة، وهذا التنوع والتعدد أوجد عقليات مبدعة ومبتكرة دفعت الحركة العلمية إلى الأمام قدما في طريق التطور والنماء حيث ازدهرت الحركة العلمية ووصلت إلى أوج عظمتها ورقيها ومن هذه المؤسسات التي ساهمت في الرقى العلمي ما يلي: -

أولا: أمكنة التعليم:

أ - الكتّاب: ويعتبر أقدم المعاهد التعليمية في الإسلام وله وظيفتان تعليم القراءة والكتابة وتعليم القرآن وأصول العقيدة، وكانت الكتاتيب ملصقة بالمساجد

أوموجودة فيها وظل الكتاب أكثر المؤسسات التعليمية شيوعًا في أرجاء العالم الإسلامي حتى العصر الحاضر. (ص ٦١-٦٢).

ب- المسجد: ويعتبر موئلا ومنارة يفد إليه طلاب العلم والمعرفة واستمر يؤدى وظيفته التربوية والتعليمية حتى العصر الحاضر والمسجد «بهذه المثابة مؤسسة تعليمية فريدة خاصة بالمجتمع الإسلامي نشأت من دون نموذج سابق لها». (ص٦٢).

ج- المدارس: وهي محاولة جديدة لقيام الدولة بمسئولياتها في التعليم وفي تنظيم الدراسة والإشراف عليها واستمرارها ووضع مرتبات ثابتة للمدرسين بها وتبارى الخلفاء والأمراء في بنائها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. (ص٦٢).

ثانيا: وجود مؤسسات جمعت بين الثقافة العامة والحركة العلمية.

ظهرت مؤسسات تجمع بين شئون الثقافة العامة وتشجيع الحركة العلمية ومن ذلك:

أ- دار الحكمة التي أنشأها المأمون في بغداد، وهي تقوم بترجمة ونسخ المخطوطات وغيرها. (ص ٦٢-٦٣).

ب- المكتبات: وتقوم بدور مهم في التربية والتعليم وذلك عن طريق إتاحة الفرصة أمام الجميع للقراءة والبحث إضافة إلى المحافظة على المخطوطات والكتب. (ص ٦٣).

ج- وأما الخوانق والزوايا والربط: فهي معدة غالبا للمتصوفين الذين ينقطعون فيها إلى العبادة والدرس، وهي تعني بالعلوم الدينية. (ص ٦٣).

د- وأما البيمارستان: فهي «أشبه بمدارس الطب الحديثة عندنا حيث أنها تلحق بالمستشفيات الكبيرة فتلقى فيها الدروس ويتاح للطلبة فرصة تطبيق مادرسوه على ما يعاينونه من أعراض الأمراض وخصائصها وطرق علاجها». (ص٦٣)

ثالثا: أماكن أخرى ساهمت في نمو الحركة العلمية:

ولم تكن أمكنة التعليم في الإسلام قاصرة على ما سبق «فقد وجدت أماكن خاصة قامت بدور تعليمي قد لا يقل أهمية عن تلك المعاهد والمراكز ذات الصبغة

الأكاديمية، ومنها: حوانيت الوراقين، وحلقات الدرس أو الصالونات الأدبية ومجالس الملوك والأمراء وكلها كانت تكسب نظام التعليم في الإسلام نصيبا من اليسر والمرونة وتتيح فرص التعليم خارج هذا النظام المدرسي بصورة مستمرة مستديمة لا تعرف القيود ولا الحواجز» (ص ٦٣).

وكان «الأستاذ يحاضر والأبواب مفتوحة يستمع أو يفيد من يشاء من غير طلابه ومن الراغبين في البحث والهداية وهذا ما يسمى في العصر الحاضر بالتربية غير المدرسية "تعليم متوازن"». (ص ٦٤).

ثانيا : مبدأ التربية للعلم من منظور التربية الإسلامية.

- تمهيد:

طلب العلم من أجل القربات وأفضل من النوافل في العبادات والربانيون الذين ذكرهم اللّه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيِّين﴾ (آل عمران : ٧٩) هم أرباب العلم واحدهم رباني مأخوذ من قولهم ربّه، يربه فهو ربان إذا دبره وأصلحه . (الشوكاني، فتح القدير، د. ت، ١/ ٣٥٥).

ويفيد "الشوكاني" (د. ت) بأن منشأ الربانية مكتسبة عن طريق تلقي العلم والعمل به والدراسة له فيقول : «فإذا حصل العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة اللّه» (فتح القدير، ١/ ٣٥٥).

إن العلم الصحيح المبني على العقيدة الإسلامية هو السبيل إلى معرفة اللّه سبحانه وتعالى وسعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، ولهذا يجب على المتعلم «أن يحسن نيته ويصلح طويته . . . ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا أو يخالطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه كمن يريد الظفر بشيء من رئاسات الدينا أو جاه يحصله به فإن العلم طيب لا يقبل غيره ولا يحتمل الشركة» . (الشوكاني، أدب الطلب، ١٤٠٠هـ، ص ١٥).

وبما أن العلم عبادة من العبادات وطاعة من الطاعات، فإن «فعل الطاعات العظيمة مع سوء النية من أعظم الوبال على صاحبه» . (الشوكاني، نيل الأوطار، ١٣٩٣هـ، ٨/ ٣٥).

ومن هنا يلمس المرء أن كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد تكاثرت وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَوُاْ﴾ (فاطر : ٢٨) . فاللّه قد قصر خشيته على العلماء؛ لأنهم أعرف الناس للّه تعالى وأتقاهم له، والمعنى : أن اللّه «يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس» . (الشوكاني، فتح القدير، د.ت، ٤/ ٣٤٨).

بل إن اللّه قرن شهادة العلماء بشهادته وملائكته، فقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلَـئكة وأولوا العِلْمِ قَائِمَا بالقسط﴾ (آل عمران : ١٨) .

وأخبر سبحانه وتعالى بأنه يرفع علماء أمته درجات، قال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت﴾ (المجادلة: ١١). والآيات كثيرة معلومة.

ومن الأحاديث الواردة في شأن العلم قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». (مسلم، الصحيح، ١٣٧٥هـ، كتابي الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم: ١٠٣٧)

وقوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب العلم، باب الاعتباط في العلم والحكمة، ١/ ١٥١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». (مسلم، الصحيح، ١٣٧٥هـ، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: ١٦٣١). وفي الباب أحاديث كثيرة، وفيما أشار إليه الباحث كفاية.

١- مغزى التربية للعلم:

وعودا إلى تقرير الاستراتيجية يجد المرء أن المحررين لها جعلوا من المبادئ التي تقوم عليها الاستراتيجية "مبدأ التربية للعلم"، ومن المعلوم أن طلب العلم لذات العلم يعتبر شعارا مستحدثا براقا يخلب الألباب ويأسر النفوس لكنه يحمل معنى مبطنا ولا يخفى على ذي البصيرة ما في هذا الشعار من منافاة لتعاليم الإسلام التي تعتبر العلم عبادة من العبادات، وهو وسيلة يتقرب بها العبد من مولاه وليس هدفًا قائما بذاته. يقول عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة». (الترمذي، السنن، ١٤٠٨هـ، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، حديث رقم: ٢٦٤٨).

وإذا كان العلم غاية في حد ذاته فهذا الشعار مناف للإخلاص في العبودية لله سبحانه وتعالى إذ كيف يجعل الغاية والمقصد في طلبه للعلم والمفروض أن يطلبه لله تعالى بغية خدمة هذا الدين وإعلاء كلمته.

إن هذا الشعار يحوي خلطا بين الأهداف والوسائل ومن شأنها أن تمس مفهومات تربوية، وهي تتمثل في الانحراف بالعلم من كونه وسيلة تعبدية إلى هدف قائم بذاته.

فكيف يمكن أن تظهر الأبعاد التربوية لطلب العلم على طالب العلم إذا كان العلم يطلب لذات العلم وليس إلى الارتقاء بطالب العلم إلى السمو في الهدف الذي يجعله لله تعالى وما يتبع ذلك من ازدياد الخشية وتهذيب النفس والسعي في نشر الخير بين الناس قدر الوسع والطاقة؟ . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٩٢-٩٥).

وفي الحقيقة أن هذا المفهوم "العلم لأجل العلم" أو "التربية لأجل العلم" أو "مبدأ التربية للعلم" «مبدأ غربي آمن به الغرب أخيرا وجردوا فيه العلم من كل غاية ومن كل خلق ومن الإيمان والعقيدة، وقد نالوا جزاء ذلك ردة خلقية هوت بهم إلى الحضيض وامتهنت فيه كرامة الإنسان، ولم تغن حضارتهم المادية من ذلك شيئا، وهذا مآل محتوم للأمة التي يتضخم فيها العلم على حساب العقيدة والخلق» . (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ٥٩، ٦٠، ٨٢).

إن المنهج الرباني حين يعالج أمر العلم فهو:

أولا : «لا يفصله عن بقية حياة الإنسان ولا يجعله شيئا قائما بذاته ولا يرفع شعار "العلم للعلم" كما تصنع الجاهلية المعاصرة بصفة خاصة» .

وهو ثانيا : «لا يجعل نشاطه مضادا ولا معاكسا لبقية اتجاهات الفطرة وبقية الحاجات النفسية والحيوية كما تصنع الجاهلية المعاصرة حين تفصل العلم عن الدين، ثم تضعهما موضع التقابل والتضاد، فمن أراد العلم فليترك الدين ومن أراد الدين فليترك العلم» . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٩٢).

إن العلم «أداة ضرورية من أدوات عمارة الأرض أو السعي وراء الرزق والقيام بدور الخلافة؛ لذلك فهو مسخر لهذه الأهداف، وليس هو هدفا في حد ذاته . . . وهذا هو وضع العلم في الإسلام عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله ويبتغي بها رضاه» (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٩٣).

وإذا فهم العلم في الإسلام على هذا النحو فإنه ينتج عن ذلك نتائج مهمة في حياة البشر منها:

أ - إن العلم لا يمكن أن يكون عدوا للعقيدة ولا عدوا للدين.

ب - إن العلم لا يكون وسيلة لإفساد الأخلاق.

ج - إن العلم لا يكون وسيلة للشر . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٩٤-٩٧).

ولهذا يجب أن يكون مبدأ التربية والتعليم ساعيا إلى تعميق مفهوم العلم الذي يكون وسيلة إلى عبادة اللّه تعالى وتحقيق عمارة الأرض كما يريدها اللّه.

٢- غاية العلم وحياده ومفهوم التقدم العلمي والتقني:

يرى التقرير أن العلم «محايد من حيث القيم والغايات . . . فيكون للشر والدمار كما يكون للخير والإعمار، والأمة العربية إنما تريد العلم لخير الإنسان ولغايات تستمدها من عقائدها وما فيها من القيم السليمة والروح العلمية». (ص ٢٠).

إن العلم لا يكون محايدا كما يدعي التقرير وإنما يعتمد بالدرجة الأولى على القيم والمعتقدات التي يدين بها المرء الذي يدون معلوماته ويسطر أفكاره فإدعاء محايدة العلم لا يمكن القبول به أو التسليم لقائله لأنه ما من نظرية أو رأى إلا وهو يعود إلى ما يعتنقه المرء من قيم ومبادئ وتصورات.

إن «العلوم التي دونتها أوروبا الملحدة والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها قد سرى فيها الإلحاد والجمود والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط . . . وسرت هذه الروح في علومهم وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم». (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ٢٠).

فالنظام الغربي «يحمل روحا مستقلة وضميرا منفردا تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه وعقلية واضعيه». (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ٣٠).

حتى إن العلوم التجريبية لها ناحيتان:

الأولى: عبارة عن حقائق وقوانين تعرف عليها الإنسان بعد اجتيازه لمراحل عديدة من التجربة والاختبار والمشاهدة فهذه عالمية لا يشك أحد في ذلك لكن الجانب الثاني الذي لا يمكن التسليم به يتمثل في اللغة والعقلية التي دونت هذه المعلومات فهذه الناحية ليست شيئا عالميا. (المودودي، دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، د.ت، ص ٣٣-٣٤)، لأنها تعود إلى عقيدة المؤلف وقيمه ومبادئه.

إن التقرير يرى أن ضمان الحياة الكريمة لأبناء الأمة العربية يعتمد «على أساس من الحرية والعدل والمساواة وإطراد التقدم بالاعتماد على العلم وبالمساهمة في التطور السليم للحضارة المعاصرة» (ص ٣١).

وإن تحقيق الحياة الكريمة للإنسان العربي يقتضي منا التطلع إلى مجالات العلم والتعليم، (ص ١٠٦) ولا يمكن تجاوز التخلف «إلا بالاعتماد على العلم والتقنية الحديثة واللحاق بالتطورات الحاصلة فيهما وإنشاء مراكزها في الوطن العربي وتمكينها من الإسهام في تلك التطورات» (ص ١٠٨).

إن تطوير الشخصية العربية وتمكينها من مواجهة المشكلات يعتمد على التربية العلمية واستيعاب ما فيها من المفاهيم والمبادئ ونقدها وعلى تطبيقها في الحياة لخير الإنسان وخير المجتمع والعناية بتضمنات الثورة التقنية وإرساء أسسها القومية» (ص ٢٧١).

هكذا يتضح للمرء التخبط الذي يسير فيه التقرير الذي يستقي معلوماته من مصادر غربية ومن فكر غير إسلامي «لهذا جاءت الأفكار متناثرة لا يمكن جمعها؛ لأنها متضاربة. فضمان الحياة الكريمة، كما في رأى التقرير، يعتمد على إطراد التقدم والعلم وتوفير الرفاهية. وهذا ينافي عقيدتنا الإسلامية وديننا الحنيف. وإطراد التقدم والعلم إذا كان جزءا من العبادة يحقق الحياة كريمة. فالحياة الطيبة الكريمة تتحقق من خلال العمل الصالح والإيمان الصادق قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

والحياة الكريمة تتحقق من خلال عبادة اللّه سبحانه وتعالى وطلب مرضاته وعدم الشرك باللّه، وهو وعد من اللّه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (النور: ٥٥).

فهذه هي الحياة الكريمة التي يمكن تحقيقها على أرض الواقع إن التقدم العلمي والتقني لا يعتبر مقياسا للحياة الكريمة، بل يعتبر شؤمًا ونذير سوء ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ (يونس: ٢٤).

«فالمسلمون الأوائل مثلا عندما فتحوا وهزموا أعظم قوتين عسكريتين في العالم في ذلك الوقت "فارس والروم" لم يكونوا متقدمين علميا وتقنيا، بل كانوا متخلفين

تقنيا وعسكريا مقارنة بالدول التي هزموها وأطاحوا بعروشها وفتحوها . . . ومنها أيضا : . . . أنه عندما غزا التتار المسلمين في أواخر عهد الدولة العباسية وهزموا المسلمين . . . في ذلك الوقت كان التتار المتصرون يعتبرون متخلفين علميا مقارنة بالدولة العباسية التي كانت في ذلك الوقت في أوجها وقمة تقدمها العلمي حتى إن بغداد ومكتبتها كانت مركزا علميا في ذلك الزمان في جميع العلوم . . . يتوافد إليها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم» . (ما هو سبب تخلف المسلمين وضعفهم؟ ١٤١١هـ، ص٨-٩).

فلا ارتباط بين التقدم العلمي والتقني وتوفير الحياة الكريمة، وإنما المهم تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى ونصر دينه هو الذي يحفظ الدنيا من الزوال، يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام : ٦).

لقد أشار القرآن إشارة سريعة إلى العلاقة بين التمكن من إقامة الشعائر الدينية وعبادة الله ووجود الوسائل المادية المساعدة، وذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم : ٣٧).

إن القرآن الكريم يحذر من التنافس على الحياة الدنيا وجعلها الهدف والغاية وعدم التطلع إلى الآخرة، فإن هذا الهدف والغاية تجعل الناس في صراع دائم، يقول تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد : ٢٠).

لكن لو كان الهدف شاملا للحياة الآخرة وما تتطلبه من مثل عليا، فإن الحياة والمال يصبحان وسيلة لا غاية، ويأخذ الصراع شكلا آخر، وهو التنافس على العمل الصالح في الدنيا والمسارعة إليه . يقول تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد : ٢١).

إن غاية العلم التجريبي في الحضارة المعاصرة الغربية هو تنمية وسائل الحياة

المادية فقط، وتحقيق الرفاهية للإنسان دون تعبيده لخالقه سبحانه وتعالى.

ومن هنا يجد المرء أن التقرير يرى أن الدراسات النفسية والاجتماعية ساهمت في الكشف عن قوى الإنسان وقدراته ومنازع اتجاهاته واستتبع ذلك «قدرة الإنسان على تطوير ذاته وبيئته وعلى إرادة التغيير التي يمتلكها وتأثيرها في ثقته بنفسه وفي تشكيل مستقبله ومصيره». (ص ٢٠٥).

ها هي الدراسات النفسية والاجتماعية تقدم تصورا مقترحا وتتدخل في رسم مستقبل الإنسان ومصيره دون اعتماد وحي إلهي أو مصدر رباني كما يزعم التقرير بذلك.

إن تشكيل المستقبل ورسم مصير الإنسان لاينبغي أن يكون صادرا من تجارب بشرية أو تخيلات فلسفية، فالعقل البشري عاجز عن ذلك وإنما ينبغي استمداد ذلك من المصدر الإلهي الرباني الذي أهبط آدم عليه السلام وأنزل معه منهاجا يسير على هداه، فاللّه سبحانه وتعالى لما أهبط آدم لم يكله إلى نفسه في رسم وتشكيل مستقبله ومصيره بل قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣).

فغاية الحياة مرتبطة بعقيدة الإسلام وغاية المسلم في هذه الحياة الدنيا تتمثل في:

أ- عبادة اللّه وابتغاء الدار الآخرة.

ب- إصلاح الدنيا والعمل فيها حسب منهج الصلاح والخير.

ج - نظام للدعوة إلى منهج الحق والدفاع عنه.

وهذه الغاية يمكن استنباطها من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

إن التربية العلمية التي يتبناها التقرير هي مصطلح يقصد به إخضاع العلوم للتجريب، وهي مأخوذة من المنهج العلمي الغربي الذي يقوم على إنكار الغيب والوقوف عند عالم الظواهر المحسوسة.

ومما يدل على أن التقرير يسير على هذا المنهج العلمي ما جاء في (ص ٢١-٢٢)

من دعوة إلى تعميم المنهجية العلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية والنفسية ومتابعة تطور العلوم الاجتماعية في البلاد الغربية المتقدمة والاستفادة من نتائج هذه العلوم نظريا وتطبيقا لرسم مستقبل الإنسان ومصيره.

إن العقل «ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها؛ لأن النفس تدخل في عالم الغيب الذي لا يخضع لحاسة من الحواس؛ ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق يحتاج لمعرفة الأولى والهدف الأخير ونحن لا نعرفهما في هذه الحياة الدنيا أو فيما وراءها من أين جئنا وإلى أين نسير». (حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ١٤١٣هـ، ص ٤١).

ويستطرد "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" توضيح قصور الحواس والتفكير البشرى في الدراسات الاجتماعية والنفسية قائلا: «فالتجارب والإحصاءات إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة في مذاهب الناس وسلوكهم؛ لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والحواس، ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي والتقنين التربوي والخلقي إلى الشرائع السماوية؛ لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه، أما العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة . . . لذلك لم تنزل الشرائع والأديان السماوية إلا بما يدخل في عالم الغيب مما يتصل بالسلوك الذي يترتب على إدراك الخير المطلق والشر المطلق؛ لأن العقل البشري عاجز بطبيعة تكوينه عن إدراكه ولو أخذ فيه لخبط في أودية من الظن والوهم الذي لايستند إلى دليل ولا اختلف الناس فيما بينهم اختلافا شديدا لا يجتمعون معه على رأى ولا يلتقون عند غاية» (ص ٤٢).

ولكن الشيخ "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) رحمه الله، يستدرك قائلا: «وليس يفهم من ذلك كله أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية فذلك ما لا يدعو إليه عاقل . . . ولكن الذي ندعو إليه أن ندرك حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما لم يتصل بعالم الغيب . . . وحتى لا نتعرض للضلال والهلاك فنحن إذن لا نعطل العقل، ولكننا نحفظه من الضلال ونلزمه أصولا هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من التردي في الهاوية». (ص ٤٤).

لقد ساوى التقرير بين العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية من حيث إخضاعهما للمنهجية العلمية الغربية وتسويد الإتجاه العلمي عند النظر في المشكلات المرتبطة بالإنسان، وهذا الاتجاه ينطوي على مغالطة ومخالفة للدين فالمساواة بينهما لا يمكن القبول بها ذلك أن العلوم الطبيعية موضوعها الأشياء، أما العلوم الاجتماعية فموضوعها الإنسان «ولا يعقل أن يدرس الإنسان بذات الطريقة والأدوات التي تدرس بها الأشياء، اللّهم إلا إذا نحيت جانب جميع السمات الأساسية التي يمتاز بها الإنسان عن الأشياء» (عبد الله، دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٥).

ويؤكد "عبد الرحمن بن صالح بن عبد اللّه" (١٤٠٨هـ) الفروق الجوهرية بين العلوم الطبيعية والاجتماعية فالعلوم الطبيعية «لا تهتم إلا بوصف الظواهر التي ندرسها بينما تهتم العلوم الاجتماعية والنفسية بوصف الواقع وبما ينبغي أن يكون عليه الواقع . . . يضاف إلى هذا أن العلوم الطبيعية أريد لها في الغرب أن تنمى الاتجاه العلماني والعلوم التي تقتدي بالعلوم الطبيعية في المجتمع الغربي تنشر في النشء روح الإلحاد أو الغفلة بينما تهدف جميع العلوم في المجتمع الإسلامي إلى غرس الإيمان في النفوس». (ص ١٠٦) «وعليه فإن العلوم التربوية في المجتمع الإسلامي ترفض تقليد العلوم الطبيعية؛ لأن ذلك يفقدها مجالات أساسية لا تستقيم بدونها». (ص ١٠٦).

ويقرر "عبد الرحمن بن صالح بن عبد اللّه" (١٤٠٨هـ) أن كلا من العلوم الطبيعية والاجتماعية والنفسية تلتقي سويا في هدف عام وهو تحقيق العبودية للّه سبحانه وتعالى مستدلا بقوله تعالى على لسان ذي القرنين الذي استخدم سداً عظيما في عصره قائلا: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف: ٩٨).

إن ادعاء حيادة العلم كما يزعم بذلك التقرير أمرغيرمسلم به ولايمكن القبول به.

يرد على هذه الفرية "عبد الرحمن بن صالح بن عبد اللّه" (١٤٠٨هـ) في كتابه "دراسات في الفكر التربوي الإسلامي" قائلا: «وأما الادعاء بوقوف البحث العلمي على الحياد فأمر غير مسلم به صحيح أنه قد تكون الموضوعية متوفرة لدى الباحث بمعنى أنه يسعى إلى اكتشاف الحقيقة لكن علينا أن ندرك أن المؤسسات التي تشرف

على تلك البحوث تستخدمها لتحقيق أغراض معينة ومن هنا يمكن القول: إن المعرفة العلمية ترتبط بالعقائد ارتباطا وثيقا . . . ولو كان العامل الذاتي مستبعدا في البحث العلمي لما تمكن أحد من اختيار الموضوعات التي يدرسها» (ص ١٥١).

إن محرري الاستراتيجية يدعون إلى تبني نتائج العلوم الاجتماعية والنفسية التي يتوصل إليها الغرب الملحد والاستفادة منها نظريا وتطبيقا ونحن لا نسلم لهم بهذا الرأى الفاسد والكلام الساقط؛ لأن لنا قيمنا ومبادئنا وتصوراتنا وهي بالتالي:

«تختلف اختلافا جذريا ونحن إذا احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية التي كانت سببا في مجده وسيادته فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق التي تدل الأمارات والبوادر على أنها ستؤدى إلى تدمير حضارته والقضاء عليها قضاء تاما في القريب العاجل. إننا نحتاج إلى مواد البناء؛ لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما يكفي». (حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ١٤١٣هـ، ص ٤٤).

٣- أسباب تخلف المسلمين في المجال العلمي:

قدم التقرير أسبابا سطحية لتخلف المسلمين في هذا المجال، ومنها: «توقف عقل المسلم عن الإبداع والابتكار وانتشار الطرق الصوفية ومحاربة الاجتهاد، (ص٤٧-٥٣) إضافة إلى وجود تحديات كبيرة تمثلت في التجزئة والاستعمار والصهيونية، (ص ١٧) وكانت هذه تشكل عقبة كأداء في سبيل التطور العلمي التقني بالإضافة إلى تحدي الثورة العلمية الغربية ومحاولة اللحاق بها. (ص ١٨-١٩)، ومن هنا فرض على الأمة العربية ألوان من الضعف والتخلف نتيجة تلك التحديات وعانت الأمة العربية نقصا في الجوانب العلمية المختلفة من زراعية وصناعية وغيرهما (ص ١٢١) وهنا حدث اختلال بينها وبين الأمم المتقدمة مما جعلها تسعى بخطي حثيثة لسد الفجوة القائمة التي تعانيها في هذا المجال وذلك عن طريق تحديث العقل العربي وتمكينه من استيعاب الثورة العلمية (ص ٢٠) حيث لا يمكن تجاوز هذا التخلف إلا بالاعتماد على العلم والتقنية على أوسع نطاق، (ص ١٠٨)، وقدم التقرير أيضا تصورا مقترحا لكيفية مواجهة التقدم العلمي والتقني الذي سبق الكلام عنه في الصفحات الماضية.

إن تخلف المسلمين حقيقة سببه انحراف في التصور والسلوك الذي طرأ على الجانب العقيدي الذي يعتبر الركيزة الأساسية في بناء الناشئة المسلمة، وبما أن هذا قد اعتراه هذا التخلف فلا شك أن التخلف سيسرى إلى مختلف أنشطة الحياة العلمية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

إن مشكلة المسلمين اليوم هي مشكلة التربية حيث «بدأ المسلمون حديثا يتوجهون إلى الغرب في اقتباس نظم التربية والتعليم بجميع دقائقها وتفصيلاتها وبعجرها وبجرها مخدوعين بتقدم هذا الغرب وسيطرته على العالم ناسين أن هذا التقدم يحمل معه جميع جراثيم فساد الغرب ولا سيما بسبب ما يتصف به من مادية بحتة خالية من معاني الإنسانية والروحية الحقيقية». (المودوي، المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، ١٤٠٢هـ، ص ٦).

ويؤكد "المودودي" (١٤٠٢هـ) في كتابه "المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم" انحراف الغرب في نظمه التربوية قائلا: «إن الغرب الذي حاولنا اقتباس نظم تربيته وتعليمه هو ملحد كافر وهو في نصرانيته أدنى إلى الوثنية الرومانية ونحن مؤمنون ربانيون -ولله الحمد- فهيهات أن تصلح لنا نظمه إذا لم يكن فيها هلاكنا وانقراضنا دنيا ودين». (ص ٦).

ويرى "أبو الحسن الندوي" (١٤٠٧هـ) في كتابه "المسلمون تجاه الحضارة الغربية" أن عناصر الحضارة المعاصرة وتركيبها يتكون من نصرانية محرفة ويهودية ثائرة وعقلية يونانية مادية. (ص ١٩).

وإذا كانت هذه الحضارة الغربية بهذه الصورة فكيف يتبنى التقرير تشرب المفاهيم والمبادئ التي جاءت بها الثورة العلمية التقنية وسريان روحها إلى الشعب عامة. (ص ٢٠، ٢٦)، ومما يدل على ذلك ثناؤهم على الكفاءات التي أعدت خارج الوطن العربي وأسهمت في تثبيت دعائم الحركة التربوية مهنيا وفكريا واستفادت من النماذج المتقدمة في الدول الأوروبية. (ص ٩٥).

إن هؤلاء المبعوثين إلى خارج ديار المسلمين هم الجديرون في تقديم النماذج الصالحة في التجديد والتطوير أكثر من غيرهم. (ص ٧٩)، وهم أهل لأن يكونوا موضع ثقة في تقديم ثقافة تلائم الأمة العربية في مختلف مجالات الحياة. (ص ٨١, ٩٦)، كما يزعم التقرير.

هذه هي تصورات التقرير التي توصل إليها وتفتحت قرائح محرريها عنها، لكن هذا يعتبر انحرافا خطيرا من وجهين :

الأول: «أنه أحدث "مبد خطير في ذاته وأثبتت الأيام خطورته هو مبدأ الاستمداد من فكر غير إسلامي وحياة غير إسلامية ومنهج غير إسلامي وتركيب الرقعة المستعارة في الثوب الإسلامي بحجة أنها لا تتنافى معه» . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص١٦٠).

الوجه الثاني: «وهو لا يقل خطورة عن الأول وقد أحدث وهما في النفوس وزعزعة في المعتقد "بوعي منهم أم بغير وعي" مؤداه أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق فيما بقي على حاله من أمور الحياة لم يتغير منذ نزول هذه الشريعة، أماما جد من الأمور وخاصة في القرنين الأخيرين؛ فإن الشريعة لا تصلح لمواجهته وتوجيهه، إنما الحل فيه هو استيراد "القوانين" الصالحة له من الأمم "المتقدمة" التي عانت المشكلة أصلا واستنبطت لها الحل، وكان لهذين الوجهين في حياة المسلمين أسوأ تأثير» . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ١٦٠).

لقد كان تشخيص الداء والدواء من قبل محرري الاستراتيجية مشوبا بالغموض وينقصه العمق والدراية ويكتنفه ضحالة الثقافة الإسلامية من قبلهم، وأن بضاعتهم بضاعة مزجاة؛ لأنهم نظروا إلى الجوانب المادية فقط ولم ينظروا إلى جوانب أخرى أكثر أهمية منها ولهذا جاءت معالجتهم لهذا المبدأ معالجة ناقصة ومشوشة ومبتورة ولاتنطلق من منطلقات إسلامية.

ولسائل أن يسأل لماذا توقف المد العلمي للمسلمين؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن سبب ذلك يعود إلى الأمراض التي فشت في الأمة الإسلامية مثل الترف والفساد وانشغالها عن الحق ومجابهة التحديات هنا وهنت «وضعفت وخبت فيها الجذوة وركن أهل العلم إلى التقليد والمحاكاة وتركوا الجهاد والاجتهاد وجمدوا على أقوال من سبقوهم وتحنثوا حولها وعطلوا ملكات الفهم والاستنباط . . . وانفرط ذلك العقد الكامل للتصور الإسلامي الشامل للحياة إلى نظرات جزئية . . . ولكن الجميل في هذه الأمة أنه لايخلو تاريخها في أي فترة من الفترات ولا مرحلة من المراحل من قائم لله بالحق ومذكر بالأمراض ومنبه للمخاطر وناقد لسوء الأوضاع ومرشد للدواء والعلاج» . (العسال، الإسلام والتقنية الحديثة، رسالة الخليج العربي، ع/ ١٣، س/ ٤، ١٤٠٤هـ، ص ٢١٧).

وفي العصر الحاضر استخدم الغرب «لتسخير العالم الإسلامي وإبقاء سيطرته عليه وسائل لا يعرف لها مثيل في تاريخ استيلاء أمة على أمة فقد اشتركت في هذا الغزو عناصر عديدة من العاطفة والقوة والعلم وتفكير علماء الغرب ومفكريه ومخططيه» . (الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، ١٤٠٧هـ، ص ٣).

وهنا كان المسلمون يعيشون في سبات عميق فايقظتهم الصدمة الحضارية التي وصل إليها الغرب وأقضت مضاجعهم ولكنهم كانوا في وضع لايحسدون عليه قياسا بما كانوا عليه في صدر الإسلام حيث مر على المسلمين تجربة الالتحام بالثقافة اليونانية ونقلها، ولكنهم كانوا في وضع متفوق وفي عافية من الناحية النفسية والعلمية والحضارية وقد أشرفوا عليها من خلال نظرة الإسلام إلى الكون والحياة؛ ولذلك استطاعوا غربلتها وتميز طيبها من خبيثها وأقروا ما فيها من صحيح « . . . والآن تأتيهم التقنية الغربية الحديثة وهم في وضع مختلف نفسيا وعلميا وحضاريا» (العسال، الإسلام والتقنية الحديثة، ١٤٠٤هـ، ص ٢١٨).

وهنا لم يتمكن العقل المسلم من الوقوف أمام الحضارات المعاصرة موقف الند للند وحرية القبول والرفض وصلاحية التميز كما وقف أمام الحضارات المعاصرة في صدر الإسلام. (الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، ١٤٠٧هـ، ص ٣).

لقد كانت نتيجة ضعف المسلمين في العصر الحاضر وتخلفهم أن وقعوا تحت سيطرة الغرب الذي فرض عليه معطياته وتقنياته والتي قامت هي بدورها بايقاف النظام الإسلامي وتجميده في مختلف مجالات الحياة العملية والعلمية.

وعند التحقيق يجد المرء أن هناك عوامل كثيرة كانت سببا في تخلف المسلمين في المجال العلمي التقني، وإليك موجزا عنها :

أ - الأسباب المادية لتخلف المسلمين اليوم علميا وتقنيا.

ومن هذه الأسباب:

١- تمزق العالم الإسلامي المعاصر إلى أكثر من خمسين دولة واحتلال أجزاء عديدة من أراضي المسلمين، وهذا أدى إلى تشتيت المقومات المادية والروحية والطاقات البشرية للمسلمين.

٢- تفشي الأمية بين المسلمين البالغين في هذا العصر.

٣- إهمال دراسات العلوم والتقنية في العالم الإسلامي المعاصر.

٤- قيام مختلف المؤسسات العلمية والتقنية الحديثة في دول العالم الإسلامي كافة على أنماط مستوردة لا تنبع من عقيدتها.

٥- استمرار اعتماد المسلمين على جامعات الغرب أو الشرق في تكوين طاقاتهم العلمية المتخصصة.

٦- انعدام التخطيط والتنسيق والتعاون بين مختلف المؤسسات العلمية والتقنية في العالم الإسلامي المعاصر.

٧- عدم وجود الحوافز المادية والمعنوية الكافية للمشتغلين بالبحث العلمي والتقني في مختلف دول العالم الإسلامي المعاصر.

٨- عدم توفر وسائل البحث العلمي والتقني من الأجهزة والمواد والمعدات والقوى الفنية السائدة والخدمات المكتبية والتوثيقية المتطورة في كثير من دول العالم الإسلامي.

٩- اعتماد الجامعات والمعاهد الفنية ومراكز البحوث في كثير من دول العالم الإسلامي المعاصر على أعداد كبيرة من الأساتذة والفنيين غير المسلمين.

١٠- عملية تمييز غير المسلمين في جامعات ومعاهد ومراكز بحوث بعض دول العالم الإسلامي المعاصر.

١١- تسليم المراكز القيادية في معظم جامعات العالم الإسلامي ومعاهده ومراكز بحوثه إلى أقل الناس تأهلا وهذا تفريط لأمانة المسؤولية والقيام بتبعاتها.

١٢- اعتماد الدول الإسلامية على الاستيراد من الدول الأخرى بدلا من التكامل الاقتصادي والصناعي والزراعي فيما بينها مما أدى إلى خنق كثير من النشاطات الصناعية والزراعية في العالم الإسلامي. (النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، كتاب الأمة (٢٠) ١٤٠٩هـ، ص ١١٤-١٢٧).

ب - الأسباب المعنوية لتخلف مسلمي اليوم علميا وتقنيا

١- غياب التطبيق الصحيح للإسلام نظاما شاملا للحياة وهذا الغياب أدى إلى فقد المسلمين دورهم القيادي الذي يفرض عليهم ضرورة السبق في كل اتجاه نافع ومنها العلوم والتقنية.

٢- غياب الفهم الصحيح لرسالة الإنسان المسلم في هذه الحياة وخاصة ممن يملكون دفة تسيير الأمور وفي العالم الإسلامي.

٣- غياب الشعور بالمعنى الحقيقي للأخوة الإسلامية وواجباتها.

٤- الصراع الشديد بين دعاة التغريب، وأغلبهم ممن يرعاهم ويمدهم أعداء الإسلام في العالم الإسلامي ودعاة التأصيل - وهم كثرة ينقصها السلطان - وهذا مما أفقد مراكز الإسلام والعلم في أغلب الأحيان وحدة الهدف والغاية والوسيلة.

٥- الشعور الداخلي عند كثير من المسلمين المعاصرين "قيادة وأفرادا" بالانهزام والتخلف والضعف والعجز عن مسايرة التكتلات العالمية في تقدمها العلمي والتقني والاستجداء منها.

٦- غياب البيئة الصالحة للتقدم العلمي والتقني والتي توفر حرية الفرد وتصون كرامته وتعمل على توفير أسباب العيش الكريم لهم وتقاوم الجهل وتسعى جاهدة للقضاء عليه وتكرم العلماء وتبجل رسالتهم. (النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ١٢٩).

هذه هي الأسباب الحقيقية لتخلف المسلمين علميا وتقنيا على الرغم من أنهم يملكون مقومات ليست عند غيرهم ويأتي على رأس هذه الأولويات العقيدة الإسلامية التي جمعت بين الأبيض والأسود والعجمي والعربي وجعلتهم سواسية كأسنان المشط ولو وعي المسلمون هذه الحقيقة لظفروا بقيادة العالم، ولكنهم تنازلوا عن حقهم فاستحقوا أن يكون في مؤخرة الركب ومتطفلين على موائد غيرهم بعد أن أعرضوا عن ذكر الله سبحانه وتعالى وإضافة إلى المقوم العقدي الذي يعتبر الركيزة الأساسية لتوجيه المقومات الأخرى؛ فإن هناك مقومات أخرى يمكن أن يجعل من المسلمين قادة العالم، وهي مقومات بشرية وأرضية وبحرية واقتصادية وتعليمية ولو استغل المسلمون هذه المقومات وجعلوا منها نهضة علمية تقنية إسلامية شاملة في كل اتجاه لتربعوا على كراسي الحكم، وكانوا جديرين بقيادة الأمة. (النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ١٣١-١٣٩).

وقد قدم "زغلول راغب النجار" (١٤٠٩هـ) وسائل مادية ومعنوية إضافة إلى المقومات التي تمتلكها الأمة الإسلامية بحيث إذا أخرجت إلى حيز التنفيذ لأمكن

انقاذ الأمة والعالم من المعيار المادي الذي انحصر في السبق العلمي والتقني الذي يعتبر الوسيلة المادية لإسعاد البشرية أو أفنائها على حد سواء وسوف تتحقق نجاة العالم من الهاوية التي يتردى إليها اليوم بسبب توجيه الجانب التقني والعلمي توجيها ضارا ولتحققت سعادة الدنيا والآخرة إذا استلم قيادة العالم المسلمون الحقيقيون لاالمستسلمون. (ص ١٣٨-١٤٥).

٤ - وسائل مواجهة التقدم العلمي:

يصاب الإنسان المسلم بالإحباط والاكتئاب ويتنابه القلق والاضطراب إزاء حالة المسلمين وضعفهم في مختلف أنشطة الحياة، ومنها ميدان التقدم العلمي والتقني. فهل هذا الضعف عائد إلى الإسلام أم إلى المسلمين؟

وهل المسلمون الأوائل كان لهم دور يذكر في هذا الميدان أم لا؟

لا يريد الباحث هنا أن يتوغل في أشياء قد لاتكون ذات صلة بالبحث ولكن يؤكد حقيقة مؤداها أن العقل المسلم «لم يرفض معطيات غيره ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يقبلها بالكلية فقد كان يملك في تركيبه الخاص ومن خلال منظوره العقيدي المقاييس الدقيقة والموازين العادلة التي يمرر من خلالها تلك المعطيات فيعرف جيدا ما يأخذ ويعرف جيدا ما يدع». (خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة (٤) ١٤٠٥هـ، ص ٦٥).

إن القرآن الكريم هو الذي دفع المسلمين دفعا إلى مختلف مجالات المعرفة في الكون وحثهم على تسخير العلم الذي يحصلونه في ترقية حياتهم على الأرض والإفادة منه في تعميق إيمانهم بالخالق جل وعلا، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

ويجدر هنا أن يؤكد الباحث أن العلم في المفهوم الإسلامي يختلف عن مفهوم العلم الحديث وهو ما تأخذ به الشعوب غير الإسلامية فالعلم في المفهوم الحديث «هو القواعد التي بنيت على الملاحظة والتجربة والاستقراء وهو بهذا المفهوم يختص بالجانب المادي، وأن دائرته الكون والسماء والأرض وما بين السماء والأرض». (محمود، موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة، ١٣٩٩هـ، ص ٤٦). في حين أن العلم بالمعنى الإسلامي دائرته أوسع، حيث هو «المعرفة بكل نافع من الأمور، إنه المعرفة

بالكون وماوراء الكون بالوجود المادي وبالوجود الروحي، إنه المعرفة بالآفاق وبالأنفس وفي نطاق ذلك يدخل العلم بالمادة أو العلم بالمفهوم الحديث». (محمود، موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة، ١٣٩٩هـ، ص ٤٧).

إن هذا المفهوم الإسلامي للعلم هو الذي سار عليه المسلمون في عصر الرسالة وفي عصور الازدهار العلمي، وقد أثمرت هذه النقلة البعيدة التي نقلها الإسلام للعقل البشري ثمارا هائلة في ميادين العلوم المختلفة، وكان العقل المسلم سباقا في هذا المضمار انطلاقا من دعوة القرآن الكريم إلى ارتياد الآفاق ودراسة الأنفس واستغلال الطبيعة واستخراج خيراتها، فحلق العقل المسلم في هذه الميادين، وكان عطاؤه رائعا في مختلف الميادين من طب ورياضيات وكيمياء وفيزياء، وكانت مرحلة العطاء والإبداع تمثل قمة العقل المسلم الذي كان يعتبر ضربا من الخيال في ذلك العصر، ولم يكن عقل المسلم في العلوم التي سبقته تقتصر على الأخذ والتقليد، وإنما نخلها ونقدها، وأضاف إليها إضافات أصيلة إبداعا واختراعا.

وهكذا مضت قافلة الإسلام تقدم أروع نتائج عقول أبنائها للبشرية جمعاء، وذلك نتيجة أن المسلمين في عصر الرسالة والعصور التي تلته انكبوا «على دراسة العلوم الكونية واعتبروا كل علم نافع من قبل الفرض الواجب "فاستفادوا" من حضارة الأمم الأخرى، فجدوا فيها وهضموها وطبعوها بطابع إسلامي متميز، فاصبحت الدولة فيما بعد معينا للعلوم ينهل منه كل ظامئ وغدت أستاذا و إماما للبشرية الضالة والإنسانية الحائرة». (سعادة، الإسلام وتربية الإنسان، ١٤٠٥هـ، ص١١١).

إن الانتقاء الحضاري الإسلامي كان دقيقا ومتقنا فالعقل المسلم استفاد من غيره دون ذوبان في الكيانات الأخرى المعاصرة له واستوعب المعارف والثقافات القديمة «إنه لم يكن مجرد اقتباس ولكنه هضم وتمثل وتطعيم مرسوم هدفه الخروج على الناس بألف نوع من الفاكهة والثمار مختلفة الأشكال والطعوم ولكنها تسقى بماء واحد، إن هذا الموقف الحضاري المتبصر الموزون حقق مردوده الإيجابي الفعال ليس على مستوى الحضارة على الإسلامية فحسب لكن عبر نطاق الحضارات جميعا، وهو خلال هذا كله إنما كان يؤدي وظيفة لم تؤدها من قبل حضارة أخرى بهذه السعة والعمق حماية التراث الحضاري البشري وتمكينه من البقاء في مواجهة تحديات السقوط والنسيان والفناء» (خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ١٤٠٥هـ، ص٦٦-٦٧).

إن موقف المسلم من الحضارات المعاصرة له في عصر الرسالة وعصور الازدهار العلمي كان موقف اقتباس لا تقليد ولا اقتداء يعمل عقله ويستخدم حواسه ويسخر طاقاته في خدمة دينه وعقيدته لم يكن مستسلما منبهرا منكفئا على نفسه بل كان معتزا بدينه وعقيدته معتدا بشخصيته واثقا من نفسه تعامل مع الحضارات المعاصرة له باعتبارها موادا خامة فصنع منها ما يناسب قيمه وعقيدته ومبادءه وصهرها صهرا جديدا وأبعد عنها عناصر المادية وأخضعها لدينه الإسلامي.

بهذه الصورة المشرقة المشرقة كان وقوف العقل المسلم من الحضارات السائدة لم يخضع ولم ينبهر ولم يذب في كيان غيره بل كان صورة مشرقة وضاحة على مر العصور، وليكن موقفنا من الحضارات المعاصرة مثل تلك المواقف التي سطرها يراع المسلمين ومؤلفاتهم.

إن الإسلام لم يقف يوما ما في وجه التقدم والعلم فهو يقدر الجهود الفكرية في الإنسان، وما من دين حث على استخدام العقل غير الإسلام.

إن المسلمين بتكاسلهم وإعراضهم عن دينهم وعجزهم عن مسايرة غيرهم في التقنية هم آثمون أمام الله وسوف يحاسبون على تقصيرهم وتفريطهم في ذلك؛ لأن حماية الدين يتطلب من الإنسان المسلم أن يكون قويا في دينه وعقيدته وفكره، فهو دين لا يرضى بالتخلف ولا الخمول ولا الجهل وتأخر المسلمين في مضمار العلم والتقنية ليس حجة على الإسلام، بل إن الإسلام حجة على المتخلفين الذين قصرت هممهم عن مسايرته وتلبية ندائه، وقد أحسوا الآن بمدى تقصيرهم فأخذوا يحاولون اللحاق بالركب. (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٥/ ١٤٩٤).

وتأكيدا على أن الإسلام طرق مختلف العلوم ونبه إليها ودعا إلى دراستها، يقدم الباحث آية من كتاب الله تعالى ليجد المرء المسلم فيها هداية للحيارى وحثا على الأخذ بجميع مظاهر التقدم والتطور التقني في الحياة. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨).

ففي هذه الآية قصر الله الخشية على العلماء فما أصناف العلم التي وردت في

هذه الآية؟

إن نزول الماء من السماء لا يعرف إلا بعلم الطبيعة، ولا يعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء ولا يعرف الإنبات والأثمار وأثر الماء فيها وخواصه إلا بعلم النبات، ولا يعرف الجبال إلا بعلم طبقات الأرض، ولا يعرف اختلاف الأجناس «ناس ودواب وأنعام إلا بعلمي أصل الشعوب والحيوان، فهذه الآية جمعت في كلمات قلائل بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا وحثت على دراسة هذه الأنواع؛ لأن دراستها بتعمق يؤدي إلى خشية الله تعالى وتقواه.

هناك فرق بين مفهوم التقدم التقني في الإسلام وفي الفكر الغربي، فالغرب يرى التقدم ماديا خالصا بينما الإسلام يشمل التقدم المادي والمعنوي فكل تقدم في الإسلام يجب أن يقوم على التحرر من عبودية غير الله ومن عبادة ماسوى الله، وأن تجري حركة التقدم في إطار أخلاقي لا في إطار مادي». (الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد، ١٣٩٤هـ، ص ٢٣٩).

يقول "سيد قطب" (١٣٩٣هـ) في كتابه "في ظلال القرآن" أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿يعلمون ظهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الأخرة هم غفلون﴾ (الروم: ٧): «ولو بدأ في الظاهر أنهم علماء وأنهم يعرفون الكثير، ذلك أن علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق سننها الثابتة وقوانينها الأصلية . . . ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها مع آخر يعيش لهذه الدنيا واحدها ولا يتنظر ماوراءها لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة . . . وهذا هو الأوفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلام البشرية إليه ويرفعها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان - الخليفة في الأرض - المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله». (٥/٢٧٥٨-٢٧٥٩).

إن الإسلام دعا أتباعه إلى استخدام الجانب العقلي وذلك عن طريق:

١- تربية الحواس وتنميتها.

٢- القراءة والكتابة وأثرهما في تربية العقل.

٣- التوسع في تعلم العلوم.

٤- دراسة الظواهر الكونية واستخلاص العبر منها.

٥- التحرر من هالة الأشخاص وآرائهم.

٦- ممارسة المنهج العلمي في التفكير والدعوة إلى التفكير الابتكاري. (مقبل، محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، ١٤٠٩هـ، ص ٢٥٣-٢٦٢).

لقد قرر الإسلام أصولا تمنع من الجمود العقلي وتحمي من التحجر الفكري، وهي في ذاتها أمر ضمني لمسايرة التقدم التقني في شتى مظاهره وذلك من خلال منهجية معينة منها:

أ- الإسلام دين البرهان:

لايقبل شيئا إلا بالبرهان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾. (النمل: ٦٤).

ب- الإسلام دين اليقين:

يحذر من الظن واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ (الأنعام: ١١٦).

ج- يرفض التقليد ويدعو إلى الاستقلال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ (البقرة: ١٧٠).

د- الإسلام يدعو للأخذ بالأحسن.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٨).

يقدم "ناصر بن علي بشيه" (١٤٠٤هـ) في رسالته للماجستير والتي عنوانها: "التربية الإسلامية والتحديات في المجال التقني" تصورا مقترحا لمجابهة التقدم العلمي التقني يتلخص في النقاط التالية:

أولا: إدخال الشخصية الإسلامية في التقنية، وذلك عن طريق:

أ- ممارسة التعليم المهني ضمن برنامج التعليم العام وغرس حب العمل في نفوس الناشئة.

ب- أن يتولى الإعلام الإسلامي الكشف عن تحديات واتجاهات التقدم التقني ضد الإسلام، وذلك بعرض المآخذ والسلبيات التي يكتنفها هذا التقدم ومحاولة نقضها مع عرض الإسلام وحثه على الحرف والمهن المختلفة.

ج- الانتقال من شكل التعليم العام النظري إلى محتوى التعليم العملي بحيث تحاول

التربية تحبيب العمل إلى المتعلمين ونزع الحواجز النفسية منهم والاجتماعية .

ثانيا : تعريب العلوم الطبيعية ومنجزاتها التقنية حتى يفهمها أبناء المسلمين ونزع الجانب الإلحادي والمادي منها وجعلها منطلقة من منطلقات إسلامية .

ثالثا : تدريس العلوم بمنهج إيماني : بحيث تغرس في نفوس الناشئة عظمة الخالق ومحبته وتزيل الفجوة القائمة بين العلم والدين والتي تعتبر ظاهرة وافدة غير إسلامية .

رابعا : الاستفادة من التقدم التقني دون تشرب الفكر الدخيل المصاحب ؛ لأن تشرب الفكر يقضي على الاستفادة منه ويجعلنا نعيش في دائرة التبعية والتقليد . (ص ٢٤٥-٢٥٥) .

خامسا : ضرورة وجود «بيئة علمية ترسخ مفاهيم العلم الصحيح وتزيل ركام عصور الانحطاط والتقليد وتوجد الإنسان صاحب الموقف والقضية المسلح بالمعايير الصحيحة والأخلاق الكريمة والذي يدرك أنه في ميدان جهاد واجتهاد وفي معركة حياة أو موت» (العسال ، الإسلام والتقنية الحديثة ، رسالة الخليج العربي ، ع/ ١٣ ، س/ ٤ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٢٠) .

سادسا : تسليح ذلك الإنسان المسلم «بالرؤية الإسلامية الصحيحة التي تنبع من آفاق المعرفة الإسلامية الشاملة وتصورها للكون والحياة والإنسان» . (العسال ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٢٠) .

وتقديم نماذج من إسهامات العلماء المسلمين في هذا الميدان شحذا للهمة وإثراء للفكر وتوعية للإنسان المسلم بدورات الحضارة الإسلامية وبمجد أسلافهم واجتهادهم وبالإضافات التي قدموها للعلم في هذا المضمار .

أما " زغلول بن راغب النجار " (١٤٠٩هـ) فيقدم في كتابه " قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر " تصورا مقترحا للخروج من هذه الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي ويحصرها في النقاط التالية :

أولا : المقومات :

وهذه المقومات ذات شقين مقومات مادية ومقومات بشرية ، فمن النوع الأول يمتلك العالم الإسلامي مقومات قد لا تتوفر عند غيره من الأمم الأخرى ، منها :

المقومات البشرية والأرضية والبحرية والإقتصادية والتعليمية . (ص ١٣١-١٣٨) .

وتعتبر هذه المقومات عاملا مساعدا لا رئيسيا ، وإلا فإن أول مقومات التقدم البشري - ومن أسسه التقدم العلمي والتقني هو الإسلام ذاته . (ص ١٣١) .

وبما أن العالم الإسلامي يملك هذه المقومات البشرية والتي تساعده على أداء رسالته في العالم كله ، فإن هناك مقومات أخرى :

ثانيا : الوسائل المادية :

وهي وسائل كثيرة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- «المبادرة بالعمل على محو الأمية بين المسلمين في خطة محددة الأجل ؛ لأن الأمة الجاهلة لا يمكن أن يتحقق بها أي تقدم» .

٢- «إعادة بناء النظم التعليمية على أسس إسلامية صحيحة وموائمة لاحتياجات مجتمعاتنا» .

٣- «العمل على إنشاء سلسلة من المؤسسات الإسلامية للعلوم والتقنية» ولها مهام متعددة أوصلها "النجار" إلى ثمانية عشر مهمة ، ومنها «المبادرة بالعمل الجاد لتوحيد الأمة الإسلامية على مراحل منطقية عملية» . «والعمل على إعادة كتابة العلوم البحتة والتطبيقية من تصور إسلامي صحيح عن الإنسان والكون وعلاقتهما بالخالق العظيم» (ص ١٣٨-١٤٠) .

ثالثا : الوسائل المعنوية ، ومنها :

١- «العمل على إحياء المفهوم الصحيح للبحث العلمي والتقني في الإسلام وبلورة النظرية الإسلامية للعلوم والتقنية ، ووضع التفاصيل الدقيقة للدستور الأخلاقي الذي يفرضه الإسلام في هذين المجالين ، وذلك لأن العلم لا يكون عملية مادية خالية من القيم الروحية والأخلاقية ، وإلا أصبح وبالا على أهله وعلى الإنسانية جمعاء» .

٢- «إحياء الشعور بالانتماء للأمة الواحدة بين المسلمين حتى يتهيؤ وللوحدة الشاملة ويبدأوا بالعمل الجاد لها ويقضوا على العصبيات الجاهلية المقيتة التي استخدمت في تفتيتهم وتشتيت إمكاناتهم» .

٣- «الدعوة إلى الالتزام الدقيق بالإسلام الصحيح على مستوى الأمة أفرادا

ومجتمعات والعمل على تطبيق قيمه وأهدافه حتى يتقلص تأثير عمليات التغريب التي تعرضت لها الأمة الإسلامية طوال القرن الحالي بصفة خاصة، وحتى تتمكن القاعدة المسلمة من تحقيق حلمها بالحكومة الإسلامية إن شاء الله».

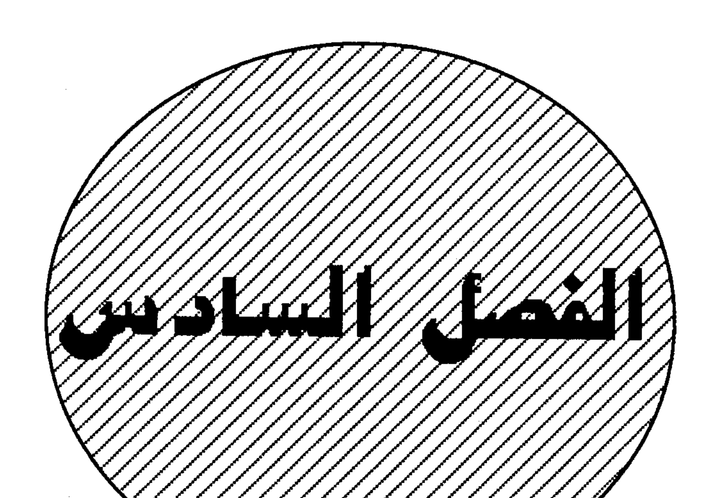
٤- «إبراز إضافات المسلمين للعلوم في مختلف العصور وتحقيق تراثهم والعمل على نشره وتعليمه ودراسة الشخصيات البارزة من علماء المسلمين قدامى ومعاصرين لإعادة الثقة إلى نفوس مسلمي اليوم ودفعهم إلى النهوض بمسؤولياتهم». (ص ١٤٢-١٤٣).

لقد أصبح حال العالم الإسلامي في الجانب العلمي التقني حال الطفل الرضيع الذي لا يستغني عن ثدي أمه، وهي حالة يندى لها الجبين إذ هو عالة على غيره، والسبب في ذلك بعده عن دينه وعقيدته وركونه إلى الترف والراحة والتصوف وظهور الأحزاب التي شتت العالم الإسلامي إلى فرق متناحرة إضافة إلى تفشي الأمية بين أبنائه والتي تصل إلى نسبة عالية إضافة إلى عدو يتربص بالمسلمين الدوائر.

إن أعداء المسلمين «يدركون أيضا إن تمكينهم لنا من تكوين علاقة وصلة مباشرة بالعلوم العلمية التقنية دون المساس بتصورنا وعقيدتنا وفكرنا يجعلنا نتناول هذه العلوم الحضارية بعزة إسلامية لا بعزة أوروبية، وفي ذلك الخطورة مافيه، إنها نقطة التحول ونقطة نزع الريادة ونزع القيادة من يد الغرب والشرق . . .

إننا حينما نتناول هذه الحضارة بعزة إسلامية فإنما نتناول بضاعتنا التي ينبغي أن ترد إلينا؛ لأننا أهلها . . . أهلها لا بأشخاصنا ولا بجنسياتنا، وإنما بما نحمله من عقيدة وتصور إيماني فريد وبما في قلوبنا وأيدينا من مؤهل يحمل القدرة على ترشيد الحضارة وتوجيه دفتها من الجفاف إلى الخضرة ومن البطون والشهوات إلى الأفئدة والعقول . . . ومن الطين والأرض إلى السماء». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ٩٩-١٠٠).

ومن هنا «أدرك المسلمون حينما تربوا على الإسلام أن قضية الاهتمام بالناحية العلمية هي قضية تعبدية بالدرجة الأولى وليس مجرد الحصول على شيء من القوة والغلبة أو التسلط في هذه الدنيا فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى في هذا الكون فهو يتعرف على خالقه». (الجندي، الفكر الغربي، ١٤٠٧هـ، ص٢٢٧).



الفصل السادس

مبدأ التربية للعمل

تمهيد

أولا: مبدأ التربية للعمل من خلال الاستراتيجية

ثانيا: مبدأ التربية للعمل من منظور التربية الإسلامية

تمهيد:

يعتبر العمل ركيزة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي، وتعاني الأمة الإسلامية تخلفا شديدا في هذا الميدان، وذلك عائد إلى النظرة الاجتماعية للعمل وغلبة الدراسات النظرية على العملية في نظامه التربوي.

وانطلاقا من هذا يحاول الباحث أن يطل على تقرير الاستراتيجية ليرى معالجته لهذا الموضوع المهم في حياة أمتنا الإسلامية التي أصبحت في مؤخرة الركب بسبب إهمالها لهذا الجانب.

ثم يردف بعد ذلك الحديث عن هذا المبدأ من منظور التربية الإسلامية.

أولا: مبدأ التربية للعمل من خلال الاستراتيجية.

١- العقيدة الإسلامية والعمل:-

التربية لا تقتصر على جانب المعرفة في التعليم، بل تدعو إلى مبدأ الشمول والتكامل والاهتمام بالجوانب الأخرى، ومنها: «الاهتمام بالعمل لتكون التربية تهذيبا للأخلاق والسلوك وتأثيرا في واقع الحياة وتجديدا متواصلا لها». (ص ٢٦٧).

وبما أن «النظرة الشاملة في الإسلام للإنسان والمجتمع تسري إلى الإنسانية جمعاء . . . فالمساواة هي الأساس والعمل الصالح هو المعيار في التمييز، ﴿يأيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم﴾(الحجرات: ١٣) ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف: ١٥٨). وإنما يتفاوت الناس وتتفاوت الأمم بالعلم والعمل». (ص ٤٥).

يرى التقرير أن العقيدة الإسلامية تحث الإنسان على استغلال الطبيعة واستثمار خيراتها ويعتبر أن عدم استغلال هذه الطبيعة انتكاسة للعقل العربي ويدل بكل تأكيد على أن هذه المواقف «هي مواقف تخالف ما توحي به أصول العقيدة الإسلامية من تآلف بين الإنسان والطبيعة ودعوة إلى النظر فيها ودراستها واستثمار خيراتها ومن دعوة إلى العمل والاعتماد على النفس». (ص ١٠١).

ويعلل التقرير أن ضعف المسلمين أمام استغلال الطبيعة عائد إلى المحتل الأجنبي الذي فرض التخلف على أبناء العالم العربي وجعل استثمار موارد الطبيعة محتكرا عليه متصلا بأهدافه ومقاصده هادفا إلى عزل المواطنين عن مصادر ثروة بلادهم

وحرمان الإنسان العربي من حقوقه الأصيلة في التعليم والعمل. (ص ١٠١).

ويؤكد التقرير على أن الإسلام قرر مبادئ مهمة لتنظيم المجتمع اقتصاديا، ومنها:

أ- يبطل الإسلام الاستغلال ويقدس حق العمل.

ب- يأمر الإسلام بتوزيع المال.

ج- يكره طغيان الغنى.

د- حرم الإسلام الربا.

هـ- حرم الاحتكار.

و- أما العمل فمقدس وكسبه مفضل على كل كسب.

ز- اعتنى الإسلام بالعجزة عن العمل غير مختارين أو متبطلين أو متواكلين وفرض لهم الزكاة ولم يغبن من يسعى ويجد في رزقه. (ص ٤٥).

ثم يرى التقرير أن "هذه المبادئ" هي أساس مجتمع الكفاية والعدل؛ لأنها تنكر احتكار الثروة في طبقة واحدة وتنكر احتكار التجارة في الأسواق العامة، وتفرض على المجتمع كفالة أبنائه من العجزة والضعفاء والمحرومين وتجعل حق الفرد رهينا بمصلحة الجماعة، وتؤكد أهمية العمل قيمة وحقا وواجبا وهي في جملتها مبادئ لإقرار الاشتراكية الحقة فلسفة ونظاما بوصفها عدالة اجتماعية». (ص ٤٥).

ثم يذكر التقرير أن من أسس مبادئ العمل سلامة الخلق والمشاركة في الشعور وهذا أمر يوجبه الإسلام على أتباعه «ويؤكد هذا المضمون الاجتماعي للمجتمع الإسلامي أنه لا سيادة لطبقة فيه على طبقة ... فإن ما انطوى عليه من أوامر ونواهي وما فرضه من آداب في السلوك والمعاملة إنما هو قوام لكل الأخلاق الديمقراطية، وهي صالحة للأخذ بها في مجتمع قائم على المساواة وعلى التعاون بين الأقوياء والضعفاء وبين الصغير والكبير وبين الحاكم والمحكوم وبين المنتج والمستهلك وبين العامل وصاحب العمل». (ص ٤٥).

ولما فهم المسلمون الإسلام فهما جيدا انعكس هذا الفهم على حياتهم العملية فقد «كان ملحوظا في التربية العربية منذ بواكيرها الأولى أن تشتمل على الجوانب العملية وأن تعني بما هو نافع للمتعلمين وتشير إلى ذلك مناهج الدراسة وما زخرت به

الحضارة العربية من أنواع الفنون والصناعات، ومن نماذج العمران، وقد بلغ العرب شأوا عاليا في الطب والصيدلة وتدريب الاخصائيين في هذه الفنون والمجالات». (ص ٦٤).

ومما يدل على الاهتمام بالجانب العملي أن البيمارستان «كانت أشبه بمدارس الطب الحديثة عندنا من حيث أنها تلحق بالمستشفيات الكبيرة فتلقى فيها الدروس ويتاح للطلبة فرصة تطبيق ما درسوه على ما يعاينونه من أعراض الأمراض وخصائصها وطرق علاجها». (ص ٦٣).

لقد أسهم العرب في مختلف العلوم الرياضيات والطب والفلك والكيمياء والفيزياء، واهتدى العرب إلى المخترعات والصناعات، وهذه الإسهامات عائدة إلى أن نظام العقيدة تحث على استخدام العقل. (ص ٤٧-٥٣) وعدم الجمود عند النصوص ذاتها، أو تفاعل العقيدة الإسلامية مع تطور مجتمعها وصلاحها ومرونتها في الاستجابة لحاجاته ومشكلاته المتجددة. (ص ٤٧).

لقد كانت النزعة العقلانية والأخلاقية من أهم تقدم الحركة العلمية والعملية، إذ أن النزعة الأخلاقية مستمدة من أصول العقيدة وتحمل الإنسان أمانة أعماله وجعل سعيه في الدنيا موصولا بمصيره في الآخرة. (ص ٥٦).

٢- فقدان الملائمة بين التربية ومطالب العمل:

في (ص ١٥٥) من التقرير يرى محررو الاستراتيجية أن جمود الأنظمة التربوية واتخاذها أشكالا وقوالب مكررة في البيئات المختلفة أدى إلى عدم الملاءمة بين التربية ومطالب المجتمع واحتياجاته من الأيدي العاملة، «فالحركة بين أنواع التعليم على المستوى الواحد ضعيفة أو معدومة كما هو الحال بين التعليمين: الأكاديمي والتقني ... كما أن مفهوم التعليم في هذه الأنواع لم يستوعب بعد مبدأ التربية المستمرة، وبالتالي فهي تقسم حياة المتعلم بين مرحلتين منفصلتين: مرحلة التعليم المدرسي ويعقبها مرحلة التدريب والعمل في الوظائف والمجالات المختلفة، وبذلك ينفصل التعليم عن الحياة وتنقطع الصلة بين العلم والعمل».

وهذا يدل على «أن الجانب العملي لم يأخذ مكانه في التربية العربية بعد، حتى يبدو غياب هذا العنصر العام في جميع مراحل التعليم، وكذلك في الدراسات التي

يعتبر جزءا منها، فهناك تحيز واضح وصارخ للدراسات النظرية حتى في العلوم الطبيعية والدراسات التكنولوجية، وهناك تباعد كبير بين نشاط المدارس والمعاهد ونشاط المؤسسات المختلفة في مجالات الانتاج والخدمات. وفي أحسن الحالات نجد محاولات لإدخال هذا العنصر، ولكن بصورة هامشية أو إضافية وليس بصورة مباشرة ليكون من صلب العملية التربوية» (ص ١٥٤).

ويؤكد التقرير على أن نسبة التعليم الفني مازال دون المستوى المطلوب حيث تصل نسبة الملتحقين بهذا التعليم إلى ٦٪ وقد تصل إلى ١٧ ٪ في كل من مصر وتونس وليبيا. (ص ١٥٠).

ويعزو التقرير تدني هذه النسبة إلى ضيق مفهوم التنمية الذي ينحصر في الجانب الاقتصادي باعتباره يوفر فرص العمل ويتبعه تحسن في الأحوال الاجتماعية والثقافية إضافة إلى أن هذا المفهوم التنموي هو من نواتج التربية الغربية ومرتبط بنماذج أنظمتها التربوية، وهنا «كانت أهداف التعليم تخريج فئات من العاملين في القطاع الحديث من الخدمات خاصة، وتبرز منها وظائف دواوين الحكومة والوظائف الكتابية والإدارية في المؤسسات تؤيد هذه الأهداف اهتمام المواطنين بها واعتبارها سبيلا للتقدم الاجتماعي والاقتصادي وترتب على ضآلة ذلك القطاع فيض من المتخرجين الذين لا يصلحون للعمل في مجالات الإنتاج الأخرى، وبرزت مشكلة عدم الملاءمة بين النظام التربوي وبين مطالب العمل في كثير من البلاد العربية يصدق ذلك على سائر مراحل التعليم وعلى مرحلة التعليم الثانوي بالذات . . . وتجلت هذه المشكلة في ضآلة التعليم الفني بالقياس إلى التعليم العام في هذه المرحلة، سواء من حيث نسبة الملتحقين أو من حيث المنزلة الاجتماعية أو من حيث الإمكانيات وتطوير المناهج والدراسات . . . فإن التعليم الفني مازال متعثرا بطيئا في حركته متخلفا في رسالته لايجذب الناشئين إليه، ولا تتوافر لهم فيه الإمكانيات والأساليب الحديثة في التعليم والتدريب، ومازال يحتاج إلى تطوير في المحتوى والطرائق وفي المكانة والموارد البشرية والمادية». (ص ١٤٩).

وإذا كانت الكفاية الداخلية ضعيفة، وهي دون المستوى المطلوب فإن الكفاية الخارجية ستكون في مثل هذا المستوى من الضعف أيضا.

٣ - ضعف النظام التربوي في البلاد العربية وأسبابه:

إن ضعف الكفاية الخارجية للنظام التربوي عائد إلى أسباب عدة منها :

١- «الأخذ بمفاهيم ضيقة للتنمية . . . ويلاحظ في هذا المجال تخلف مناهج وبرامج التعليم عامة عن حاجات التنمية الشاملة في البلاد العربية، فواضعوها من التربويين دون العاملين في مجالات الإنتاج والخدمات» (ص ١٥٤).

٢- «ويتصل بذلك أن الجانب العملي لم يأخذ مكانه في التربية العربية بعد» (ص١٥٤).

٣- «غموض مفهوم الأسبقيات في عمليات التنمية، وفي التخطيط التربوي ذاته مما جعل الطلب الاجتماعي هو الموجه لحركة التعليم عامة والتعليم الجامعي خاصة، ومما جعل عمليات التطوير داخله بعيدة عن مطالب التغيير ودوره الإيجابي في أحداثه» (ص ١٥٤).

٤- عدم الوضوح بشأن عمليات نقل التقنية «ومتضمناتها بالنسبة لبرامج التربية وعلاقتها بالمجتمع وبنوعية مخرجاتها، فهي تؤخذ إلى الآن على أنها استيراد الآلات وأجهزة حديثة لا على أنها أساس تنمية اتجاهات ومهارات ومواقف ايجابية حضارية تجعل من البيئات العربية أوساطا صالحة لتقبلها وتوليدها وتطويرها» (ص ١٥٤-١٥٥).

٥- «جمود الأنظمة التربوية واتخاذها أشكالا وقوالب مكررة في البيئات المختلفة بالبلاد العربية . . . وبذلك ينفصل التعليم عن الحياة وتنقطع الصلة بين العلم والعمل». (ص ١٥٥).

٦- إضافة إلى «عدم وجود علاقات وقنوات سليمة تصل مؤسسات التربية في شتى المراحل بالمجتمع في تطوراته ومتغيراته ومشكلاته وحاجاته، وقد حجبها انعزالها بهذه الصورة عن أسباب تجديدها وعن دورها في المجتمع في آن واحد». (ص١٥٤).

٤ - حل قضية مبدأ التربية للعمل:

والحل في رأى تقرير الاستراتيجية يتمثل في النقاط التالية :

أولا : هناك أهداف تسعى الاستراتيجية إلى تحقيقها إزاء الضعف الذي ينتاب الأمة

العربية في الجانب العملي، ومن ذلك أن الأمة العربية وجدت «أن مشاركة الجماهير في تقرير مصيرها يتطلب تحقيق الأمن الاقتصادي وإتاحة العمل للجميع فجعلت العدالة الاجتماعية هدفا رئيسيا لها» (ص ١٠٧).

كما أن الأمة العربية أدركت «في سياق نضالها أسباب التخلف الذي عانته في الماضي والذي هبط بمستواها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الحاضر فجعلت التنمية الاقتصادية والاجتماعية هدفا أساسيا من أهدافها» (ص١٠٨).

ثانيا: الأخذ بمفهوم التنمية الحديث من أجل تقدم المجتمع وتحقيق الرفاهية لأبنائه القائمة على وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع وتتحقق التنمية الشاملة عن طريق:

١- «تأكيد العلاقات المتبادلة بين التربية وبين منظومات النشاط المجتمعي الأخرى وبينها وبين التنمية عامة وتميز كل منها بالشمول والتكامل واعتمادها على الإنسان غاية وأداة على السواء» (ص ٢٣٠).

٢- التنمية بمفهومها الحديث تؤكد على «تنمية الإنسان من حيث مهاراته وكفاياته وقيمه ومواقفه نحو الحياة والمجتمع ونحو العمل وتنمية المجتمع وتوفير الحقوق الإنسانية الأصيلة لجميع المواطنين وتمكينهم من النهوض بواجباتهم وتحقيق وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع وما تتطلبه من الديمقراطية والمساواة ومن إحداث التغيير في المجتمعات والشعوب وإعداد الأفراد للمساهمة فيه والتكيف لمطالبه» (ص ٢٣٠)

٣- «العناية بالبيئة وصيانة مواردها والحفاظ عليها من جوانبها الطبيعية والتاريخية والثقافية وتطوير التربية والتنمية معا وفقا لخصائصها وتنمية المواقف السليمة إزاءها وحسن استثمار خيراتها واعتبارها مصدرا غنيا للتربية وللتنمية على السواء» (ص ٢٣٠).

ثالثا: الاهتمام بالربط بين الفكر والعمل:

وهذا يعني أننا ننظر إلى الإنسان نظرة شاملة متكاملة فلا تقتصر على جانب دون أخر، بل لا بد من إحداث توازن في حياته بين الجانب الروحي والمادي وبين الدين والدنيا وبين الفكر والعمل ليحدث انسجام تام في شخصيته» (ص ٤٣).

وكان الاهتمام بالربط بين الفكر والعمل قائما منذ صدر الإسلام وعلى امتداد التاريخ العربي، وهذه الممارسات الفعلية لم يخل منها جيل من الأجيال. (ص ٦٧).

إن من مبدأ التربية للعمل هو «عناية التربية بالربط بين الفكر والعمل باعتبارهما جانبين رئيسين في الخبرة الإنسانية» (ص ٢٣٣).

رابعا: التربية الدينية والعمل:

تعتبر التربية الدينية «هي المستجيبة لحاجة الإنسان العميقة إلى العقيدة وإلى الإيمان بالإله خالق الكون وما يؤدي إليه من إقرار مكانة الإنسان في الوجود وفي المجتمع ومن استشعاره القوة والثقة والاطمئنان في الحياة وقدرته على مواجهة مشكلاتها وتطوير شخصيته بصورة متوازنة من جميع جوانبها وسعيه في العمل الصالح للدين والدنيا وفي خير المجتمع والإنسانية» (ص ٢٧٠).

ويؤكد التقرير على أن استغلال الطبيعة واستثمار خيراتها ومن دعوة إلى العمل والاعتماد على النفس هو موقف إيجابي تدعو إليه العقيدة الإسلامية. (ص ١٠١).

خامسا: التربية والعمل التقني:

التربية تهتم بالإنسان من جميع جوانبه وتدعو إلى الشمول والتكامل والتوازن في حياته ومنها «الاهتمام بالعمل لتكون التربية تهذيبا للأخلاق والسلوك وتأثيرا في واقع الحياة وتجديدا متواصلا لها» (ص ٢٦٧).

إن التربية لابد أن تضع صيغا متعددة «وتنطلق من حيث المبدأ من اعتبار العمل بجميع أنواعه الجسمية والفكرية والمجتمعية ركيزة من ركائز التربية ومجالا لتنمية الشخصية وتتألف أصلا من الخبرات العملية وما تشتمل عليه من المهارات الحركية والحسية وتشمل الإدراك والتفكير والممارسات الجمالية والمجتمعية وتتطور بما يتفق مع نمو الشخصية وتطورها وتؤدي إلى أساليب الانتاج وربطها بوظائفها المجتمعية وفي مجالات الزراعة والصناعة والخدمات ليكون العمل متصلا بكرامة الإنسان وبشرفه مؤديا إلى تقدم المجتمع ورفاهيته وهكذا يتم التأكيد على العمل من حيث هو قيمة حضارية ذات وظائف إنسانية مجتمعية ومن حيث هو مهارة جسمية وعقلية» (ص ٢٧١).

سادسا: التربية الاقتصادية والعمل:

«وتشمل الاهتمام بالعمل وبالأساليب السليمة في الإنتاج وتنمية الكفاية والموارد عن طريقه وحسن استثمار تلك الموارد ومراعاة المواقف العقلانية في الاستهلاك والادخار والاستثمار ورعاية مصلحة الجماعة والثروة القومية والعمل على تنميتها وصيانتها وما يرتبط بهذا كله من قيم أساسية مثل الاتقان والدقة في العمل وتجنب التبذير والإسراف وتقدير الزمن وحسن استثماره وتشمل الاتصال بالمجتمع والعناية بالبيئة وصيانة مواردها.

إن الاهتمام بهذه النواحي التربوية لابد أن يأتي في إطار التطوير الشامل المتكامل لمحتوى التربية بجملتها تأكيدا لما بينها وبين النواحي الأخرى من التكامل وارتباط بعضها ببعض وإنما جاء التأكيد عليها خاصة لما تتعرض له من بعض لضعف بسبب الإغفال والإهمال في واقع التربية العربية نفسها» (ص ٢٧٢).

لقد أسهم المحتل الأجنبي في جعل المجتمع العربي مجتمعا استهلاكيا يعتمد على نتاج الصناعة الغربية ويلتفت إلى أدواتها الترفيهية والكمالية ويستنفذ فيها جزءا كبيرا من ثرواته من دون الالتفات إلى الأدوات والآلات الانتاجية فيها وضاع في خضم هذه النزعات كثير من الحرف القديمة التي تكشف عن مهارات شخصية لأصحابها وعن علاقات نفسية إيجابية بين العامل المحترف وانتاجه.

وساعدت بعض القيم والعادات التي انتشرت في عهود الانحطاط . . . على انتشار مواقف واتجاهات سيئة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي» (ص ١٠٢).

وبالتالي ضعف تقدير العمل «وضعفت القيم المتعلقة بتقدير العمل لذاته والسعي إلى اتقانه واحترام القانون وسيادته . . . كما ضعفت القيم الخاصة بتنظيم العمل وتقدير الزمن اللازم له وضبط مواعيده وتنظيم التعاون في أدائه مما تقتضي به أصول العقيدة من ناحية والمعايير الحضارية المعاصرة من ناحية ثانية» (ص ١٠٢).

كما أن سياسة المحتل الأجنبي +عدم تقدير العمل اليدوي وعدم تقدير الحرف المتصلة به . . . +انسياق النظام التعليمي في ترسيخه أدى إلى إهمال الجانب العملي في النظام التربوي في الوطن العربي. (ص ١٠٢).

ثانيا: مبدأ التربية للعمل من منظور التربية الإسلامية.

تمهيد:

لايشك أحد بأن للعمل أهمية كبيرة في حياة الأفراد والأمم والدول وأن تخلف العالم العربي عائد إلى إهماله لهذا الجانب المهم وركونه إلى التقاعس والتواكل، وأن طريق بعث العمل من جديد يأتي عن طريق النظام التربوي من خلال إعادة التوازن بين الجانب النظري والعملي أو التعليم العام والمهني والاهتمام بالمتعلمين وتوجيههم نحو احتياجات المجتمع وتلبية مايتطلبه من أعمال ومهن فالشباب هم مصدر القوى العاملة والذي ينبغي للمناهج توجبهم ناحية العمل المفيد.

هناك مؤتمرات أقليمية ودولية تبذل من أجل إعادة التوازن بين المقررات النظرية والعملية وبما أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" «تستمد مصادرها من نشاط المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" فإن منظمة "اليونسكو" قد قامت بجهود جبارة للنهوض بالتربية في العالم العربي، وقد أثمرت هذه الجهود برئاسة "ادجار فور" رئيس اللجنة الدولية للنهوض بالتربية» وصدر عن هذه اللجنة توصية مؤداها «ضرورة أن يكون التعليم المهني والفني عنصرا أساسيا في العملية التربوية -التعليمية وأن يسهم التعليم الفني في تحقيق أهداف المجتمع».

وفي هذا المسار حذت منظمة "اليونسكو" ونظمت جامعة الدول العربية ممثلة في "إدارة الثقافة" حلقة دراسية حول التعليم المهني وتابعت "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" اهتمامها بالموضوع وعقدت عدة مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية لتوحيد أسس المناهج والخطط الدراسية في الوطن العربي وضرورة التكامل بين التربية والعمل، منها:

١- دورة حول التعليم الثانوي وتنويعه في البلاد العربية في عمان عام ١٩٧٢م.

٢- دورة حول التعليم الثانوي وتنويعه في البلاد العربية في أبوظبي عام ١٩٧٧م.

٣- اجتماع المسئولين والخبراء لدراسة مكانة التعليم التقني والمهني "الفني" بالنسبة للتعليم العام في البلاد العربية في دمشق عام ١٩٧٨م.

٤- اجتماع المسئولين عن التعليم الفني في البلاد العربية بالكويت عام ١٩٧٦م.

٥- حلقة دراسية إقليمية لإدخال العمل الانتاجي في التربية ببغداد عام ١٩٧٩م.

٦- المؤتمر الإقليمي الثالث لوزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية بمراكش عام ١٩٨٠م، والذي أوصى بضرورة وجود توازن داخلي في التعليم الثانوي لتحقيق وظيفته في التنمية الاقتصادية والاجتماعية».

كما أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، دعت إلى ضرورة الربط بين الفكر والعمل وزيادة الصلة بين التربية والتنمية والتأكيد على الشمول والتكامل في التنويع في التعليم الثانوي. (حمادة، مناهج التعليم البوليتكنيكي، ١٤٠٦هـ، ص ٢٨-٣١).

وهناك عوامل كثيرة يقررها التقرير ويعزو ضعف النظام التربوي في العالم العربي إلى عدم ملاءمة التربية لمطالب العمل واحتياجات المجتمع فالكفاية الداخلية والخارجية للنظام التربوي ليستا في المستوى المطلوب في تحقيق مايهدف إليه المجتمع من توفير الأعداد الكافية لسد حاجاته وتلبية متطلباته من الأيدي العاملة فنيا ومهنيا.

أهمية العمل من منظور التربية الإسلامية:

من المعلوم لدى الجميع «إن هدف التعليم الإسلامي هو تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد اللّه حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه.

ومفهوم العبادة في الإسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على أداء الشعائر التعبدية فحسب، بل يشمل نشاط الإنسان كله من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل، مادام الإنسان يتوجه بهذا النشاط إلى اللّه ويلتزم فيه شرعه و يسير على نهجه تحقيقا لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)»، (مؤتمر التعليم الإسلامي الأول، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٧هـ، ص ٩٠).

وبما أن أي نشاط فكري كان أو عمليا يتحقق من خلاله عبودية اللّه سبحانه وتعالى فهو قربى ويؤجر عليه صاحبه.

إن العقيدة الإسلامية هي الإطار والمحك لكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان المسلم ويجد المرء هنا علاقة وثيقة بين العقيدة والعمل، فالتربية تستمد من العقيدة المبادئ على المستوى النظري وتحويلها إلى سلوك على المستوى الفعلي، ولهذا يقال «إن العبادة المتعدية أفضل من العبادة القاصرة، والعبادة المتعدية هي العمل الذي يفعله

الإنسان على سبيل العبادة ليتعدى بنفسه إلى غيره من الناس، والعبادة القاصرة هي التي يكون نفعها قاصرا على صاحبها وفاعلها». (علي، دراسات في التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ص ٥).

إن القرآن الكريم دائما يقرن بين الإيمان والعمل الصالح ليؤكد هذه العلاقة الوطيدة التي ينشدها، وهي ربط سلوكيات الناس بالعقيدة الإسلامية حتى يظل الإنسان المسلم مشدودا إلى خالقه في كل صغيرة وكبيرة، ومن ذلك على سبيل المثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ . (الكهف: ١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ﴾ (العصر: ١-٣).

ومما يدل على أهمية العمل في التربية الإسلامية أن لفظة العمل في القرآن وردت في أكثر من (٣٥٩) موضعا وفي جميع هذه الموضوعات يكون الحديث إما عن صفة الصلاح أو صفة السوء حيث يوصف العمل بأنه "عمل صالح" أو "عمل سوء".

وقدم القرآن نماذج للعمل الصالح، منها:

١- العمل السياسي: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩)

٢- العمل الزراعي: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ (يس: ٣٥).

٣- العمل المهني: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (الكهف: ٧٩).

٤- العمل الصناعي: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَلِحاً﴾ (سبأ: ١١).

٥- العمل الوظيفي: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة: ٦٠)

٦- العمل الفكري التربوي: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا﴾ (فصلت: ٣٣). (الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص ٤٧-٤٨).

ثم يؤكد "الكيلاني" (١٤٠٨هـ) العلاقة الوثيقة بين العقيدة والعمل أو الإيمان والعمل ويرى أن اقتران العمل بالإيمان من باب اقتران الوسيلة بالهدف «فالإيمان يتضمن أهداف الحياة ومقاصدها بينما يتضمن العمل الوسائل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف والمقاصد» (ص ٤٨).

ويقرر "الكيلاني" (١٤٠٨هـ) نتيجة مؤداها أنه «لايتصور هناك مسلم بدون

عمل، فصورة المؤمن المتنسك العاجز صورة غير إسلامية وهي بعض رواسب تراث الكهانة التي سبقت الإسلام ولذلك أيضا لم يكن الزهد والورع والتقوى انقطاعا عن العمل وإنما هي مرادفات للعمل الصالح والحديث النبوي يقرر أن الزهد ليس بتحريم الحلال وإضاعة المال وإنما الزهد أن يكون الإنسان أوثق بما في يد الله منه مما في يده فيهون عليه البذل ولا يتردد في التضحية» (ص ٤٨-٤٩).

ويرى الدكتور "عبد الغني عبود" (١٣٩٧هـ) في كتابه "في التربية الإسلامية" أن الانشقاق بين العلوم الدينية والدنيوية لم يحدث في عصور الازدهار العلمي حيث «يدلنا تاريخ التربية الإسلامية الطويل على أن التوازن بين علوم الدين والدنيا كان موجودا في عصور القوة والازدهار الإسلاميين وإن هذا التوازن لم يختل إلا في عصور الضعف التي لا تحسب على الإسلام وإنما يمكن حسابها على التخلي عنه، ومع هذا التوازن بين علوم الدين وعلوم الدنيا في منهج التعليم في الإسلام كان هناك تركيز على بعض العلوم دون بعضها الآخر حسب مرحلة النمو وحسب مرحلة التعليم وحسب التخصص الضيق في مراحل التعليم العليا في المساجد ودور الحكمة والجامعات فيما بعد» (ص ١١٧-١١٨).

وهذا يعني «أن منهج التعليم في الإسلام منهج "وظيفي" هدفه تخريج وتشكيل "إنسان" مسلم عارف بدينه وربه، يتحلى بأخلاق القرآن ويتصرف وفق قواعده ومبادئه، وفي الوقت ذاته تخريج "إنسان" فاهم للحياة قادر على أن يعيش حياة كريمة في مجتمع حر كريم يقدر على أن يعطيه ويساهم في حركة بنائه ودفعه وتطوير الحياة فيه من خلال عمل معين يتقنه ويجيده». (عبود، في التربية الإسلامية، ١٣٩٧هـ، ص١١٧-١١٨).

إن التربية الإسلامية تقوم على دعامتين أساسيتين إزاء التقدم العلمي التقني.

أ - «أسس فكرية تربى العقل على التفكير المنهجي المستنير وعلى استخدام قوى الكون وتسخيرها وشكر الله عليها».

ب - «أسس نفسية تربى الإنسان على احترام العمل والشعور بالمسؤولية، وحب الإتقان والتوجيه المهني والتعاون على الخير مع أخيه الإنسان والقناعة والغنى النفسي والتكافل الاجتماعي» (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. ١٤٠٢هـ، ص ١٦٨).

وتأكيدا لأهمية العمل يحاول الباحث أن يقدم مزيد إيضاح عنه من القرآن والسنة وفيما يلي عرض لذلك:

أ- العمل في القرآن الكريم:

كما مر آنفا بأن لفظ العمل وردت في أكثر من (٣٥٩) آية من كتاب الله، وأما لفظ الفعل فقد وردت في (١٠٩) من الآيات القرآنية حيث ورد في بعضها مطلقا عاما يشمل العمل المادي والديني على حد سواء وهنا سيورد الباحث نماذج من آيات قرآنية تضمنت الإشارة فيها إلى بعض الصناعات والمهن التي يطلب من الإنسان المسلم أن تكون له حرفة أو مهنة يقتات منها ليعف نفسه وأهله عن المسألة:

١- ومن ذلك يجد القارئ أن القرآن قد حث على العمل الزراعي واليدوي وجعل هذا العمل من آيات الله العظام، حيث يحدث فيها إحياء الأرض وتفجير العيون قال تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٣٥).

٢- وحين دعا القرآن إلى مزاولة التجارة يلمس القارئ أنه يربط بين الجانب الروحي والمادي في آن واحد إذ لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر فهما يسيران في اتجاه واحد لتحقيق الغاية من البناء الأخلاقي المتكامل قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

٣- ومن الانتشار في الأرض بحثا عن العمل يحصل التعرف على أسرار الأرض والانتفاع بخيراتها ظاهرة وباطنة قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

٤- وتتضح ثمرة التأمل في الكون عند التعرف على الثمرة الفلكية خصوصا والعلمية في مثل قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥).

٥- فالبحث عن العمل هو قرين الجهاد والغزو في سبيل الله قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠).

٦- والقرآن حث على التعليم الصناعي حتى إن القارئ يجد أن ذا القرنين جمع بين العلم والقدرة والآلة وأضاف هذا الفضل إلى الله سبحانه وتعالى قائلا: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ (الكهف: ٩٨).

٧- وأمر اللّه نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام أن يقوم بصناعة السفينة ليستعين بها على تبليغ أمر اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: ٣٧).

٨- وفي مجال الصناعة يمتن اللّه على عباده بأنه أنزل الحديد الذي فيه منافع للناس في معاشهم وعاقبة أمرهم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

٩- وفي مجال صيد الأسماك واستخراج اللآلئ والمرجان من البحار والاستفادة منها يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤).

١٠- لقد أطلق القرآن على الإيمان التجارة قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الصف: ١٠-١١).

وقرن العمل بالصلاة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠).

وقرن العمل بالجهاد: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ... وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠).

وقرن العمل بالحج وانتفاع الناس بالتجارة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨).

فهذه الآيات القرآنية في مجملها تدل على أهمية العمل وأنه ضرورة من الضروريات الحيوية ولا يمكن لأحد الاستغناء عنه وأن العمل لابد أن يقترن بالعقيدة الإسلامية ولا انفصال بين التربية والعقيدة بل هما كل متكامل، وهذا يدل على أن الجانب المادي مرتبط بالجانب الروحي فلا فصل بينهما سواء في العقود والمعاملات أم في غيرهما؛ لأن مصدر ذلك الوحي الإلهي، كما أن الآيات ذكرت بعض الأعمال التي يمكن للمسلم أن يزاولها ويتقن واحدة منها تناسب قدراته واستعداداته.

ب - العمل في السنة النبوية:-

المسلم «مطالب بالعمل إلى آخر رمق في الحياة حتى ولو قامت الساعة وفي يده

فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها» (القرضاوي، أين الخلل، ١٤١٢هـ، ص١٣).

إن العمل «في الإسلام عبادة وجهاد سواء كان عملا للدين أم للدنيا إذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله تعالى» . (القرضاوي، أين الخلل، ١٤١٢هـ، ص ١٣).

وانطلاقا من هذا ربى الرسول ﷺ أصحابه على الاعتداد بالذات والاعتماد على النفس والإقبال على الأعمال اليدوية والفكرية والفنية حيث وضح عليه الصلاة والسلام شرف العمل وأهميته عند الله في مناسبات شتى ويجب إحياء هذه التربية النبوية ليتحقق لأمتنا الإسلامية العز والسؤدد والقيادة والتوجيه والوقوف في مصاف الدول المتقدمة موقف الندية لا موقف الخنوع والضعف والاستسلام بسبب إهمال هذا الجانب.

ومن أدلة هذه التربية النبوية ما يلي:

١- يقول عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، قال وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده» . (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٤/ ٢٥٩).

ففي هذا الحديث رغب الرسول ﷺ في العمل والاعتماد على النفس ولا يأنف الإنسان عن تعاط مهنة يتكسب منها عيشه حتى ولوكان ذا جاه أو عظيما في قومه فهذا نبي الله داود يأكل من عمل يده ويحس بلذة غامرة «وهكذا ربط النبي ﷺ هنا بين لذة الكسب وتحصيل القوت وضروريات الحياة، وبين شرف العمل» . (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ١٧٧).

٢- وفي التوجيه للعمل اليدوي وإن كان وضيعا عند بعض الناس يحث الرسول ﷺ على السعي على طلب الرزق ليعف الإنسان نفسه عن التسول وإهدار كرامته وإشعاره بعزة نفسه واستقلاله ذاتيا، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ٢/ ٢٣٤-٢٣٥).

٣- ويرغب الرسول ﷺ في العمل ويكرم العامل بدرجة معنوية في الآخرة ويجعل

منزلة التاجر مع النبيين والصديقين حثا على العمل وتنفيرا عن الكسل، يقول عليه الصلاة والسلام: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**».
(الترمذي، السنن، ١٤٠٨هـ، كتاب البيوع، باب ماجاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، ٣/ ٥١٥، حديث رقم ١٢٠٩).

٤- ولم يقتصر الرسول ص على تكريم العامل في الآخرة، بل يكون التكريم أيضا في الدنيا، وذلك عن طريق أداء الأجرة إلى العامل دون مماطلة أو تأخير؛ لأن هذا الأداء يكون حافزا للعامل على أداء عمله وسرعة إنجازه وفيه حفظ لكرامته وشعوره يقول عليه الصلاة والسلام: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**».
(ابن ماجه، السنن، (د. ت)، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء، حديث رقم: ٢٢٤٣).

٥- ولا يكتفي الإسلام بهذا بل إنه يحدد عقوبة صارمة لمن يتهاون بدفع أجرة العامل ويماطله في حقه فيكون الله خصمه، ومن كان الله خصمه فلا يلومن إلا نفسه يقول عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**».
(البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا، ٤/ ٣٦٨، حديث رقم، ٢٢٢٧).

٦- وإذا كان الإسلام حفظ للعامل حقه ووضع له مكانة كبيرة في الآخرة ورفع درجته بحيث لاينالها إلا الصديقون، فإنه حثه أيضا على الإتقان في عمله يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**». (المناوي، فيض القدير، (د. ت)، ٢/ ٢٨٦، حديث رقم ١٨٦١).

٧- وقد جعل الرسول ﷺ العمل من أجل الكسب أو إعفاف الإنسان نفسه أو غيره جزءا من الجهاد في سبيل الله إن كان القصد منه شريفا يقول عليه الصلاة والسلام: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، ١٠/ ٤٣٧، حديث رقم ٦٠٠٦).

وتبرز قيمة العمل ومقارنته بالجهاد، كما في الحديث الآتي:-

«مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من خلقه ونشاطه فقالوا: «يا رسول الله! لوكان هذا في سبيل الله؟ فقال الرسول ﷺ: «إن كان خرج يسعى

على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». (المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ١٤٠٥هـ، ما أنفق المرء على نفسه وولده وأهله وذي رحمه وقرابته فهو له صدقة، ٢/ ٦٣، حديث رقم ١٠).

٨- ويحث الإسلام على توفير العمل للقادرين عليه وإرشادهم إلى أهميته وتوجيههم إلى العمل الذي يناسب قدراتهم واستعداداتهم ففي الحديث أن رجلا من الأنصار جاء النبي ﷺ يسأله فاستفسر الرسول ﷺ عن حاله، فأخبره بأنه يملك شيئا زهيدا فطلب منه الرسول ﷺ أن يأتي بهذه الأشياء الزهيدة وعرضها للمزايدة حتى بيعت بثمن يستطيع الرجل من خلاله أن يوفر شيئا لأهل بيته ويشتري أدوات تساعده على القيام بعمل يكتسب من خلاله القوت والزاد فعمل الرجل بتوجيهات الرسول ﷺ وعاد ظافرا غانما من عمله هنا قال عليه الصلاة والسلام: «...هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصح إلا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو دم موجع». (ابن ماجه، السنن، (د. ت) كتاب التجارات، باب المزايدة، ٢/ ٧٤، حديث رقم ٢١٩٨).

من خلال ما سبق يلمس القارئ أن القرآن والسنة يخرجان من مشكاة واحدة وأنهما يصبان في هدف واحد، وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى من خلال العمل المادي أو المعنوي، وأن العمل الذي يقوم به المرء فيه تحقيق مصالح كثيرة منها:

أ - تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى؛ لأن العمل مقترن بالعقيدة الإسلامية.

ب - تحقيق الاستخلاف في الأرض الذي لا يحصل إلا من خلال عمارة الأرض بالعمل الصالح والاستمتاع بخيراتها طلبا لمرضاة الله.

ج - إعفاف المرء نفسه أو من يعوله وتحقيق ذاتيته وحفظ كرامته ومكانته عند الله وعند الناس.

وعند إنعام النظر في هذه المبادئ يلاحظ القارئ لهذه الدراسة من خلال إطلاعه على بعض المبادئ التي يقوم الباحث بنقدها والتي مر ذكرها آنفا، والتي تبنتها الاستراتيجية العربية لتطوير التربية أنها مبادئ انتقائية مستمدة من فلسفات ونظريات

متعددة، وهذه الانتقائية طريقة نسبية لا يمكن قبولها من الأشخاص الذين لهم مشارب متعددة وثقافات متباينة وآراء مضطربة لفقدانهم المصدر الذي يستمدون منه هذه المبادئ ولكون ثقافتهم ثقافة غير أصيلة وهشة، وهي مخالفة للثقافة السائدة في المجتمع الإسلامي.

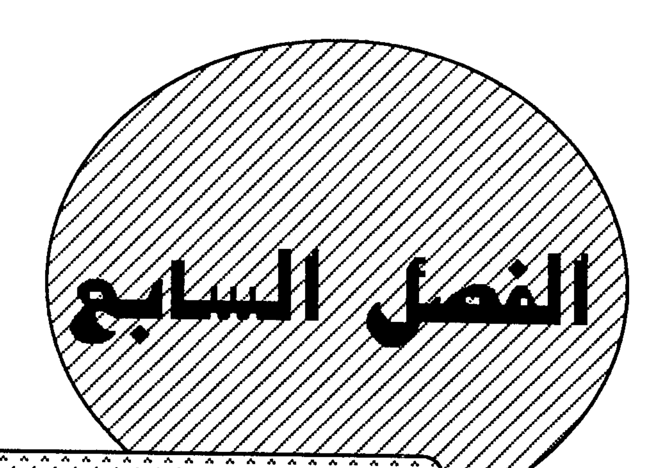
إن الباحث هنا يزداد دهشة وحيرة واستغرابا كلما انتقل من دراسة مبدأ إلى آخر، ذلكم أن هذه المبادئ ظلمات بعضها فوق بعض مجانبة للصواب ومناقضة لعقيدة الإسلام، وكم كان الباحث يتمنى أن يعثر على مبدأ يشفي العليل ويروي الغليل ويمكن الاستفادة منه مستقبلا إلا أن طبيعة هذه المبادئ كانت مخيبة لآمال الباحث ومثبطة لعزيمته حتى إنه يصاب بالدوخة والغثيان ونيتابه الإحباط ولا يستعيد أنفاسه أو نشاطه إلا بعد مرور فترة ليست بالقصيرة، وخاصة عند الانتهاء من المبدأ الذي يقوم بدراسته فيلتقط أنفاسه، ومن ثم يخلد إلى الراحة والاستجمام؛ لأنه عاد من معركة فكرية استنفدت قواه العقلية وانهكت جسمه بالإنكباب على دراسته.

إن طبيعة هذه المبادئ وتعقدها راجع إلى أصحابها الذين عبروا عما يدور في صدورهم من مفاهيم وتصورات بعيدة عن مفاهيم ومبادئ التربية الإسلامية وأن مصدر التلقي عندهم لم يكن مصدرا أصيلا بل كان مصدرا ثانويا مخالفا للمصدر الأصيل الذي يستمد المسلمون منه الزاد والغداء؛ ولهذا جاءت هذه المبادئ في صورة ممجوجة وغامضة، وهذا عائد إلى خلل في الفهم والتصور والسلوك عند محرري الاستراتيجية الذين قدموا للتربية العربية مبادئ انتقائية من نظريات غربية وأصحبت هذه المبادئ تشكل في مجموعها بيئة موبوءة بمختلف الأمراض الفتاكة.

إن من ينعم النظر في هذه المبادئ يجد أنها جزء من تحديات كبيرة يواجهها العالم الإسلامي الذي لم يستقل فكريا عن غيره والذي مازال يتطفل على الموائد الغربية والشرقية في أموره الحياتية، ومنها الميدان التربوي الذي يعتبر الركيزة الأساسية في بناء الناشئة.

هناك أخطار متعددة تواجه المسلمين في مختلف أنشطة الحياة وأخطر هذه التحديات هو وجود فئة من أبناء المسلمين يتصدرون مكان القيادة والريادة، وهم ليسوا بأهل لذلك، وإنما هم مدفوعون من حيث يشعرون أو لا يشعرون إلى هذه المناصب

الحساسة التي من خلالها يستطيعون أن ينفذوا أهداف أعداء الإسلام في التشويش على عقائد المسلمين وتحريفها وإبعاد الناشئة عنها، وهؤلاء مسخرون لتحقيق مثل هذه الأهداف الخبيثة التي تبث سموما قاتلة وأفكارا هدامة، ولهذا يجب على كل مسلم أن يفضح مثل هذه الشعارات، ويسقط هذه اللافتات الزائغة ويكشف المقولات الغامضة التي تختفى وراءها هذه المبادئ التي تبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة الإسلامية ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.



الفصل السابع

التعليم الإساسي

أولا: التعليم الأساسي من خلال الاستراتيجية

ثانيا: التعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية

تمهيد:

إن الإنسان المسلم في هذه الأيام تعتريه حالات من الإحساس بالتخلف والتبعية والسقوط الحضاري، وسبب ذلك أن الوضع التربوي القائم في العالم العربي هو فكر مختلط مضطرب لا يقوم على أساس متين أو بنيان راسخ غالبا، وإنما هو خليط من نظريات متعددة وثقافات متباينة وقليل منها ما يمتاز بالأصالة والمعاصرة ولا يرتقي إلى إيجاد المسلم الحقيقي.

إن هذا الوضع الذي يحياه وضع غير طبيعي وغير متوافق مع الوجود الحقيقي للإنسان المسلم الذي شغل الدنيا وقاد العالم وأنار طريق الإنسانية قرونا عديدة فحقه أن يكون رائدا وطليعة لا مؤخرة وساقة إنه سابق لا مسبوق وقائد لا مقود. (سلطان، الغارة على التراث الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٦).

إن سبب تخلف المسلمين عائد إلى مناهجهم الدراسية التي عجزت عن مسايرة العصر وتلبية متطلباته وبناء المسلم الحقيقي الذي يقود هذه المسيرة ويرتقي بها إلى أوج الكمال، وسلم الكمالات، وعجزها عن بنائه أوجد شخصيات مهلهلة في تفكيرها ضعيفة في خلقها عالة على غيرها تقتات على موائد اللئام وتتطفل على ثقافة غيره، وبالتالي كان هذا التعليم جناية عليه وعلى أمته ومن هنا يحاول الباحث أن يتطلع إلى الاستراتيجية ليرى هل قدمت العلاج الشافي والدواء الناجع من خلال التعليم الأساسي الذي يعتبر قاعدة رئيسية في النظام التربوي وفي بناء الشخصية السليمة التي تعمر الأرض وتحقق العبودية للّه تعالى من خلال هذه الغاية التي وجد من أجلها أم لا؟. وحديث الباحث عن التعليم الأساسي يرتكز على محورين: -

أولاً: التعليم الأساسي من خلال الاستراتيجية:

التعليم الأساسي أو "التربية الأساسية" هي حركة فكرية حديثة وإن كانت جذورها تمتد إلى الثلاثينات من هذا القرن، وقاد هذه الحركة الزعيم الهندي "غاندي" حيث دعا إلى تربية الطفل الهندي تربية أساسية تتضمن تعليمه عملا يدويا نافعا يجعله منذ بداية تعلمه عضوا منتجا في مجتمعه وينمو نموا روحيا وفكريا من خلال ذلك العمل، وأن يستمر في تعلمه ونموه ولا يقف عند حد تعلم القراءة والكتابة

ومحو الأمية . (رحمة، تجارب عربية في التعليم الأساسي، ودليل تخطيطه، ١٤١٣هـ، ص ٨).

إن الباحث لن يخرج عن موضوع دراسته وإنما أراد بهذه المقدمة البسيطة أن يشعر القارئ أن التعليم الأساسي هو حديث نسبيا، وسوف يقتصر الباحث في حديثه عنه من خلال "تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية" لتتضح الصورة عند القارئ والمطلع لهذه الدراسة وتكون الصورة واضحة في مخيلته عن التعليم الأساسي، وسيقوم الباحث بتجزئة التعليم الأساسي إلى نقاط ليسهل فهمه ومعرفته فيما يلي :

أ- مبررات وضعه على قمة الأسبقيات:

حاول التقرير أن يقدم تصورا مقترحا للأولويات التي يجب على الوطن العربي أن يجعل لها مكانة مرموقة في نظامه التربوي وعلل التقرير اهتمامه بالأسبقيات في التربية العربية للوطن العربي، وعزاها إلى الأمور التالية :-

(١) «إنها تعبر عن ضرورة مواجهة مشكلات حادة تجتمع فيها ومن حولها مواطن الضعف في التربية العربية بوجه خاص، وفي الحياة العربية بوجه عام، وهي مشكلات دارت حولها الحلول منذ مدة طويلة ولكنها مازالت قائمة بأحجام كبيرة، وتمتد آثارها إلى قطاعات رئيسية في المجتمع، وإلى جوانب حيوية في حركته».

(٢) «إنها تتناول قضايا ومشكلات تشترك فيها جميع البلاد العربية ولو بدرجات مختلفة نسبيا ومعالجتها بالتحليل والعرض ماثلة في ثنايا هذا التقرير».

(٣) «إنها تحتاج إلى تضافر الجهود سواء على المستويات القطرية أو القومية لأهميتها وخطرها في وضع أو استكمال البنية القاعدية اللازمة للانطلاق في حركة التربية والتجديد في نطاق التنمية الشاملة».

(٤) «إن هذه الأسبقيات تتصل مباشرة بمطالب التنمية وحاجتها من القوى البشرية ومن الظروف الاجتماعية المواتية التي تضمن لها الحركة والاستمرار».

(٥) «إن اختيار هذه الأسبقيات يتضمن التحرك من الفكر إلى الواقع والبدء بتطبيق الاستراتيجية المقترحة من المداخل التي يتوقعها المجتمع من أجل تقدمه نحو المستقبل المنشود». (ص ٣١٥-٣١٦).

وفي ضوء تلك الأمور يجد المرء أن الاستراتيجية قد حددت الأسبقيات ورصدتها ونصت عليها لكنها وضعت التعليم الأساسي في قمة الأسبقيات لأهميته واتصاله بمطالب التنمية وحاجتها من القوى البشرية، ولهذا جاءت الأسبقيات على النحو التالي:

أولا: «التعليم الأساسي: لإقرار الأصول الديمقراطية في التربية العربية ومعالجة مشكلة الفئات المحرومة».

ثانيا: «تنويع التعليم الثانوي: لتوفير الأطر المتوسطة اللازمة للتنمية الشاملة».

ثالثا: «تطوير مؤسسات التعليم العالي: لقطع مسافات التخلف بسرعة وتوجيه المستقبل العربي نحو الأهداف المنشودة وربطه بمطالب التنمية الشاملة».

رابعا: «تطوير الإدارة التربوية: لضمان سرعة الحركة وجودتها على مستويات العمل التربوي كله».

خامسا: «تطوير إعداد المعلمين وتدريبهم: للرفع من نوعية التعليم». (ص ٣١٦).

ب - أهمية التعليم الأساسي:

أما أهمية التعليم الأساسي والاعتبارات الأساسية التي جعلت له هذه الأسبقية فتتمثل في النقاط التالية:-

١- بروز أهمية التعليم الابتدائي على قمة الأسبقيات في الوقت الحاضر، وبروز أهمية قيمة الاستثمار في ميدانه، فهو يساهم في تحقيق أفضل توزيع للدخول وبخاصة في البلاد النامية، وأهميته تنبع من إقرار الأصول الديمقراطية للتربية والحياة الاجتماعية، وهذه الأهمية جعلت الجهود تتوجه إليه، لا على أنه مدارس ومناهج وإنما على أنه قضية اجتماعية حضارية يمكن للتربويين مواجهتها للتأثير في التنمية وصورها».

٢- «اعتماد مبدأ تكافؤ الفرص وإقراره كحق أصيل في التعليم لكل مواطن مع توفير الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمكنه من ذلك، والسعي إلى إيجاد الصيغ التربوية المناسبة لتربية الصغار والكبار بمقتضى هذا الحق».

٣- التحول من التنمية بمفهومها الاقتصادي البحت إلى مفهومها الشامل وإدراك أن

توزيع الدخول لا يأتي عن طريق آلية للنمو الاقتصادي، بل بتوجيه التنمية إلى تحقيق مشاركة أوسع في عوائدها ونتائجها عن طريق إيجاد عمالة منتجة كاملة تشمل العمل والفلاحين على السواء وتحقق لهم سبيل التغيير لأنفسهم ولظروفهم. وأن التنمية الشاملة تنظر إلى التعليم الأساسي على أنه ضرورة اقتصادية واجتماعية فهو السبيل إلى تمكين الجماهير التي لم تتأثر بنمو القطاع الحديث من الاقتصاد من المشاركة الإيجابية في عملية التنمية كعمال منتجين وليقوموا بأدوارهم كمواطنين وأعضاء أسرة وقادة في بيئاتهم يعملون في أعمال تعاونية وفي مجالات متعددة، ومعنى هذا إتاحة فرص التعليم والتدريب لجميع قطاعات السكان والارتفاع بأغلبيتهم فوق مستوى خط الفقر الاقتصادي والاجتماعي والتربوي.

وهذه الاعتبارات تجعل الاختيار بين الأسبقيات في مجال التعليم الابتدائي ذاته أمرا ضروريا لأمرين:

أ - «فهو يحتاج إلى إجراءات معينة في جميع البلاد العربية مع استثناءات قليلة في الوقت الحاضر للتوسع فيه وتحقيق مبدأ التعليم وسد الثغرات فيه بمواجهة مشكلة التسرب منه».

ب - «وهو يحتاج أيضا إلى جهود متواصلة لتحسين نوعيته ورفع مستوى الكفاية فيه».

ولكن البدء في الاختيار بين هذين الاتجاهين لا يعني إهمال أحدهما على حساب الآخر، وإنما يعني التأثير على توزيع الجهود بينهما، بما قد يضعف هذه الجهود بصفة عامة؛ إذ الملاحظ أنه يندر في البلاد النامية بصفة خاصة أن يتمكن التعليم الابتدائي -بما يتوافر له من إمكانات وبما يواجهه من مشكلات ناجمة عن حداثته وكثرة المطالب عليه- من الجمع بين الهدفين؛ ولهذا يصبح الاختيار موجها إلى تأكيد حق الجميع -صغارا وكبارا- في حد أدنى من التعليم الابتدائي حسبما تسمح به الحاجات وظروف كل قطر من الأقطار، وحسبما تمليه درجة التطور في الأنظمة التربوية لهذا القطر أو ذاك.

ذلك أن مفهوم التعليم الأساسي -مداه ومحتواه- يختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية في كل قطر من الأقطار، وبمدى ما يتوافر له من تطور

وإمكانات، وفي هذا الإطار يبرز مفهومان رئيسيان لهذا التعليم عند ترتيب الأسبقيات في مجاله وفيما يلي مزيد إيضاح عنهما. (ص ٣١٦-٣١٧)

ج - مفهوم التعليم الأساسي:

من خلال ما تقدم ذكره عن التعليم الأساسي والاعتبارات الأساسية في أهميته وبروزه على قمة الأسبقيات يتضح للقارئ أن للتعليم الأساسي مفهومين رئيسيين هما:-

الأول: له صفة تربوية والمقصود به توفير تعليم مناسب لجميع المواطنين، وهو يعني المستوى الأول من نظام التربية المدرسية ويمثل قاعدته، وقد يطول هذا التعليم في بعض البلاد العربية فيتجاوز ما يسمى بالتعليم الابتدائي؛ ليشمل إلى جانبه ما يسمى بالمرحلة الإعدادية أو المتوسطة، وقد يمتد أحيانا إلى أبعد من ذلك، فيشمل بعض سنوات المدرسة الثانوية أو كلها.

وتوفير مثل هذا التعليم بهذا المفهوم رهن بوفرة الإمكانات المالية وبتطوير قاعدة التعليم بصورة يتمكن بها من استيعاب جميع الناشئين في سن التعليم وبفاعلية التربية اللامدرسية ومساندتها للتربية المدرسية.

والثاني: له صفة اجتماعية، والمقصود به توفير حد أدنى من الفرصة التعليمية لأعداد كبيرة من الصغار والكبار لم يحظوا بحقهم في التعليم أو تسربوا منه بحكم القهر الاجتماعي، وضعف المستوى الاقتصادي، وهذا الحد قد يقتصر على الجزء الأول من المرحلة الابتدائية بحيث لا يقل عن الأربع سنوات الأولى منها، وهو في هذا محدد بقدرة الدولة على الإنفاق، وفي نفس الوقت بضرورة التزامها بتوفير الحق الأصيل في التعلم للجميع.

وترى الاستراتيجية أن التعليم بمفهومه الثاني قد يكون الصيغة المناسبة للبلاد العربية بصفة عامة ولبلاد معينة منها بصفة خاصة، وتؤكد الاستراتيجية أنه سبقت الإشارة إلى ضخامة مشكلة أمية الكبار فيها جميعا وإلى عجز أنظمة بعضها عن استيعاب جميع الناشئين في أنظمتها التربوية القائمة، ولهذا فإن هذا التعليم بهذا المفهوم يعتبر محاولة للوفاء بحاجات قطاعات رئيسية من السكان، وبخاصة الفئات المحرومة منهم خلال مدة زمنية معقولة، فهو تنظيم أساسي ومكمل لنظام التربية

المدرسية، وليس منافسا لها أو بديلا عنها يقصد به توفير تربية وظيفية ومرنة ورخيصة لهذه الفئات تأصيلا لحقها الأصيل في التربية وإقرارا للأصول الاجتماعية للديمقراطية». (ص ٣١٧).

د - المداخل التي جربت في المناطق الريفية لتطوير التربية فيها:

تذهب الاستراتيجية إلى هذا المفهوم للتعليم الأساسي ووضعه في مرتبة الأسبقيات لمواجهة جوانب القصور التي اتصفت بها المداخل التي جربت للنهوض بالتربية في المناطق الريفية وهذه المداخل هي:

١- تطوير محتوى التربية المدرسية وطرقها عن الطريق ترييف المدارس التقليدية ومحاولة إكساب التربية بعض الجدوى والوظيفية غير أن الإجراء التربوي كثيرا ما كان منعزلا مستقلا لا يسنده توافر الأعمال الانتاجية أمام المنتهيين من المدارس، ولهذا لم تنجح هذه الجهود في تثبيت هؤلاء في مناطقهم الريفية أو في تعميق مشاركتهم في الأعمال الانتاجية، "فترييف" المدارس التقليدية قد يكون مدخلا سليما إذا تم كجزء متكامل من التنمية الريفية وضمن خطة واسعة للعمالة، وقد يأتي ذلك بالجمع بين الجانب النظري والتدريب العملي وربطهما مباشرة بعملية إيجاد فرص جديدة للعمل.

٢- اتخاذ مشروعات لامدرسية أو برامج موازية للتربية المدرسية فهناك الكثير منها، والتي تتعدد في أهدافها وخصائصها وتختلف فيما تشمله من فئات غير أنها قد تعمل مستقلة وليس في إطار أو شبكة متكاملة مع غيرها من أجهزة التربية المدرسية ومشروعات التنمية.

٣- برامج محو الأمية الوظيفي على الرغم من أهمية الدور الذي تقوم به في تنمية مهارات الكتابة والقراءة كجزء من التدريب على مهارات العمل والأداء فإن نتائجها قد تكون مختلفة فبعض مشروعاتها يعاني من مشكلات تنظيمية ومن نقص في التوجيه ومن ارتفاع في الكلفة. (ص ٣١٨).

هـ - الفرق بين التعليم الأساسي والتعليم الابتدائي:

إن التعليم الأساسي يختلف عن التعليم الابتدائي من ثلاثة أوجه: -

أولا: إن أهدافه ومحتواه تتحدد وظيفيا في ضوء الحد الأدنى من الحاجات التعليمية

لفئات معينة وليس باعتبارها خطوات في السلم التعليمي .

ثانيا : إن الفئات أو المجموعات المقصودة من هذا التعليم ليست هي بالضرورة الأطفال الذين في سن الدراسة فقد تتفاوت هذه الفئات من حيث السن «فتشمل الأطفال والشباب والكبار» والخصائص الاجتماعية والاقتصادية «فتشمل الجماعات الحضرية والريفية والإناث والذكور والمشتركين والعاملين في برامج تنموية معينة» .

ثالثا : يأخذ نظام إيصال التعليم الأساسي صورا مختلفة «كإعادة تنظيم المدارس الابتدائية وبرامج التربية للامدرسية أو تشكيلات مختلفة من الجمع بين هذا وذاك» مع ملائمتها لحاجات مختلف الفئات وقلة الموارد والإمكانات .

وأهم ركن من أركان هذا التعليم توفير الحد الأدنى لحاجات التعليم «باعتباره شرطا أساسيا لمشاركة الأفراد في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذه الحاجات تشمل التعليم الوظيفي للقراءة والحساب والمعرفة والمهارة اللازمة للإنتاج وقواعد الصحة والممارسات العملية لها والتخطيط الأسري ورعاية الطفولة وأساليب التغذية السليمة والمعارف والمهارات المطلوبة لممارسة حقوق وواجبات المواطنة ويمكن تحديدها اجرائيا بأنها المجموعة الأساسية للتعلم التي ينبغي للجميع الحصول عليها، وقد تختلف هذه المجموعة في مكوناتها وفي أوزان عناصرها باختلاف البيئات وحاجات الأفراد ولكنها تكون في مجموعها المستوى الذي لا ينبغي الهبوط دونه في تكوين المواطن صغيرا كان أم كبيرا .

إن هذه المجموعة الأساسية للتعلم تستند إلى اتجاهات فكرية جديدة فالفكر التربوي الحديث يهتم بالتعليم المتناوب والتربية المستمرة غير أن الثغرات القائمة في التعليم الابتدائي في البلاد العربية تعتبر عائقا للأخذ بهذا الفكر، ولهذا فإن التعليم الأساسي بما يسمح به من تناوب بين العمل والتعلم قد يسد الثغرة بين التربية المدرسية والتربية اللامدرسية، ثم إنه يعتبر البناء الأصل لتحقيق مبدأ التربية المدرسية .

وثمة خط فكري جديد يستند إليه هذا التعليم، وهو النظر إلى البيئة وعملية التواصل بأبعادها الكثيرة على أنها النظام التربوي الحقيقي، وإن التربية المدرسية هي النظام الفرعي ولابد لها أن تتصل وتترابط بألوان التربية المدرسية، فقد ثبت أن ما يتعلمه الطفل يأتي من مصادر بيئية في لغة مختلفة غير المدرسية ، كما ثبت أن فشل المدرسة في

كثير من الأحيان يرجع إلى أنها تعمل من خارج البيئة لا في سياقها. (ص٣١٨-٣١٩).

و - ملامح التعليم الأساسي:

ذكرت الاستراتيجية أن من ملامح التعليم الأساسي أنه :-

١- يجعل من التعليم الابتدائي التقليدي جزءا من نظام إيصال الخدمة التعليمية للأطفال والشباب، حيث يمكن أن يوجد بجانبه برامج وألوان من التربية اللامدرسية، مثل: مراكز التربية الريفية، ومراكز محو الأمية المنتشرة في المناطق الريفية في البلاد العربية، والمدارس القرآنية التي مازالت قائمة والتي يمكن استثمارها وتطويرها كما هو الحال في موريتانيا.

٢- يتطلب مراجعة لسن القبول ومدة الدراسة بالنسبة للمدارس الابتدائية والبرامج الأخرى الموازية.

فقد تقتضي ظروف بعض البيئات برامج قصيرة ومكثفة تقدم للأطفال في أعمار متقدمة نسبيا وذلك اقتصادا للتكاليف وتحقيقا لمشاركة أوسع الفرص التعليمية.

٣- يتيح الفرصة لبرامج جديدة متنوعة مراعاة لمن يتركون التعليم في سن مبكرة، وهؤلاء قد يكونون أعدادا كبيرة سواء من الأطفال أو الكبار.

٤- يتطلب تغيرات موازية في إعداد المعلم وتدريبه أساسها تبسيط الطرق وتوجيه المحتوى وتكييفه لحاجات الأفراد في البيئة، وفهم نفسية المتعلمين.

٥- استخدام وسائل الاتصال والإعلام وبخاصة وسائل الإذاعة المرئية والمسموعة المتاحة في البيئة.

٦- إن هذا التعليم يتيح الفرصة لتربية مستمرة لا تنحصر في أعمار معينة أو مستويات معينة أو فترات معينة.

٧- إنه يتطلب إحداث تغيرات هامة في الجوانب الأخرى من النظام التربوي يتحقق فيها الربط بين التعليم والعمل عن طريق برامج تدريبية قد تكون قصيرة وفي مؤسسات أخرى ومفتوحة للكبار والصغار، وخاصة لمن يعملون في القطاعات التقليدية من الإنتاج، كما أن التعليم بعد الابتدائي قد يحتاج إلى إعادة توجيه لمواجهة التغيرات الحاصلة على هذا المستوى الأساسي. (ص ٣١٩).

وقد يبدو أن الأخذ بهذا المفهوم للتعليم الأساسي ينطوي على إدخال ما يشبه بالثنائية من ناحية حيث يقدم تعليما موازيا للجزء الأول من المرحلة الابتدائية على الأقل، ولكنه تعليم منته وبين التعليم الابتدائي يوفر تعليما أعلى مرتبة وينفتح على مابعده من ألوان مختلفة من ناحية أخرى، وقد يثار الاعتراض على هذه الثنائية في ضوء التفرقة في تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص ومحاولة تقصير المرحلة الابتدائية للكثرة من الأطفال والكبار، وقد يجد هذا الاعتراض تأييدا واسعا من جانب الآباء الذين ينظرون إلى المدارس الابتدائية على أنها السبيل الوحيد للتقدم الاجتماعي لأبنائهم.

غير أن هذا الاعتراض يقوم على افتراض أن التعليم الابتدائي بوصفه الراهن قادر على استيعاب جميع الأطفال خلال مدة معقولة وأن محو أمية الكبار ممكن في المستقبل المنظور بالوسائل والاستراتيجيات القائمة.

ولكن يبدو أن هذا الافتراض بعيد عن التحقيق، وخاصة على مستوى الوطن العربي جميعه بالنسبة لارتفاع نسبة الأمية عامة وبين الإناث خاصة، ولهذا فالبلاد العربية أمام اختيارين:

(أ) إما أن تتمسك بصيغة واحدة للتعليم الابتدائي، وهي القائمة والسائدة، وأن تكتفي به لخدمة نسبة معينة من الأطفال لا تتجاوز الآن ٦٥٪ ونسبة ضئيلة جدا من الكبار كما هو الحال في بعض البلاد العربية.

(ب) وإما أن تجد بديلا بجانب هذا التعليم يتيح الفرصة للجميع - الكبار والصغار والذكور والإناث وفي الريف والحضر- وفي تعليم يحقق لهم حدا أساسيا للمواطنة لا ينبغي الهبوط دونه.

- إن الأخذ بهذا البديل يتطلب تجنب التعريفات الجامدة أو القوالب المكررة للبنى التعليمية، وبخاصة فيما يتعلق بإتاحة الفرص التعليمية أمام الناشئين على مستويات أعلى، وهذا يعني توفير معايير ووسائل سليمة للاختيار تسمح للقادرين منهم بالتحرك إلى أعلى.

- وفي هذا المجال يمكن إحداث بعض التغييرات في نظام المدرسة الابتدائية للتقليل من هذه الفروق بينها وبين التعليم الأساسي فتنقسم إلى حلقتين: الأولى من أربع سنوات، والثانية من سنتين، وتكرس الجهود والتكاليف للحلقة الأولى حيث إنها

سوف تستوعب الكثرة من الأطفال والكبار، وسوف تكون أساسا شاملا ورهينا لتقدم القادرين منهم على مواصلة الدراسة بعد الانتهاء منها وبازدياد الموارد والإمكانات مستقبلا قد تتزايد أعداد الملتحقين بهذا الحلقة الثانية وتتقارب من الحلقة الأولى إلى أن تتحقق الأهداف الاجتماعية والتربية لجميع الفئات وتتحول المدرسة الابتدائية كلها إلى تعليم أساسي للجميع. (ص٣١٩-٣٢٠)

ز - التعليم الأساسي والحلول المقترحة للتربية العربية:

التعليم الأساسي البديل يقدم حلولا لمشكلات أساسية تعاني منها التربية العربية وتكلفها أموالا طائلة وتعوق مسيرتها نحو الأهداف المعلنة والمبادئ المقترحة للاستراتيجية الشاملة، فهو موجه:

١- للمتسربين من التعليم الابتدائي بأعدادهم المتزايدة.

٢- لضمان استمرار الطفل أواليانع في استثمارفرصته التعليمية إلى أقصى حد ممكن.

٣- للمعاونة في تحقق الإلزام في التعليم الابتدائي.

٤- للإسهام إيجابيا في محو الأمية وتعليم الكبار. (ص ٣٢٠).

وبه يتحقق مبدأ الشمول في ثلاثة أمور أساسية: -

الأول: الاتفاق على حظ أساسي من التعليم يتاح لجميع المواطنين صغارا وكبارا بلا استثناء، وأن يكون هذا الحظ من الأسبقيات التي تلتزم الدولة تنفيذها وتجعلها على رأس خطط التنمية الشاملة.

الثاني: معالجة مشكلة الفئات والمناطق المحرومة مباشرة والعمل على التوازن في توزيع الفرص التربوية، وجعل نموها وتعميقها وتعددها مضطردا ومنسجما مع أهداف العدالة الاجتماعية ومطالب التنمية الشاملة.

الثالث: أن يكون مبدأ تكافؤ الفرص في المستويات التالية للتعليم الأساسي مستندا إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة والاعتماد في ذلك على معايير موضوعية والتخلص من محاباة الفئات ذات النفوذ والتأثير أيا كانت.

وبهذه الأركان الثلاثة يمكن أن يكون التعليم الأساسي صيغة مرنة جديدة تواجه مواطن الضعف في البنية التربوية وفي البنية الاجتماعية على السواء وترسى قواعد المجتمع العربي المتعلم.

ح - طبيعة محتوى التربية :

حاول محررو الاستراتيجية أن يجعلوا من محتوى التربية نموذجا متكاملا يضم الخبرات الإنسانية والعلمية والعملية من أجل إحداث تغيير في نفسية المتعلمين وبحيث يحقق هذا المحتوى الأهداف التي تسعى إليها الاستراتيجية، وإليك ملخصا عن طبيعة محتوى التربية من وجهة نظر محرري الاستراتيجية :-

أولا : التربية الدينية.

يرى المحررون للاستراتيجية بأن الدين الإسلامي هو دين الغالبية العظمى من أبناء الأمة العربية ويؤلف نظاما متكاملا للإنسان وبالتالي فلابد أن تستند إليه التربية العربية وتستمد منه فلسفتها ومبادئها وقيمها الإنسانية فالإسلام في نظرهم عزز تقدير الديانات السماوية الأخرى. (ص ٢٧٠).

ثانيا : التربية الخلقية والاجتماعية :

ويرى تقرير الاستراتيجية أن التربية الخلقية والاجتماعية شاملة للقيم والفضائل الإنسانية، وقد أكدتها الديانات السماوية ومذاهب الفلسفة وحركة القومية العربية ومبادئها، وهي شاملة للاتجاهات والمواقف العقلانية في مواجهة المطالب المجتمعية ومشكلات الحضارة المعاصرة والاستجابة للجوانب الإنسانية فيها وتنميتها. (ص٢٧١).

ثالثا : التربية القومية :

وفيها تأكيد على التنشئة على الاعتزاز بالأمة العربية وثقافتها وحضارتها الإنسانية ونضالها في سبيل التحرر والوحدة وترسيخ النضال ضد الاستعمار والصهيونية، ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة العربية. (ص ٢٧١).

رابعا : التربية البيئية :

وهو تعريف المتعلم بالأشياء المحيطة به وغرس الاتجاهات السليمة نحوها من خلال وضع برامج شاملة تتخلل سائر الدراسات في سائر المستويات من البيئة وصيانتها. (ص ٢٧١).

خامسا : التربية العملية التقنية.

وهي تنطلق من اعتبار العمل بأنواعه الجسمية والفكرية ركيزة من ركائز التربية ومجالا لتنمية الشخصية، ولابد أن تؤكد التربية على أهمية العمل من حيث هو قيمة حضارية ذات وظائف إنسانية مجتمعية، ومن حيث هو مهارة جسمية وعقلية. (ص ٢٧١).

سادسا: التربية العلمية.

بحيث تؤكد على الجانب العلمي وعلى تطوير الشخصية وتمكينها من مواجهة المشكلات بالروح والمواقف والأساليب العلمية واستيعاب الثورة العلمية وما فيها من المبادئ والمفاهيم ونقدها والعمل على تطويرها وعلى تطبيقها في الحياة لخير الإنسان وخير المجتمع وإرساء أسسها القومية. (ص ٢٧١).

سابعا: التربية الجمالية.

وهي تؤلف ركنا أساسيا في الثقافة وفي حياة الأفراد وحياة المجتمع والأمة وفيها مجال الاستمتاع والإبداع والتعبير عن ذاتية الفرد وذاتية الأمة، وهي سبيل لإغناء الحياة وتعميق معناها. (ص ٢٧١-٢٧٢).

ثامنا: التربية العسكرية.

وهي جانب مهم وأساسي تفرضها أحوال الأمة العربية في المرحلة الحضارية بما تواجهه من تحديات خطيرة، ولا بد أن تتصل هذه التربية بالتربية الخلقية والقومية والعلمية وأن تكون بجملتها سبيلا لتحقيق التربية والبناء. (ص ٢٧٢).

تاسعا: التربية الصحية والرياضية.

وهي تشمل الاهتمام بالجانب الجسمي والنفسي معا، وتنمية العادات والاتجاهات السليمة والملائمة لها في مجالات التغذية والنوم والراحة والألعاب والرياضة بما يغني الحياة ويزيد من جدواها وبهجتها. (ص ٢٧٢).

عاشرا: التربية الاقتصادية:

وتشمل الاهتمام بالعمل وبالأساليب السليمة في الانتاج وتنمية الكفاية والموارد وحسن استثمارها، وهذا يرتبط بقيم أساسية مثل الإتقان والدقة في العمل وتجنب التبذير والإسراف وتقدير الزمن وحسن استثماره. (ص ٢٧٢).

ثانيا: التعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية:

تمهيد:

إن تطوير عملية التربية والتعليم في العالم العربي المعاصر أصبحت تشكل منعطفا خطيرا في حياة الأمة الإسلامية، وخاصة إذا أوسد الأمر إلى أناس ليس لهم علاقة أو صلة بالميدان الذي يراد له أن يطور على أيديهم وتسنموا مراكز القيادة والتوجيه لغيرهم، وهذه والله مصيبة عظمى وداهية كبرى وداء مستفحل.

إن ميدان التربية والتعليم هو الميدان المهم في حياة الأمة الإسلامية والذي من خلاله يمكن أن يتحقق للمجتمع الارتقاء بالمسلم طبقا لأهداف التربية والتعليم، ومن هنا يجب إعادة النظر في هذا الميدان ومحاولة تجديده بما يتلاءم وعقيدتنا الإسلامية.

لقد بذلت جهود عديدة من قبل الأفراد والمنظمات الأقليمية والدولية لتطوير التعليم الأساسي ، وكل منهم ينطلق من فلسفته التي يعتنقها ومن عقيدته التي يؤمن بها.

١- آراء في التعليم الأساسي:

فعلى سبيل المثال يجد القارئ أن الجهود الفردية تناولت هذا الميدان وقدمت تصورا مقترحا لتطويره، فها هو "محمد الهادي عفيفي" (١٣٩٣هـ) أحد المربين المعاصرين والذين شاركوا في تحرير الاستراتيجية يقول: «ينبغي إعادة النظر جذريا في المناهج، وبخاصة مناهج التعليم الأساسي بحيث تقوم على ركائز أهمها: التربية القومية . . . والدينية والعسكرية والعلم والعمل، وبحيث تركز على تنمية شخصية الإنسان الفرد المسلح بالقدرة النضالية وبالصفات اللازمة لمواجهة الصراعات والتحديات على أرضه». (قراءات في التربية المعاصرة، ص ٥٣).

والتعليم الأساسي في مفهوم "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" كما جاء في "استراتيجية تطوير التربية" هو تأمين قدر كاف من التعليم للمتعلمين بمتابعة دراستهم إن شاووا أو الدخول في غمار الحياة العملية إن رغبوا في ذلك، وهذا يعني أن التعليم الأساسي له مفهومان:

المفهوم الأول : له صفة تربوية والمقصود به توفير تعليم مناسب لجميع المواطنين والمفهوم الثاني : له صفة اجتماعية ويقصد به توفير حد أدنى من الفرصة التعليمية

لجميع أبناء الدولة من الصغار والكبار الذين لم يحظوا بحقهم في هذا التعليم أوتسربوا منه بحكم أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، (ص ٣١٦-٣١٧).

وظهر مصطلح التربية الأساسية مع الوجود المبكر لـ "منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم" حيث نوقش موضوع "التربية الأساسية ميدان مشترك لكل الشعوب" في أول اجتماع عقدته هذه المنظمة وتقرر في هذا الاجتماع أن تكون التربية الأساسية هي الاسم الذي يعبر عن أعمالها المقترحة للتطوير الثقافي والتعليم في هذا الميدان. (محي الدين صابر، التغير الحضاري وتنمية المجتمع، د. ت، ص ٢٥٨).

وتأكيدا على هذا الاتجاه وسعيا نحو تحقيق حياة كريمة لغالبية سكان العالم الذين يعانون الجهل والفقر والمرض تبنت "اليونسكو" فكرة "التربية الأساسية" إيمانا منها «بأن الجهل ليس واقعة اجتماعية منعزلة بل هو مظهر لبيئة متخلفة بوجه عام في ضعف الانتاج وانعدام الصناعة وانخفاض الدخل وانحطاط الأحوال الصحية، ولهذا دعت اليونسكو الدول الأعضاء لبدء جهد تعليمي يحل مشكلة الجهل اقتصاديا واجتماعيا عن طريق تقديم الحد الأدنى من التثقيف للسكان». (حسان، التعليم الأساسي بين النظرية والتطبيق، ١٤٠٦هـ، ص ٤٧).

وقامت "اليونسكو" بتنفيذ مشروعات "التربية الأساسية" منذ عام (١٩٤٨م) هادفة من وراء ذلك إلى النهوض الصحي والثقافي والاقتصادي؛ ولما لمست نجاح هذا المشروع قررت في عام (١٩٥٠م)، أن تتعاون مع الدول الأعضاء لإنشاء مراكز أقليمية لتدريب المعلمين والعاملين في التربية الأساسية، وقد تم قبول دعوة مصر في افتتاح مركز للتربية الأساسية عام (١٩٦٣م) أطلق عليه اسم "المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي" في سرس الليان.

واستهدف هذا المركز العناية بالبحوث والتدريب وانتاج المواد التربوية اللازمة لتعليم الأميين وعنى في بعض الحالات بالتعليم الموجه إلى الصغار داخل المدارس النظامية بهدف تعليمهم المواد المختلفة بأساليب جديدة تقوم على النشاط المنتج بحياتهم وواقع بيئاتهم. (حسان، ١٤٠٦هـ، ص ٤٨-٤٩).

وها هو المؤتمر العالمي الذي عقد في "جوميتيان" بتايلاندا في شهر آذار عام (١٩٩٠م) حول "التربية للجميع" يؤكد على أن "التعليم الأساسي" يشكل الركيزة

الأولى للتعلم البشري وذكرت الفقرة الأولى من الوثيقة «إن حاجات التعلم الأساسية عبارة عن مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات التي يمكن للأفراد الاعتماد عليها في بناء حياتهم» والوثيقة تؤكد على إيجاد متعلمين منتجين قادرين على التقدم والاستمرار المستقل وتهتم بالمنحني الاقتصادي، وأي إنجاز خارج عنه لن يكون مفيدا فتعلن في صراحة لا ينقصها الوضوح أنه «يجب أن يتاح للمدارس الابتدائية أن تمنح الأولوية القصوى لمسؤوليتها الصريحة بوجوب تقديم المهارات الإدراكية والمعارف الأساسية والاتجاهات لدى جميع المتعلمين. إن المدارس الابتدائية التي تخرج تلاميذ غير متمكنين من المهارات الأساسية الالفبائية والحسابية وحل المسائل الرياضية تكون قد فشلت كمدرسة مهما بلغت نسبة نجاحها في تأمين الحاجات الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية الأخرى» (بشور، التربية العربية، التعليم في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، ١٤١٦هـ، ص ٢٨-٣٠).

ومن خلال الجهود الفردية والعالمية والإقليمية يتضح للقارئ:

أ - «أن التعليم الأساسي يهدف إلى الاهتمام بالجانب الاقتصادي أكثر من غيره.

ب - «يحاول التعليم الأساسي أن يوجد الإنسان المنتج الفعال الذي يتقن عملا يدويا ينفع نفسه أولا ومجتمعه ثانيا في سد احتياجاته ومتطلباته.

ج - أن الهدف الأعلى منه هو إيجاد الحياة الكريمة والعيش الرغيد لغالبية فئات المجتمع وأنه يتناول الصغار والكبار الأصحاء والمعوقين ويسعى إلى تحقيق هذه الغاية الكبرى.

د - أن الاهتمام بالجانب العقدي لم يكن شيئا أساسيا بل كان شيئا ثانويا. ولو كان الجانب العقدي يشكل الركيزة الأساسية في البناء التربوي لظهر أثره في التعليم الأساسي الذي تبنته "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، ولكنه مازال يحتل جانبا غامضا ومشوشا وغير مفهوم لدى محرري الاستراتيجية.

هـ - وجه التعليم الأساسي اهتماماته إلى الحاجات غير الأساسية مادام أن العقيدة لم تشكل الإطار الأساسي لهذه الحاجات وبالتالي لا قيمة لبقية هذه الحاجات مادام أن الجانب العقدي مهملا ولم يأخذ مكانه الصحيح.

و - التعليم الأساسي بهذه الصورة يمكن أن ينطبق على أي مجتمع في الدنيا لأنه

لاخاصية تميزه عن بقية المجتمعات غير الإسلامية .

ز - إن الاهتمام بالأساس الاقتصادي وجعله يحدد مسار التطور الاجتماعي والسياسي وما يرتبط به من قيم واتجاهات وسلوكيات ما هو إلا اتجاه يساري ومبدأ شيوعي لا مجال للدين فيه .

بعد أن استعرض الباحث مفهوم التعليم الأساسي وأهدافه وسماته وأنه يسعى إلى توفير أو إتقان المتعلم لصنعة معينة يتكسب من خلالها يود الباحث هنا أن يؤكد على حقيقة ربما تكون غائبة على كثير من الناس وهي أن مسألة التعليم مسألة مستقلة بذاتها تقوم على أساس العقيدة الإسلامية، وكل تعليم لا يهتم بهذا الجانب إنما هو تعليم أجنبي لا إسلامي بل أنه يسعى إلى التخريب والهدم والتغريب .

لقد أكمل اللّه لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ . (المائدة : ٣) .

فالدين الإسلامي لا يحتاج إلى زيادة ولا يعتوره نقص ومسألة التجديد الذي يتغنى بها كثير من الناس لا يفهم منها الإتيان بشيء جديد وإنما يفهم منها إعادة الفكرة والدين إلى حالهما الأولى يوم أن كانت أول مرة، وأي تجديد للفكر الإسلامي لايمكن أن يكون تبديلا لحقائقه ومقوماته والإتيان بمبادئ منحرفة وتصورات لا تمت إلى الدين بشيء وإنما هي تصورات فكرية بشرية بحته، وأي محاولة للإصلاح التربوي في التعليم الابتدائي أو في غيره لابد أن تنطلق من مسلمة مؤداها أن التربية تنطلق من عقيدة الأمة وأي انطلاق من غير هذا الأساس لا يمكن التسليم به وهذا يدل على أننا «لانحتاج إلى فرض اصلاح على الإسلام كما يظن بعض المسلمين؛ لأن الإسلام كامل بنفسه من قبل أما الذي نحتاج إليه فعلا فإنما هو إصلاح موقفنا من الدين بمعالجة كسلنا وغرورنا وقصر نظرنا وبكلمة واحدة معالجة مساوئنا نحن لا المساوئ المزعومة في الإسلام ولكي نصل إلى إحياء إسلامي فإننا لا نحتاج إلى أن نبحث عن مبادئ جديدة في السلوك نأتي بها من الخارج إننا نحتاج فقط إلى أن نرجع إلى تلك المبادئ القديمة المهجورة فنطبقها من جديد» . (أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ١٤٠٤هـ، ص١١٣-١١٤) .

٢ - موضوعات التعليم في صدر الإسلام:

إن الرجوع إلى صدر الإسلام وإعطاء نماذج من المواد الدراسية التي كان المتعلمون يتلقونها في حلقات العلم ومجالس الذكر دون استقصاء واستقراء لكل تلك الحقبة التاريخية الطويلة ليوقف القارئ على أهم المواد التي كانت تتصدر الأولوية عند تعليم الناشئة ابتداء.

لقد اهتمت التربية الإسلامية بطفل ما قبل التعليم الابتدائي واعطت الناشئة أيضا عناية فائقة وخاصة من تأهل منهم وأصبح قابلا للتعليم حيث رسمت التربية الإسلامية المنهج الصحيح في كيفية تربية هؤلاء الناشئة في بداية عمرهم وما المواد التي تستحق أن تكون في مقام الصدارة؟

وقبل الدخول في تتبع المواد التي كانت تقدم للمتعلمين الصغار يود الباحث أن يؤكد على أن مؤسسات التعليم الابتدائي كانت معروفة منذ صدر الإسلام، وأن هذه المؤسسات عرفت بما يسمى بـ "الكتاتيب" وكان المسجد يعتبر مقرا للتعليم إلا أنه في عهد "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه كثرت الفتوحات ودخل الناس في دين الله أفواجا منهم العرب والعجم وكثر الولدان هنا أمر "الفاروق" رضي الله عنه ببناء المكاتب ونصب الرجال لتعليم الولدان وتأديبهم وكانوا يدرسون طوال الأسبوع عدا الخميس والجمعة. (الكتاني، نظام الحكومة النبوية، د. ت، ٢/ ٢٩٤).

وقد أدت هذه الكتاتيب وظائفها من تعليم للقراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم وظلت كما هي منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر تقدم معينا لا ينضب ونورا لاينطفئ فهي بمثابة المصباح الذي ينير الدروب لصاحبه وتنوعت في تقديم المادة التعليمية. (النقيب، بحوث في التربية الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ص ٨٢).

إن قدوتنا العليا رسول الله ﷺ وهو مثلنا الأعلى في الحياة، فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على هداية أمته رحيما بها؛ ولهذا كان أول ما اهتم به هو إرسال "مصعب بن عمير" رضي الله عنه إلى المدينة المنورة يعلم أهلها القرآن الكريم بعد بيعة العقبة الثانية يوضح هذا المسلك النبوي "ابن إسحاق" ( ) في سيرته فيقول: «فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم "مصعب بن عمير" رضي الله عنه، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين». (٨٦-٨٧).

فأدى "مصعب بن عمير" ﷺ وظيفته وقام بها خير قيام فأصبحت المدينة المنورة مثل خلايا النحل من كثرة القارئين لكتاب الله تعالى. فها هنا منهج نبوي كريم يؤكد على أهمية الأولويات في حياة المتعلم حيث لم يوجه "مصعب بن عمير" ﷺ إلى الاهتمام بتعليم أهل المدينة علما يساعدهم على إتقان صنعة من الصنائع، وإن كان هذا المسلك يعتبر أساسيا بعد إتقان القرآن وتعاليم الإسلام والفقه في الدين، ومن هنا يجد القارئ «أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها ويبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها ولايطلب الآخر قبل الأول ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أساس لا يبنى والثمر من غير غرس لا يجنى». (أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٣٧٥هـ، ص٥٥).

ويوضح "الشيرازي"، (د.ت) من وجهة نظره كيف ينهض معلم الكتاب بعمله التعليمي فيقول: «وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعه ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة ثم أصول الحساب». (نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٠٣).

لقد بدأ الرسول ﷺ دعوة أصحابه إلى تعليم القرآن سرا في بداية الأمر، وكان يجمع المسلمين في دار "الأرقم بن أبي الأرقم" ويعلمهم القرآن ومبادئ الدين وأصبح منزل الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة ندوة المسلمين ومعهدهم. (أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، ١٤٠١هـ، ص ٢٢٢-٢٢٣).

وكانت بعوثه عليه الصلاة والسلام إلى اليمن وحضرموت ونجران وبئر معونة وغيرها من القرى والأمصار تنصب على تعليم القرآن بالفاظه ومعانيه ومبادئ الدين والتعريف بفرائض الإسلام من صلاة وزكاة وحج. (أبيض، ١٤٠١هـ، ص ٢٢٤).

وعلى هذا النهج سار خلفاؤه الراشدون من بعده واقتفوا أثره علما وتعليما وسلوكا ومعاملة، وفيما يلي من السطور مزيد إيضاح عن هذه الفترة.

كان النشاط التعليمي في المدينة المنورة قائما على قدم وساق وخاصة بعد أن أخذ الإسلام ينتشر بين الأنصار حيث ذهب أهل المدينة للتعلم، فقد ذهب "رافع بن مالك

الأنصاري " ﷺ إلى مكة وتعلم مما نزل من القرآن في السنوات العشر التي مضت على البعثة من النبي ﷺ . (ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٣٩٢هـ، ٢/ ٤٤٤).

وفي بيعة العقبة الأولى طلبت الأنصار من الرسول ﷺ بمكة أن «أبعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن» فبعث إليهم "مصعب بن عمير" . (ابن حجر، ١٣٩٢هـ، ٦/ ١٢٤).

هنا قامت حركة حثيثة في نشر التعليم وكان تعليم القراءة والكتابة ضمن النشاط التعليمي وممن تولى مثل هذا النشاط التعليمي لأهل المدينة "عبادة بن الصامت" ﷺ الذي يقول عن نفسه: «علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن». (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ٥/ ٣١٥).

وكذلك كان النشاط التعليمي في مكة على أشده قبل الهجرة حيث كان الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم يتلقون الرسول ﷺ في دار "الأرقم بن أبي الأرقم" ويتعلمون منه أمور دينهم ويتلقون عنه ما ينزل من القرآن. (ابن هشام، السيرة، . . . ، ١/ ٤٢٤).

وقام الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين بتعليم من يدخل في الإسلام من أهل مكة حيث كان بعض الصحابة يعرف الكتابة والقراءة في المرحلة المكية، ومما يدل على ذلك أن "عمر بن الخطاب" ﷺ هجم على "خباب بن الأرت" ﷺ، وهو الذي كان يقرأ الصحيفة على "فاطمة" أخت "عمر" ﷺ.

وكان "عبد اللّه بن مسعود" رضي اللّه عنه أول من علم القرآن بمكة . (ابن سعد، الطبقات، ٣/ ١٥١)

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ازداد النشاط التعليمي ازديادا كبيرا وازداد عدد الكاتبين في المجتمع الإسلامي حتى بلغ عدد كتاب النبي ﷺ وحدهم حوالي خمسين كاتبا، منهم كتاب الوحي والصدقات والمداينات والعقود. (الكتاني، التراتيب الإدارية، (د.ت)، ١/ ١١٥-١١٧).

إن هذه الحركة العلمية التعليمية جعلت من المدينة المنورة مركز إشعاع لبقية الأمصار وبلغ النشاط التعليمي ذروته في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين. يتبين لنا ذلك من خلال المنهج الذي كان قائما في تلك الفترة.

ويود الباحث هنا توضيح العلوم التي كانت ضمن المنهاج الدراسي في صدر الإسلام والتي كانت سببا في إحداث عقلية مميزة وإخراج أمة متميزة، وكانت أيضا استجابة لحاجة العصر وسدا لمتطلبات المجتمع، وكلها كانت تصب في تحقيق هدف واحد، هو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وإيجاد الإنسان المسلم الصالح العابد لله سبحانه وتعالى في كل أنشطته الحياتية . .

وأما موضوعات التعليم في صدر الإسلام فتتمثل في المواد التالية :

أ- القرآن الكريم وعلومه:

كانت أول الآيات نزولا على رسول الله ﷺ هي الخمس الآيات من سورة "العلق" ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١-٥).

وفي هذه الآيات تحددت الغاية العظمى من التربية، وهي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، ولا تتحقق هذه العبودية إلا عن طريق معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة حقيقية تجعل من الإنسان المسلم عبدا فقيرا محتاجا إلى الله في كل صغيرة وكبيرة ومحققا العبودية لله سبحانه وتعالى في حياته ونسكه وأنشطته الحياتية كلها.

وهذه الآيات كما حددت الغاية العظمى للتربية، فقد وضعت معالم التربية الجديدة التي ينبغي أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم واعطت التصور الكامل للإنسان والحياة والكون والخالق.

إن معالم التربية الجديدة تقوم على تحديد الصلة بين العبد وخالقه على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق وعلى معرفة الإنسان نفسه وللكون والحياة.

وفي إطار تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى قام الرسول ﷺ بتربية أصحابه سرا في دار "الأرقم بن أبي الأرقم" حيث كان عليه الصلاة والسلام يتلو عليهم الآيات القرآنية التي كانت تنزل عليه أولا بأول، وفي هذا المنهج تأكيد على أهمية البدء بتعليم الناشئة القرآن الكريم أولا والاقتصار عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام يقوم بتفسير الآيات لأصحابه رضي الله عنهم امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤).

ومما ورد عن النبي ﷺ وهو يجيب عن أسئلة المتعلمين من الصحابة كسؤالهم عن

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)، أينا لم يظلم نفسه ففسره ﷺ بقوله: «أو لم تسمعوا الله يقول: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان: ١٣). (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ١/ ٨١-٨٢).

وهذا يدل على أن الرسول ﷺ تولى تفسير بعض الآيات وعلمها أصحابه وتلقى الصحابة التفسير من رسول الله ﷺ وبرزوا في هذا الميدان، ومنهم حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، فقد فسر معنى الحكمة في الآية ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٨)، بأنها «المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله وأمثاله» (ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ١٤٠٤هـ، ص ١١٠).

وأثناء الرجوع إلى الإتقان في علوم القرآن يجد المرء أن الإمام "جلال الدين عبدالرحمن السيوطي" (١٤٠٧هـ) قد ختم كتابه بذكر تفاسير عن النبي ﷺ وردت عن ٧٥ سورة من كتاب الله تعالى لآية أو آيتين أو أكثر من هذه السور، ومن تفسيره عليه الصلاة والسلام ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ: «نعيت إليّ نفسي». (الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٤٠٧هـ، ٩/ ٢٢). وقد جمع السيوطي هذه التفاسير في كتابه آنف الذكر (ص١٢٣٧-١٢٨٨).

وبرز من الصحابة في تفسير القرآن "عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والذي كان يلقب بحبر القرآن وترجمانه.

لقد دعا رسول الله ﷺ إلى تعاهد القرآن واستذكاره؛ لأنه يتفلت من صدور الرجال قائلا: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تقصيا من صدور الرجال من الإبل المعقلة إلى أعطانها». (الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٤٠٧هـ، ٧/ ١٦٩).

وحث على تعلمه وتعليمه بقوله عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن، ٩/ ٦٦-٦٧)، وهذا تكريم لمن يحفظ القرآن وتزكية له إذ أن نفعه متعد إلى الآخرين، وهو أفضل الموجودين على الإطلاق ما لم يكن معه من يماثله في تعلمه وتعليمه.

وليس من مهمات الباحث أن يتعمق في الحديث عن القرآن وفضله ويورد

الشواهد والآثار في ذلك، وإنما الهدف من هذا هو أن مادة القرآن تعتبر من أولى المواد الدراسية اهتماما ولقيت عناية من قبل رسول اللّه ﷺ وصحابته الكرام ولا يتسع المجال هنا للتعمق في هذا الميدان؛ لأنه ليس مما يزيد الموضوع جلاء ووضوحا فيكفي في وضوحه وجلائه أن الرسول ﷺ جعله في قائمة الأسبقيات في منهجه عليه الصلاة والسلام، كما مر ذكره سابقا.

ب – علم القراءات:

يعتبر هذا العلم جديدا في بابه، وقد وضع نواته الأولى المربي محمد ﷺ ، فقد أورد "البخاري" (١٣٧٩هـ) في صحيحه قصة "عمر بن الخطاب" و"هشام بن حكيم" ﵄ واختلافهما في قراءة سورة الفرقان واقتياد عمر بن الخطاب لهشام من ردائه؛ لأنه سمعه يقرأ بغير القراءة التي تلقاها من رسول اللّه ﷺ فأنكر عليه ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «**كذلك أنزلت ... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر**». (كتاب فضائل القرآن، باب أنزل على سبعة أحرف، ٣/ ٣٣٩، حديث رقم ٤٩٩٢). وفي هذا تيسير على المسلمين ورحمة ورأفة بهم ورفع للحرج عنهم.

ج – التوحيد:

الإسلام عقيدة وأسلوب حياة، ولما كانت التربية تهتم ببناء الإنسان المسلم ليحقق الهدف الأعلى من التربية ومن خَلْقه كانت التربية تتمحور حول تحقيق هذا الهدف ولأهمية العقيدة في تربية الأمة طالت دعوة الرسول ﷺ في مكة واستمرت ثلاثة عشر عاما، وهو يدعو قومه إلى توحيد اللّه سبحانه وتعالى الذي يعتبر الطريق إلى الدخول في حظيرة الإسلام، وهو أول ما يتلقاه المسلم من تعليم.

ولهذا أصبح التوحيد أعظم قضية في التعليم الإسلامي، والذي من أجله أرسلت الرسل، يقول تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطغوت**﴾ (النحل: ٣٦).

وإن تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّه ينطلق من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقر: ٢٥٦).

وعلى أساس التوحيد أقام الرسول ﷺ دولة الإسلام في المدينة المنورة

إن العقيدة الصحيحة هي القضية الكبرى الذي ظل القرآن الكريم في سوره المكية

يعالجها بشتى أنواع الأساليب ويحاول غرسها في نفوس متبعيه، ومن أجلها خلقت الجنة والنار والجن والإنس وافترق الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ومن أجلها أيضا نتجت الموالاة والمعاداة بين الناس.

إن التوحيد هو أهم موضوعات التعليم في الإسلام فرسالة الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم قامت على ثلاث أسس هي:

أ - التوحيد، ب - النبوات، ج - المعاد.

ولهذا اهتم العلماء المسلمون بهذه الأسس وألف بعضهم فيها مؤلفا مستقلا كما فعل الإمام "محمد بن علي الشوكاني" (١٣٩٦هـ) الذي فصل الحديث عن هذه الأسس في كتابه الموسوم "إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات".

وإن من أهم هذه الأسس الثلاثة وأجلها هو توحيد اللّه تبارك وتعالى، فبالعلم باللّه ومعرفته تزكو النفوس والإيمان باللّه يكشف الأسرار ويتحدد المسار فاللّه هو الغاية، وله التوجيه والعمل ومدار القرآن كله على التوحيد، كما يقول "عمر بن سليمان الأشقر" (١٤١١هـ) في كتابه "التوحيد محور الحياة" (ص١٥, ٢٢, ٢٤, ٢٨)

لقد حرص رسول اللّه ﷺ على تحقيق التوحيد في المرحلة المكية والمدنية، وفي بعوثه ومراسلاته للملوك، وكان يوصي أصحابه بالتدرج في تربية الداخلين في الإسلام عن طريق تحقيق الشهادتين أولا ثم تعليمهم مبادئ الدين وأركانه ثانيا.

د - الحديث النبوي الشريف:

الحقيقة أن المنهاج في صدر الإسلام واضح وجلي وليس الهدف من وراء هذا المنهاج استقصاءه وتتبعه كاملا، وإنما الهدف منه هو إبراز المواد الأولية في المنهاج الدراسي، وهل كان يهتم بإعداد الإنسان للوظيفة أولا قبل أي هدف آخر؟ أم كان يهتم بأشياء أساسية قبل إعداده للوظيفة، هذا ما سيتضح في هذا الفصل.

إن ميادين المنهاج الدراسي ضمت أنواعا مختلفة من العلوم، فالحديث النبوي الشريف أحدها، وكذلك الفقه وتعلم القراءة والكتابة وعلم الفرائض والحساب وتعلم اللغات الأجنبية والانفتاح عليها وتعلم الأنساب وعلم الطب والشعر والاهتمام بالتربية الرياضية وتعليم الصنائع والحرف. وقد وردت جملة منها في

القرآن الكريم، مثل: صناعة الجلود والملابس والسفن، وقد مر نماذج من ذلك في فصل "مبدأ التربية للعمل".

وقدم الباحث "سند بن لافي الشاماني" (١٤١٠هـ) في أطروحته لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية بالمدينة والمنورة، والتي عنوانها: "التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ" فصله السادس بعنوان "المواد التعليمية في عهد النبي ﷺ" مقسما إياها إلى علوم جديدة لم تكن معروفة عند العرب قبل الإسلام، وإلى علوم كانت معروفة لدى أفراد ذلك المجتمع قبل الإسلام، وفي هذا الفصل ما يكفي من إعادة الحديث عن هذه المواد في صدر الإسلام غير أن الباحث اقتصر على ما ذكر سابقا لأهميته في تربية الناشئة والتركيز على الأولويات في المنهاج الدراسي. (٢٤٤-٢٩٠).

كما أن الدكتور "أكرم ضياء العمري" (١٤١٠هـ) قدم في دراسته والتي عنوانها: "التعليم في عصر السيرة والراشدين" والتي هي ضمن "التربية العربية الإسلامية" المؤسسات والممارسات، الجزء الأول منه (ص ٥٩-٩٩) "موضوعات التعليم في عصر الرسالة والراشدين" وحصرها في:

أ - القرآن وعلومه	ب - الحديث	ج - الفقه
د - اللغة العربية	هـ - التاريخ	و - علم الأنساب
ز - الشعر	ح - القصص	ط - الحكم والأمثال
ي - الطب	ك - علم النجوم	ل- الثقافة واللغات الأجنبية

(ص ٨٦ - ٩٩).

لكن دراسة "سند بن لافي" (١٤١٠هـ) كانت أكثر عمقا وتوسعا من دراسة "ضياء العمري" - الذي جاءت دراسته غير متعمقة وعابرة حيث لم يستقص تلك الموضوعات واقتصر على بعضها لا كلها.

٣- موضوعات التعليم عند بعض علماء التربية المسلمين عبر التاريخ.

ظل المنهاج الدراسي يتطور تبعا للظروف المستجدة والحاجات المتجددة التي يتطلبها المجتمع ويحتاج إليها وممن ساهم في هذا الميدان وبلوره. . . مايلي:

(أ) أبو الحسن علي بن محمد القابسي، ت٤٠٣هـ.

حاول "أبو الحسن" أن يقدم منهاجا يسعى من خلاله إلى تربية المسلم تربية تكاملية متدرجا معه من مقام الإسلام حتى يصل إلى مقام الإحسان، وتنوع المنهاج الدراسي عنده حسب المتعلمين ذكورا أو إناثا، وكانت موضوعات المنهاج تنقسم إلى:

١- مواد إجبارية مثل: القرآن الكريم والفقه والفرائض والكتابة والخط وإعراب القرآن الكريم والقراءة الحسنة بالترتيل والخطب وأداء الصلاة وإتقان الوضوء وفقه الصلاة والدعاء والورع.

٢- مواد اختيارية: مثل: الحساب والنحو والشعر. (الأهواني، التربية في الإسلام، ١٣٨٧هـ، ص ٨٧).

(ب) ابن سيناء، ت: ٤٢٨هـ.

ويدعو "ابن سينا" (١٤٠٢هـ) إلى أهمية البدء بتعليم القرآن للأطفال بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسميا وعقليا وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن وألم بأصول الدين واللغة نظر عند ذلك في توجيهه لما يلائم طبيعته واستعداده. (كتاب السياسة، ص ١٠٢).

ويؤكد "ابن سينا" على أهمية توجيه المتعلم بعد دراسته للقرآن إلى صنعة تلائمه، يقول بلغة علمية تحليلية: «ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة إذن ما كان أحد غفلا من الآداب وعاريا من صناعة وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات، وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء . . . ولذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك، فإن اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها، وهل أدواته وآلاته مساعدة له عليها أم خاذلة؟». (كتاب السياسة، ص ١٠٥).

(ج) أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ت: ٧٢٨ هـ.

الأساس الذي يقوم عليه المنهاج الدراسي عند ابن تيمية هو معرفة الله سبحانه وتعالى وطريق هذه المعرفة توحيد الله سبحانه وتعالى ومن التوحيد تستمد التربية

أهدافها ومنهجها وأنشطتها وبه تؤتى التربية ثمارها. (الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية، ١٤٠٧هـ، ص ٧٢).

والأهداف العامة عند ابن تيمية كما شخصها الدكتور "الكيلاني" (١٤٠٧هـ) أثناء دراسته للفكر التربوي عند ابن تيمية تتلخص في ثلاثة أهداف :-

١- تربية الفرد المسلم. ٢- إخراج الأمة المسلمة. ٣- الدعوة للإسلام في العالم. (ص ٨٣-٩٢).

أما ميادين المنهاج عند ابن تيمية فهي :

أولا : ميدان العلوم الدينية وهي تنقسم إلى قسمين:

١- علوم إجبارية والذي أولها دراسة العقيدة الإسلامية مهما كان ميدان التخصص الدراسي وتتضمن العقيدة معنى الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام؛ لأن «تعليم الأصول الخمس في الإسلام هو الأساس». (الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص ٩٩).

٢- علوم اختيارية، مثل: القضاء والحسبة والإرث والتعليم ولكنها إذا فقدت من المجتمع أصبحت إجبارية إلى القدر الذي يسد حاجة المجتمع مرة ثانية.

ثانيا: العلوم العقلية:

وهي شرعية أيضا؛ لأن الشرع اكتفى بالدلالة عليها ثم ترك للعقل والحواس البحث فيها مثل العلوم الرياضية، والطب، وعلوم الأحياء والفيزياء والعلوم الاجتماعية وثمرتها «هي شهود آيات الله في الآفاق والأنفس».

ثالثا: العلوم العسكرية:

مثل: الرمي، والسباق، وركوب الخيل، والطعن بالرمح، والضرب بالسيف، وأن يكون هذا الميدان متضمنا لمهارات العصر المتعلقة بالتربية العسكرية.

رابعا: الصناعات والمهن.

وهي إما إجبارية إذا كانت مفقودة من المجتمع وإذا سدت حاجة الناس أصبحت اختيارية، ومن هذه المهن الفلاحة، والنسيج، والخياطة، وآلات الحرب التي تعتبر أفضل الصناعات، وكل من التربية الدينية والعقلية والعسكرية والمهنية تهدف إلى غاية واحدة، وهو إخراج الأمة المسلمة وتأهيلها لحمل رسالة الإسلام إلى العالم.

ولم يقتصر المنهاج الدراسي على هذا بل توقع "ابن تيمية" ظهور علوم جديدة فنصح المتعلم بإتقانها مادامت متلاءمة مع العقيدة الإسلامية، واستثنى "ابن تيمية" من منهاجه الدراسي علوما، مثل: الفلسفة، والمنطق، والموسيقي، والغناء والشعر؛ لأنه يرى أنها تتعارض مع العقيدة الإسلامية، وتؤدي إلى اهتزاز القيم بين الدارسين، وكذلك استبعد "ابن تيمية" من منهاجه الدراسي مهنا أخري، مثل: صناعة الخمور، وآلات الموسيقي وصناعة التماثيل والصلبان؛ لضررها على المجتمع والأفراد. (الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص١٠٠-١١٤).

(د) ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ.

وفي المسار نفسه، أي: التوجيه المهني يجد المرء أن "ابن قيم الجوزية" (د.ت) أكد في كتابه "تحفة الودود بأحكام المولود" هذا الإتجاه قائلا: «ومما ينبغي أن يعتمد في حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ما كان مأذونا فيه شرعا؛ فإن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعيا فهذه علامات قبوله وتهيؤه للعلم لينقشه في لوح قلبه مادام خاليا فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لانفاذ له من العلم ولم يخلق له ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين، وإن رآه بخلاف وإن لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتحة إلى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها، وهذا كله بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه» (ص١٩٠).

(هـ) ابن خلدون، ت: ٨٠٨هـ:

إن القصد من إيراد هذه النماذج هو التأكيد على أن المواد التعليمية الأولية في تعليم الناشئة كان مقتصرا على العلوم الدينية الأساسية من أجل ربط الإنسان المسلم بخالقه وتوثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى وفي هذا الجانب.

يرى "ابن خلدون" (د. ت) أن القرآن الكريم كان الأصل، وكان البداية والنهاية في كل تعليم، فيقول: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما سبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من

آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يتبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده» . (المقدمة، ص ٥٣٧-٥٣٨).

و - محمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ.

قصد الإمام "محمد بن علي الشوكاني" من منهاجه الدراسي إلى إيجاد الفرد المسلم المتوازن في عقله وجسمه ودينه وعقيدته الذي يكون ربانيا في سلوكياته وأنشطة حياته وأن منشأ الربانية هذه مكتسبة عن طريق تلقي العلم والعمل به والدراسة له؛ لأن «حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة اللّه» (الشوكاني، فتح القدير، د. ت، ١/ ٣٥٥).

وإذا سعى المتعلم إلى طلب العلم فقد أفلح في تزكية نفسه أي: «زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى» . (الشوكاني، د. ت، ٥/ ٤٤٩).

وعليه فالرباني هو «العالم بدين الرب القوي المتمسك بطاعة اللّه» . (الشوكاني، د. ت، ١/ ٣٥٥).

فالعلم «الصحيح المبني على العقيدة الإسلامية هو السبيل إلى معرفة اللّه تعالى وسعادة للإنسان في الدنيا والآخرة» . (مقبل، محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، ١٤٠٩هـ، ص ١٦٥).

أما ميادين المنهاج الدراسي فقد قسم "الشوكاني" المتعلمين إلى أربع طبقات ووضع لكل طبقة منهاجا معينا، واحتوى المنهاج الدراسي على:

١- العلوم الدينية، وفي مقدمتها الاهتمام بالقرآن الكريم وتلقينه للأطفال منذ الصغر، إذ هو من الأمور التي حرص عليها المربون المسلمون من أجل المحافظة على تنشئة الأطفال منذ بواكير أعمارهم على حب القرآن والتخلق بأخلاقه. (مقبل، ص١١٠).

٢- العلوم اللسانية من نحو وصرف وبلاغة وبيان وبديع .

٣- العلوم العقلية ، المنطق وعلم الكلام والطب.

٤- العلوم الفلسفية، مثل: العلم الرياضي والطبيعي والإلهي والهندسة.

وينصح "الشوكاني" (١٤٠٠هـ) المتعلم بعدم دراسة العلوم الفلسفية إلا بعد رسوخه في علوم الكتاب والسنة حتى لاتزل به القدم. (أدب الطلب، ص ١٢٣).

وقد وضع "الشوكاني" منهاجا متخصصا لكل من "الشاعر" و "المنشئ" الذي يشتغل بممارسة النثر والإنشاء و"والمحاسب" و"الفيلسوف" و "الطبيب" وفي هذا يقر مبدأ التخصص حيث طلب من المتعلم أن يأخذ حقائق كل فن من أهله؛ لأن أهل الفنون «أخبر بها وأتقن لها، وأعرف بدقائقها وخفياتها». (أدب الطلب، ٥٢).

كذلك تظهر أصالة فكر الشوكاني وبعد عمقه ونظره إذ أنه توقع ظهور علوم جديدة فنصح المتعلم بدراسة كل علم يمكن للمجتمع الاستفادة منه؛ لأن العلم في تطور مستمر وسائر إلى الكمال. (قطر الولي، ١٣٨٩هـ، ص ١٢).

ودعا "الشوكاني " (د.ت) إلى الاهتمام بالتوجيه المهني حتى تستغنى الأمة عن غيرها لما بأبنائها من ذوي المهارات والمهن المتعددة في مختلف الصناعات مثل: صناعة آلات الحرب والزراعة والتجارة والعمارة. (فتح القدير، ٥/ ١٧٨).

وحث على الاهتمام بالصناعات المحلية وعدم الاعتماد على الأعداء في ذلك وفي هذا تقدير للعمل اليدوي وتكريم لصاحبه. (نيل الأوطار، ١٣٩٣هـ، ٤/ ٢٤٨).

ودعا "الشوكاني" (د. ت) أيضا إلى ممارسة التربية الرياضية التي تعين على الدفاع عن العقيدة والدين، مثل: اللعب بالحراب "المبارزة" والتدريب على الفروسية وركوب الخيل والحث على الرمي والمسابقة على الأقدام والمصارعة، وكل شيء يتقوى به المسلمون في الحرب من تدريب على السلاح والسيوف وركوب الخيل وإعداد مخابئ ومغارات، وكل ما يمكن استخدامه والاستفادة منه أثناء نشوب المعارك بين المسلمين وأعدائهم، فهو من إعداد القوة للدفاع عن الدين والعقيدة، وحماية الأمة الإسلامية والحفاظ على عقيدتها من الأعداء. (فتح القدير، ٢/ ٣٢٠-٣٢١).

٤ - تقويم التعليم الأساسي.

وتأكيدا على أن المنهج المتبع في تعليم الناشئة لم يختلف منذ صدر الإسلام، وحتى العصر الحاضر قدم الباحث نماذج من موضوعات التعليم التي كانت متبعة عند بعض علماء التربية المسلمين هادفا من وراء ذلك إلى تحقيق مايلي: -

أ - من خلال استقراء المناهج الدراسية منذ صدر الإسلام، وعند بعض علماء التربية

المسلمين كان أول المواد الدراسية التي تلقن للناشئة هي مادة القرآن الكريم ومبادئ الدين ومعرفة الأشياء الضرورية من صلاة ووضوء وغيره.

ب - كان هذا المنهج الذي سار عليه أكرم الخلق على الله محمد ﷺ في تعليم أصحابه في بداية الدعوة في مكة وحين أرسل من يعلم أهل المدينة بعد مبايعة بعضهم له في مكة سرا البيعة الأولى.

ج - كانت بعوث الرسول ﷺ تقتفى أثره في هذا المنهاج، وكان أول أساسيات التربية هو معرفة الشهادتين وتلقين الناشئ القرآن الكريم وبعض مبادئ الدين.

د - كانت مراسلات النبي ﷺ تبتدئ بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم يتدرج الخطاب بعد ذلك إلى الأهم فالمهم.

هـ - دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اتخذت هذا الطريق منهجا وسلوكا، وهو تحقيق العبودية لله تعالى أولا، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

و - وأي منهج يخالف هذا يعتبر جناية على الناشئة وعلى الأمة والمجتمع، وفي الوقت نفسه لايمكن الإعتداد به لمخالفته المنهج القويم الذي رسمه لنا سيدنا محمد ﷺ وفي هذا ادعاء النقص على الإسلام، وأنه كان قاصرا ولم يكن شاملا وفي هذا أيضا تعد على المرسل صلوات الله وسلامه عليه، واتهامه بالتقصير أيضا.

إن من ينعم النظر في التعليم الأساسي الذي اقترحته "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" يجد أنه مقتبس من مناهج غربية ومكتوب بحروف عربية لا أقل ولاأكثر وليس هنا شيء جديد يمكن أن يضاف إلى مناهج العالم العربي، غير المفاهيم الغامضة وأحداث بلبلة فكرية وتشوية المبادئ السليمة والإتيان بأفكار غربية، مثل: ادعاء المحررين بأن التعليم الأساسي ينبع من اقرار الأصول الديمقراطية للتربية، وأنه ضرورة اقتصادية ويمنح المواطن طرق تفكير سليمة ويسلحه بالمهارات والمعارف اللازمة، فهذه الأفكار التي جاءت عن التعليم الأساسي أفكار عامة ليس لها ما يميزها في المنهج التربوي الإسلامي - ويمكن أن تنطبق على أي تعليم أساسي في أي مكان وزمان- لأن الإسلام قد سبق إليه.

أما كون هذا التعليم يهتم بالريف وبالمرأة وأمية الكبار فليس هذا غريبا أو جديدا

علينا بل يعتبر من الحقائق والمسلمات التي وجه الإسلام عنايته إليها وأقرب مثال يوضح هذا هو اهتمام العلماء بكل الفئات التي ادعى التقرير أنه يوجه عنايته إليها، فهذا "محمد بن علي الشوكاني" (د. ت) يؤكد على إلزامية التعليم وتعميمه في القرى والأرياف ففي رسالته الموسومة بـ "الدواء العاجل في دفع العدو الصائل" يقول "الشوكاني" إن على الدولة أن تجعل «في كل قرية معلما صالحا يعلم أهلها العلوم على الوجه الشرعي ويأمرهم بالمواظبة على الصلاة في أوقاتها ويلزمون ذلك المعلم أن يعلمهم سائر الفرائض التي أوجبها اللّه عليهم ويلزمونهم القيام بذلك» (ص ٣٥).

ففي هذه العبارة يؤكد "الشوكاني" على تعميم التعليم عن طريق:

أ - دعوته إلى توفير معلم صالح في كل قرية من مناطق اليمن دون تمييز بينها.

ب - دعوته إلى إلزامية التعليم لكل أبناء اليمن دون تمييز بينهم أيضا.

ج - دعوته إلى الاقتداء بالرسول ﷺ فقد كان «يبعث أصحابه ﷺ إلى الأقطار لتعليم الشرائع». (أمناء الشريعة، ١٣٧٦هـ، ص ٢٠١).

ولم يكن "الشوكاني" الوحيد في دعوته إلى إلزامية التعليم بل سبقه إلى ذلك "علي بن محمد القابسي" (ت ٤٠٣هـ) الذي أوجب على الوالد تعليم بنيه وبناته، وإذا كان الطفل يتيما انفق الوصي على تعليمه من ميراثه إن كان له ميراث، وإذا لم يكن له وصي أو ميراث تكفل الحاكم بتعليمه. (الأهواني، التربية في الإسلام، ١٣٨٧هـ، ص٢٦٨-٢٨٧).

إن العبرة في المنهج الدراسي هي الاهتمام بالأولويات؛ لأن نجاة المتعلم من النار أهم من تعلمه صنعة يتعيش من خلالها، ويأكل كما تأكل الأنعام دون تعريفه بخالقه معرفة حقيقية يستطيع من خلالها أن يوحد اللّه سبحانه وتعالى، ويؤدي حقوقه وواجباته. ولا يفهم من هذا الاعتراض على الإعداد للعمل، كلا! فالعمل يعتبر من ضروريات الحياة، ولكن بعد غرس العقيدة في نفس الناشئ ومن ثم توجيهه إلى صنعة تلائمه وتناسب قدراته واستعداداته، وقد مر سابقا في فصل "مبدأ التربية للعمل" ما يغني عن إعادته هنا.

إن الدعوة إلى التربية الأساسية بالمفهوم الذي هو موجود في الاستراتيجية لايوافق عليه الباحث؛ لأنه يخالف مقتضى المناهج التربوية الإسلامية ويشذ عنها.

وإن الباحث لن يلقى الكلام على عواهنه (علاته) من منطلق عاطفي كلا فعلى القارئ أن يعود إلى طبيعة محتوى التربية من خلال الاستراتيجية، وعليه أن ينعم النظر في ذلك فسيجد أن المحتوى يشتمل على :

١- التربية الدينية:

في (ص ٢٧٠) من تقرير الإستراتيجية يرى المحررون بأن التربية الدينية يجب أن تكون ضمن محتوى التربية وتستند إليها التربية العربية لتؤلف منها نظاما متكاملا للإنسان وتستمد منها فلسفتها ومبادئها وقيمها الإنسانية، فالإسلام في نظرهم يقدر الديانات السماوية الأخرى.

إن هذه المغالطات لا تنطلي إلا على السذج المغفلين، كيف! باللّه يزعمون أن التربية الدينية يجب أن تستمد منها الفلسفة العربية للتربية في الوطن العربي، ثم يكررون القول عن القيم الإنسانية، والذي مر سابقا نقدها وتمحيصها، فهل القيم إنسانية أم إلهية؟ هل هي من وضع بشري أم إلهي؟.

وهل الإسلام جاء مقدرا للديانات السماوية أم مهيمنا عليها، وبعد التربية الدينية يأتي مباشرة دعوة الاستراتيجية الاهتمام بها.

٢- التربية القومية:

يا سبحان اللّه تناقض غريب لا حدود له! فهل التربية الدينية هي تربية قومية أم تتبنى القومية وتدعو إليها؟

إن الإسلام يحارب القومية لا أن يتبناها، فهل يعقل أن الدين الإسلامي هو دين قومي؟ إن هذا إلا تشويه للمفاهيم ومسخ للتصورات الإسلامية وتغريب لها، ويكفي في هذا انسفا لكل الموضوعات التي تبنتها الاستراتيجية.

وأما من حيث الأهداف فيجد القارئ أن التقرير يهتم بقواعد الصحة وممارسة العادة السليمة والطعام والشراب، وهذه الحاجات لا تجسد الروابط التي تربط بين الأمة الإسلامية، بل هي تجسد رغبات جسدية مادية بحتة وإن كانت هي مطلوبة لكن إهمال ما هو أهم شيء من هذا، وهو تعريف الإنسان بربه وبرسوله وبدينه ثم الانتقال بعد ذلك إلى الاهتمام بهذه الجوانب التي لا غبار عليها مادام أن الجانب العقدي قد أعطى حقه كاملا.

إن هذه الحاجات التي ركز عليها التقرير هي حاجات مادية جسدية مهمة لكن إهمال الجانب الروحي من التعليم الأساسي يعتبر نكبة وانتكاسة لمبدأ الاهتمام بالأولويات وهي في الوقت نفسه مخالفة لفطرة الإنسان الذي يتكون من جانبين: جانب مادي جسدي وجانب روحي عقدي.

فهل حققت الاستراتيجية التوازن في كيان الإنسان البشري أم أحدثت شرخا فيه باتباعها لهذا المنحني، أي: الاهتمام بالحاجات الجسدية؟

وأيهما أهم الجانب الجسدي أم الجانب الروحي؟

وهل كان الإخاء بين بني آدم في عالم الذرة بين الجانب الجسدي أم الجانب الروحي؟

وهل كان الاهتمام بالجانب الجسدي من مهمات بعثة الرسل أولا أم الجانب الروحي؟

وهل المنهج النبوي قاصر لاهتمامه بالجانب الروحي أم كامل؟

وإذا كان المنهج النبوي كاملا وهو كذلك، ولا يستدرك عليه فلم لا نتخذه ونعمل به ونقتفى أثره؟.

إن الاهتمام بالجانب الجسدي المادي على حساب الروح يكون مخالفا لفطرة الإنسان فلابد من التوازن بينهما تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧).

«إن التربية التي تجعل مثلها الأعلى هو الرفاهية المادية وثقافة الاستهلاك تفرز عددا كبيرا من الإرادات الفرعية الفاسدة والآثار السلبية ... ولذلك فإن نظم التربية التي تجعل الرفاهية المادية وزيادة الدخل وثقافة الاستهلاك اسمى درجات المثل الأعلى الذي تتحرك نحوه إرادة المتعلم لا تعتبر في الواقع - هي النموذج لنظم التربية؛ لأنها تهمل إنسانية الإنسان» (الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٤).

ويؤكد "الكيلاني" (١٤٠٨هـ) بأن المؤسسات الموازية من إعلام وصحافة ورائي تركز على إعداد الفرد ليكون مستهلكا. (ص ١٣٢).

بينما المدارس المعاصرة والمؤتمرات الإقليمية والعالمية والمحلية تهئ الناشئة بالدرجة الأولى لحياة العمل والانتاج عن طريق وسيلتين:

أ - «إنها تعلمهم مهارات محددة ذات علاقة بالعمل»

ب - أنها تنمي فيهم الإتجاهات والعادات الضرورية للأداء الوظيفي الفعال والاستراتيجية تسعى إلى مثل هذا فهي تركز على المهارات قراءة وكتابة وحسابا وتهتم بالمقررات العلمية والمهنية وإعطائها المكانة والتقليل من الدراسات المتعلقة بإنسانية الإنسان ورفعته وأخلاقه. (ص ١٣٣-١٣٤).

ويرى الدكتور "الكيلاني" (١٤٠٨هـ) بأن مستويات الأهداف ثلاثة :-

١- هدف يسعى إلى الارتقاء بالنوع الإنساني "هدف أعلى"

٢- هدف يسعى إلى الابقاء على النوع الإنساني "هدف وسط"

٣- هدف يسعى إلى تلبية حاجات الجسد الإنساني "هدف أدنى" (ص ١٠٢).

وعند انعام النظر في هذه الأهداف يجد المرء أن تقرير الاستراتيجية يهتم بآخر الأهداف ويهمل الهدف الأعلى الذي يعتبر الركيزة الأساسية من المنهج الدراسي في التربية الإسلامية، وكذلك يهتم بالمحافظة والإبقاء على النوع الإنساني عن طريق الاهتمام بصحته وغذائه.

لا يشك أحد بأن التعليم الأساسي الذي تبنته الاستراتيجية فيه جوانب إيجابية مثل :-

أ - الاهتمام بالزامية التعليم لكل فرد للتقليل من البطالة وجعله عضوا نافعا في المجتمع لا عالة عليه.

ب - تمنحه قدرا كافيا من المهارات الأساسية وتثقيفه ثقافة عصرية.

ج - ربطه ببيئته ومحاولة استغلال البيئة في خدمة الإنسان.

إن المسلمين الأوائل اهتموا بالجانب الديني والدنيوي معا، وكان الجانب الديني مدعما للاهتمام بالجانب الدنيوي "العلوم العقلية" بل إن العلوم العقلية تعتبر من العبادات التي يتعبد الإنسان ربه بتعلمها وتعليمها، وكانت العلوم الدينية والعقلية تسير جنبا إلى جنب دون حدوث انشقاق بينهما ونتيجة لهذا التآلف بينهما حدثت نهضة علمية في مختلف العلوم من فيزياء وكيمياء ومضت قافلة الإسلام فانتجت حضارة باسقة متكاملة، لكن توقف المد العلمي للمسلمين حينما تجزأت الأمة الإسلامية وفشت فيها أمراض الترف وجمودهم على من سبقهم وتعطيل ملكات

العقل والفهم والاستنباط هنا حدث تحول جذري، حيث رحلت الحضارة والقيادة إلى أمة أخرى استخدمت قواها العقلية ومكنت لأفرادها من البحث والتقصي وشجعت ذلك ماديا ومعنويا بينما خمد العقل المسلم وانطفأت جذوته وانكفأ الخط البياني للمسلم عائدا الى القهقرى.

وتلخيصا لما سبق ذكره عن التعليم الأساسي يؤكد الباحث على أن الاستراتيجية عملت:

(١) على إعادة التغني بتحقيق مبدأ الإنسانية والقومية والوطنية، وترسيخ ذلك في نفوس الناشئة.

(٢) إنها ركزت على الجانب الاقتصادي تركيزا شديدا وكانت محتويات التربية تخدم هذا الغرض.

(٣) إن هذه الأفكار ليست أصيلة وإنما هي أفكار مسبوقة، وفي بيئات غربية غريبة عن العالم العربي والإسلامي.

(٤) إن الجانب العقدي أهمل من هذه الاستراتيجية وإن كان قد ذكره المحررون، ولكن من باب التمويه والمغالطة وخداع الآخرين بأنهم من ذوي التوجيهات الإسلامية وليسوا كذلك، ومما يدل على ذلك تبنيهم القومية والوطنية والديمقراطية والإنسانية.

(٥) الاستراتيجية لم تأت بشيء جديد في ميدان التعليم الأساسي، وإنما أضافت مفاهيم وتصورات سبق تفنيدها هادفة من وراء ذلك إلى سياسة التجهيل والتضليل والهدم والتغريب وتشويه الحقائق والمبادئ السليمة وإخراج ناشئة قلقة نابية لا ترتكز على أرض صلبة ليست لها هوية محددة، وإنما هي تعيش بدون هوية، وذلك نتيجة الثقافات المتعددة التي قدمت له فأحدثت شرخا في فكره وتصوراته وجعلته يعيش بلا هوية مميزة.

(٦) وكل ذلك كان نتيجة أن المصادر التي اعتمد عليها في تقديم التعليم الأساسي ليست مصادر أصيلة، وإنما هي مزيج من ثقافات متعددة وبالتالي عكست وجهة نظر المحررين لها، وكانت الصورة قاتمة وغير واضحة بل منعدمة؛ لأنها تنطلق من غير الكتاب والسنة وانطبق على محرريها بأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٥- الملامح العامة لموضوعات التعليم في التربية الإسلامية:

من أهم المميزات والخصائص التي امتاز بها المنهج في التربية الإسلامية بصفة عامة على مدار التاريخ حتى العصر الحاضر أنه يمتاز بما يلي :

أ - قام المنهج النبوي في التربية والتعليم على أساس الوحدانية فهو دين التوحيد الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، ويؤكد أن الرسالة السماوية واحدة.

وانطلاقا من هذه الوحدانية كان هذا المنهج الذي أخذ عن النبي ﷺ يربط بين التربية والتعليم برباط وثيق ولا يعرف من التعليم إلا ما بنى على أسس تربوية صحيحة ومع كونه منهجا يقوم على الوحدانية فهو يلتزم بالجوانب النظرية والتطبيقية معا» . (منصور، المنهج النبوي أساسيات التربية والتعليم، مجلة التربية القطرية، ع٨١، رجب ١٤٠٧هـ، ص ٨١).

ب - ويمتاز المنهج النبوي في التربية والتعليم بأنه يقوم على أساس عقائدي أساسه القرآن والسنة، وقد ضمن الله حفظ كتابه وأوكل حفظه إلى نفسه يقول تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر : ٩).

ج - إن المواد التي كانت مقررة في الكتاتيب تعطي تصورا صحيحا عن أهمية القرآن الكريم في بداية التعليم، وأنه «منذ فجر الإسلام إلى اليوم تتابعت أجيال عديدة كلها ربيت و وعلمت في ظل القرآن وتحت رايته فالطفل المسلم يبدأ تعليمه بقراءة القرآن وتعلمه وحفظه ونظم التربية والتعليم كلها تقوم على منهج قرآني أساسه أن القرآن هو محور الثقافة، وباب العلم وهو العمود الفقري للعلوم جميعها سواء أكانت علوما دينية أم علوما مكتسبة» (ال سعود، القرآن الكريم أساس التربية، ١٤٠٣هـ، ص ٨).

د - إن التركيز على القرآن الكريم وتدريسه في الكتاتيب الهدف منه توجيه أبناء الأمة الإسلامية توجيها إسلاميا صحيحا بحيث يتأثر الناشئ بخلق القرآن ويتمثل ذلك في سلوكياته ويحفظه من الزيغ والانحراف ويكسبه مهارة لغوية قد يغفل عن فائدتها الكثير من الناس.

هـ - احتوى المنهج على علوم اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم و «مفتاح فهمه وتدبره ولا يمكن حفظه وفهمه وتدبر معانيه إلا بحفظ لغته والمحافظة عليها» . (آل سعود، ١٤٠٣هـ، ص ٩).

و - إن المنهج الدراسي يسعى إلى تنويع القاعدة التعليمية وإيجاد مختلف التخصصات في شتى صنوف المعرفة حتى تتوفر الكفاءات العلمية التي تستفيد منها البلاد وتكتفي اكتفاء ذاتيا عن الاستعانة بالآخرين إلا في مجالات ضيقة ومحدودة، وفي المواد غير الدينية وأن إغفال هذه التخصصات في المنهج الدراسي وإهمالها ليعتبر حجر عثرة في تنويع القاعدة التعليمية، وإهمالا للعقول البشرية وتعطيلا لها من المساهمة في تنمية وتطوير البلاد وتغطية مختلف التخصصات التي تحتاجها البلاد وينتفع منها العباد.

ز - كما أن المنهج الدراسي اهتم بالجانب المهني ولم يغفله ويهمله هادفا من وراء ذلك إلى استغناء الأمة الإسلامية عن غيرها بأبنائها من ذوي المهارات المتعددة التي تسد حاجة المجتمع ومتطلباته.

ح - مرونة المنهج:

وتظهر أصالة المنهج الدراسي الإسلامي عند بعض المفكرين المسلمين التربويين في أنه مرن وغير جامد بمعنى أنه يستوعب الجديد وينفتح على الحضارات الأخرى مادام لا يتعارض مع الدين الإسلامي ويلائم العقيدة الإسلامية؛ لأن العلم في تطور مستمر وسائر إلى الكمال.

ط - ويمتاز المنهج الدراسي في التربية الإسلامية بالتدرج في طلب العلم فلا يقدم ماحقه التأخير ولا يؤخر ما حقه التقديم، وهذا مبدأ نبوي كريم، فأفضل العلوم العلوم الدينية؛ وذلك لأن موضوعها هو معرفة اللّه سبحانه وتعالى فحقها أن تكون على رأس قائمة الأسبقيات.

«والمقياس الذي يميز علما من آخر يتقرر بشيئين ثمرة العلم ووثاقة دلالته فمثلا علم الدين ثمرته الحياة الأبدية التي لا آخرة لها، وعلم الطب ثمرته حياة البدن حتى الموت، ولذا فعلم الدين أشرف منه». (الغزالي، ميزان العمل، ١٣٨٤هـ، ص١٣٢).

ي - ويمتاز المنهاج الدراسي بأنه قام على أساس مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين واستعداداتهم وميولهم، ولم يقم على القهر والإجبار فكل متعلم يتخصص في العلم الذي يميل إليه ويتقن صناعة يرومها ويحبها، وهذا مبدأ قرآني ونبوي في

آن واحد فالله سبحانه وتعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ماالكتسبت﴾ (البقرة: ٢٥٦).

والنظام التربوي الأمثل هو الذي يراعي هذا المبدأ.

ك - يقوم منهج التربية في الإسلام على مبدأ الارتباط الكامل بالدين وما فيه من تعاليم وقيم، ولهذا يجد المرء أن هذا المنهج يهدف إلى تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى ويجعل القرآن الكريم أساس التربية لكل المواد التالية للقرآن.

فالعلوم يكمل بعضها بعضا فهناك علوم الأداء وهي وسيلة لفهم القرآن والسنة مثل اللغة والصرف والنحو التي يستعان بها لفهم القرآن والسنة، وهذا شبيه بنظام الساعات الموجود حاليا في بعض أقطار العالم العربي والإسلامي والذي يقدم مواد دراسية بشكل تسلسل منطقي بحيث لا يقدم المتعلم على فن حتى يتقن الذي قبله وهكذا.

ويلخص العلامة "أبو الحسن الندوي" (١٣٩٦هـ) مواد هذا المنهج الذي كان قائما في عصور الإسلام في نوعين من المواد الدراسية أولهما هو: «المواد الدراسية الأساسية» ومنها «الكتاب والسنة والسيرة النبوية» وثانيهما: «العلوم العصرية» (نحو التربية الإسلامية الحرة، ص ٥٧-٦١).

وقريب من هذه الرؤية يرى "أبو الأعلى المودودي" (د. ت) «أننا مدعوون إلى أن ندرس كل فرع من العلم والفلسفة والاجتماع ومدعوون إلى أن ندرس كل فرع من فروعها ونفيد من المعلومات التي وصل إليها الإنسان في أدوار التاريخ، ولكننا إذا أردنا أن نحيا ونبقى مسلمين يجب أن لا ندرس هذه العلوم إلا بعد أن نجعلها إسلامية». (دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، ص ٣١-٣٢).

«أي: أن منهج التعليم في الإسلام منهج وظيفي هدفه تخريج وتشكيل إنسان مسلم عارف بدينه وربه يتحلى بأخلاق القرآن ويتصرف وفق قواعده ومبادئه وفي الوقت ذاته تخريج إنسان فاهم للحياة قادر على أن يعيش حياة كريمة في مجتمع حر كريم يقدر على أن يعطيه ويساهم في حركة بنائه ودفعه وتطوير الحياة فيه من خلال فن يتقنه ويجيده» (عبود، في التربية الإسلامية، ١٣٩٧هـ، ص ١١٨).

إن علم الدين لازم للمسلم، وكذلك الدنيا لازم له من حيث هو يعيش في بيئة ومجتمع له متطلباته لكن ما يطلب من المسلم هو أن يعرف غاية حياته وهي: «أن تكون الآخرة مراد المؤمن وغاية سعيه»، فهو «مأمور أن يعمر الدنيا وأن ينميها ويرقيها، مأمور أن يمشي في مناكب الأرض يأكل من رزق الله فيها وينعم بطيباتها» على «أن يكون فيها سيدا لا عبدا» و «أنه قد يملك الدنيا ولكنها لا تملكه، وقد تمتلئ بها يداه ولكن لا يمتلئ بها قلبه، ذلك أنه يعيش في الدنيا بروح المرتحل كأنه غريب أو عابر سبيل». (القرضاوي، الإيمان، والحياة، ١٣٩٣هـ، ص ٢١٨-٢١٩).

وبهذا يستطيع المسلم أن يقيم التوازن بين حاجات الروح والجسد وبين علم الدنيا والدين.

وللتدليل على أن القرآن الكريم هو أساس التربية الإسلامية يحاول الباحث هنا أن يقدم مقتطفات من المحاضرة التي القاها "محمد الفيصل آل سعود" (١٤٠٣هـ) وعنوانها: "القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية"، وهي: من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة عام (١٣٩٧هـ)، حيث جاء في هذه المحاضرة أن التربية الإسلامية لها طابع يميزها عن المناهج غير الإسلامية في التربية والتعليم، وهذا الطابع مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم قدم "محمد الفيصل" المبررات التي تبرز أهمية القرآن الكريم وتجعله في قائمة الأسبقيات في منهج التربية الإسلامية، والتي منها: -

١- أن القرآن هو المصدر الخالد للنظم الإسلامية في التشريع والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم.

٢- وأنه يربط العلوم جميعها بالمبادئ العليا الإسلامية في العقائد والأخلاق وأن نظم التربية والتعليم القرآنية أساسها أن كل علم نافع للمجتمع ضروري له وواجب على الأمة الإسلامية تهيئة أسباب تعلمه لجميع أفرادها أو لطائفة منهم حسبما تقتضيه حاجة الزمان والمكان.

٣- هو الأساس الثابت لعقائد الإسلام ومبادئه وأخلاقه وثقافته.

٤- منذ فجر الإسلام والأجيال تتربى في ظل القرآن وتحت رايته فالطفل المسلم يبدأ تعليمه بقراءة القرآن وتعلمه وحفظه.

٥- القرآن هو محور الثقافة والعلم، وهو العمود الفقري للعلوم جميعها سواء أكانت علوما دينية أم علوما مكتسبة.

٦- القرآن حفظ للأمة الإسلامية شخصيتها ووحدتها الفكرية والثقافية.

٧- القرآن هو صانع الوحدة الفكرية والثقافية بين المسلمين، وهو الضامن لها طالما بقي الأساس الخالد للتربية والتعليم.

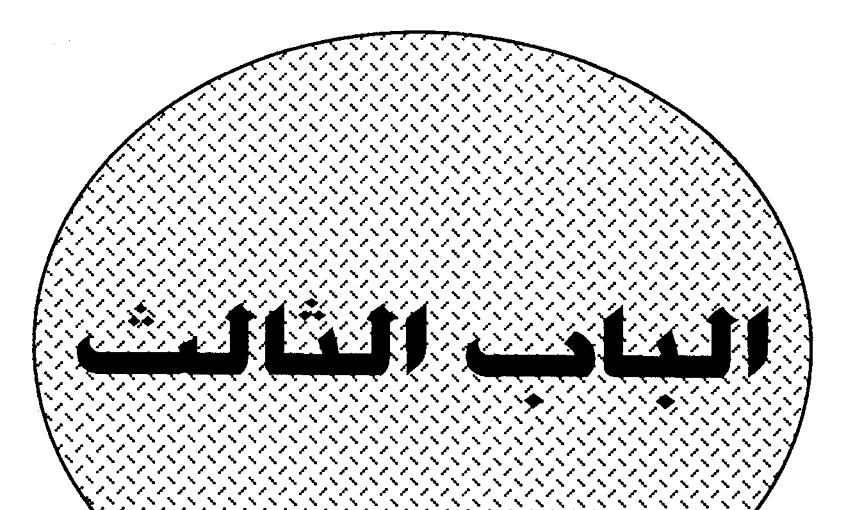
٨- القرآن الكريم كرم لغة العرب وتشرفت به ولم يتشرف القرآن الكريم بها، وبذلك ضمن لها البقاء والخلود معه، وحفظ الأمة الإسلامية للقرآن هو حفظ للغة العربية وحفظ لوحدتها الفكرية والثقافية التي هي أساس وجودها ومصدر قوتها.

٩- وبالمحافظة على القرآن والعمل به تجاوزت الأمة الإسلامية اعتبارات العرق والجنس والقومية والإقليم وأصبحت مثلا خالدا للوحدة الإسلامية.

١٠- والوحدة الفكرية المستمدة من القرآن تعني كذلك وحدة العلوم المختلفة وارتباطها وتكاملها؛ لأنه لا فائدة من علم إذا كان يناقض بعضه بعضا أو يهدم قواعده وأركانه.

١١- وتعني هذه الوحدة الترابط بين مختلف فروع العلم والمعرفة برباط التكامل والتناسق وستبقى هذه الوحدة مادام أن القرآن هو المحور الذي تبدأ منه جميع العلوم وتسير نحو أهدافه، ومثله العليا جميع الدراسات والبحوث في جميع فروع العلم والمعرفة بلا استثناء لتصبح العلوم وحدة متكاملة لا يستغني بعضها عن بعضها الآخر، وسار المسلمون على هذا المبدأ الأساسي منذ صدر الإسلام؛ إذ أن العلوم الدينية والدنيوية النظرية والعملية والكونية كلها فروع لعلم إسلامي واحد يبدأ بالقرآن ويستمد روحه وتوجيهاته من آياته ومبادئه وعقائده. (ص٧-١١).

وسيأتي مزيد تفصيل عن التعليم الأساسي في فصل لاحق أثناء تصور مقترح عنه.



الباب الثالث

الخطوط الموجهة لاستراتيجية تطوير التربية العربية

يتناول هذا الباب معالم الانطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي، والمبادئ التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم التي تعتبر ركيزة أساسية ومصباحا منيرا لمن يريد أن يخوض غمار التربية والتعليم ويقدم الجديد فيه ويطوره سواء على مستوى التعليم الأساسي أم العالي، فهذه إضاءة تنير الدروب لسالكيه.

إن استبانة الطريق ووضوح الغاية وسلامة العقيدة وصحة التصور كلها معايير معينة يجب أن يتصف بها من يتصدر القيادة والتوجيه في أي ميدان وإذا انعدمت هذه المعايير أو لم تتوفر في الشخص نفسه فحرى به أن يمتنع عن قيادة الآخرين حتى يمتلك الأدوات التي تؤهله لهذه المكانة وهذه الريادة المنوطة به.

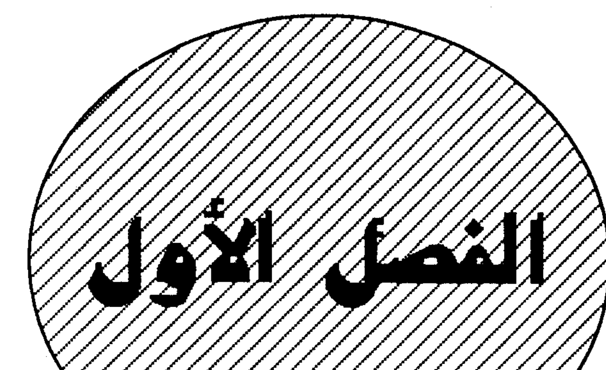
وهذا الباب يقدم خطوطا عريضة لتوجيه أي عمل تربوي يعزم صاحبه على الشروع فيه وتقديمه مستقبلا ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول : المفاهيم العامة لبناء خطة تربوية مستقبلية.

الفصل الثاني : معالم الإنطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي.

الفصل الثالث: مبادئ الخطة التربوية البديلة من منظور التربية الإسلامية.

الفصل الرابع : قواعد عامة توجه تطوير التربية في العالم العربي والإسلامي.



المفاهيم العامة لبناء خطة تربوية إسلامية مستقبلية

تمهيد

١- أهمية التعرف على الطبيعة الإنسانية

٢- مفهوم الاقتباس في تقرير الاستراتيجية

٣- ضوابط المقتبِس

٤- ضوابط المقتبَس

٥- المحتوى في تقرير الاستراتيجية

تمهيد:

هناك عبارة مأثورة أوردها "البيهقي" (١٣٩١هـ) في كتابه "مناقب الشافعي" عن الشافعي نفسه، أنه قال: «إذا ذكر الرجل بغير صناعته فقد وهص». (٢/ ٢٠٠).

ومعنى هذه العبارة أن الإنسان إذا خاض في علم لا يتقنه فقد وضع نفسه موضع النقد وعرضها للسخرية والاستهزاء، وهذا كسره.

ما أصدق العبارة وما أدقها! إنها قد تنطبق على محرري الاستراتيجية الذين تسنموا مراكز القيادة والتوجيه بغير سلاح وعرضوا أنفسهم للنقد؛ لأنهم خاضوا غمار علم لم يوفوه حقه وليسوا من أهله.

هناك مفاهيم عامة يجب ألا تغيب عن بال القادة التربويين المعاصرين والذين اسند إليهم وتسنموا مركز القيادة وتوجيه الناشئة، وهذه المفاهيم مهمة جدا خاصة أثناء بناء خطة تربوية مستقبلية، وتتمثل هذه المفاهيم فيما يلي: -

١- أهمية التعرف على الطبيعة الإنسانية:

إن من بدهيات معالم بناء أي خطة تربوية مستقبلية أن يؤخذ في الاعتبار من هو هذا الذي يراد بناؤه وتربيته؟ وما خصائصه ومميزاته؟ وما الغاية من وجوده؟ وما نهايته؟ وإلى أين يسير؟. وما المصادر التي يمكن الاعتماد عليها للتعرف على خصائصه وغاية وجوده في هذه الحياة؟

ومن خلال التعرف على هذه الخصائص التي يتميز بها الإنسان المسلم من غيره يمكن أن يقدم له معالم بناء خطة تربوية مستقبلية.

أما حين تغيب عن المرء خصائص هذا الإنسان فحينئذ لن يستطيع أن يقدم خطة تربوية سليمة له لجهله بخصائصه.

وعند إنعام النظر في تقرير الاستراتيجية يجد المرء المسلم أن محرريها قد ضلو الطريق الصحيح في بناء الإنسان المسلم وذلك لعدم امتلاكهم الرؤية الصحيحة عنه من القرآن والسنة؛ ولهذا جاء البناء مشوها مشوشا وفي صورة مختلفة ومتضادة، ودليل ذلك تلك المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية والتي تهدف إلى إيجاد الإنسان العربي، والإنسان القومي أو الإنسان الديمقراطي، وشتان بين بناء الإنسان القومي والديمقراطي وبين بناء الإنسان المسلم، وذلك لاختلاف مصادر تربية كل منهم.

فالإنسان الديمقراطي له خصائص تميزه عن الإنسان المسلم الذي يؤمن باللّه ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وبين الإنسان القومي الذي يجعل من القومية دينا ومنطلقا له في حياته.

ومن هنا حصل التمايز والتضاد ولم يستبين محررو الاستراتيجية الطريق الصحيح فضلوا في نفوسهم وأضلوا غيرهم، وهنا كان مفرق الطرق.

إن التربية عملية قصدية هدفها تنشئة الإنسان الصالح العابد للّه سبحانه وتعالى، وذلك من خلال تنمية طاقاته المختلفة لإبلاغه إلى كماله الإنساني.

والوصول إلى هذا الكمال الإنساني المنشود لا يتحقق إلا من خلال معرفة المعلم للغاية العليا من خلق الإنسان وتوفر محتوى سليم يساعد على تحقيق هذه الغاية إضافة إلى وجود معلم مسلح بالثقافة الإسلامية وملم بطبيعة المتعلمين وخصائصهم ومعتز باللّه وبعقيدته التي من خلالها تنطلق جميع أنشطة الحياة.

إن الإنسان المسلم هو الهدف والمقصد والمحور الرئيسي للنبوات والرسالات أصلا وعدم التعرف على خصائصه ومعرفة المصادر التي توضح طبيعته، هنا يضل الإنسان ويجانبه الصواب لو حاول التعرف على خصائصه من غير المصادر الأصيلة فالرسالات السماوية جاءت تهدي الناس إلى ما يصلح حياتهم؛ لأن رب العالمين هو أعلم بما يصلح ويناسب الفطرة لهذا الإنسان.

إن الرسالة النبوية هي التي أجابت عن هذه الأسئلة واعطت التصور الكامل للإنسان والكون والحياة والألوهية.

والأنبياء والرسل هم المربون الحقيقيون لهذه الأمة و«كل روح لم يربها الرسل لم تفلح ولم تصلح لصالحة». (ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د.ت، ١/٦٦).

لايشك عاقل بأن معرفة الطبيعة الإنسانية مهمة جدا وخاصة عند بناء أي خطة تربوية مستقبلية حيث لا يمكن بناء ذلك دون معرفة لهذه الطبيعة الإنسانية وإلا فحاله كمن يبنى هياكل من الثلج دون أساس متين أو بنيان راسخ، أو كمن يرقم على الماء أو يحاول استنبات البذور في الهواء فلينظر بما يعود؟

وهذا الحال هو ما عليه محررو الاستراتيجية الذين لم يفطنوا إلى أهمية معرفة

الطبيعة الإنسانية عند بناء أي خطة تربوية مستقبلية إضافة إلى أن هناك مفاهيم خاطئة في أذهانهم لم تكن الرؤية عنها واضحة مما زاد الطين بلة، بل لعل من أخطر المشكلات التي يعاني منها النظام التعليمي في العالم العربي أنه أو كل قيادة توجيه التربية والتعليم إلى أناس يفتقدون أبسط معايير القيادة التربوية؛ إذهم يجهلون المصادر الأصيلة في منهج التربية الإسلامية وهؤلاء هم لا يزيدون الأمة إلا خبالا ودليل ذلك وجود مفاهيم خاطئة لديهم لن تسهم إلا في انتاج شخصيات مشوهة متناقضة نتيجة لتناقض الموارد التعليمية ومن هذه المفاهيم.

٢ – مفهوم الاقتباس في تقرير الاستراتيجية:

كل من يقدم على عمل ما يجب عليه إتقان هذا العمل لأن الإتقان دليل الإخلاص والتعليم في الإسلام هو رسالة قبل أن يكون مهنة والمعلم بهذا هو حامل الرسالة يدرك المسئولية الملقاة على عاتقه وعليه أن يدرك عظم هذه المسئولية وأنه سيسأل عنها يوم القيامة.

وانطلاقا من هذا يرى الباحث أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. ومن الحكمة الاستفادة من الحضارات الأخرى بما يتلاءم مع عقيدتنا الإسلامية وألا يتعارض معها؛ لأن تزكية النفس المسلمة وتطهيرها وغرس قيم الخير فيها لايمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم وإنما بوحي اللّه تعالى الذي طريقنا إليه الرسل. (سابق، العقائد الإسلامية، د.ت، ص ١٧٨).

كما أن تجارب البشر مهما بلغت لا يمكن أن تهديهم إلى سواء السبيل ولا أن تدلهم على المنهاج القويم؛ لأن النظرة البشرية مهما اتسعت فهي قاصرة ومهما علمت فهي جاهلة تدرك من الحقيقة طرفا ويغيب عنها الآخر. (عبد الواحد، شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم، ١٤٠١هـ، ص ٨٩).

ومن هنا يود الباحث أن يؤكد على حقيقة مؤداها أن محرري الاستراتيجية لم يفطنوا إلى أهمية الاقتباس وضوابطه ومعاييره، بل كان الاقتباس عندهم شاملا وعاما ودليل ذلك أن المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية كانت من مذاهب متعددة ونظريات مختلفة وثقافات متباينة فالمبدأ الديمقراطي والقومي ومبدأ التربية للإنسانية الوارد في الاستراتيجية لها مصادرها الخاصة ومفاهيمها المعينة، ولكنهم أوردوها على

أساس أنها هي المبادئ التي يجب أن تنطلق منها التربية والتعليم وتحاول ترسيخها في نفوس الناشئة وهي من المسلمات في نظرهم لا تقبل المناقشة؛ لأنهم توصلوا إليها بعد جهد جهيد ومناقشات مضنية وعقدت من أجلها ندوات ومؤتمرات متعددة في سبيل تقريرها.

إن الاقتباس الذي وقع فيه محررو الاستراتيجية لا يمكن القبول به؛ لأنه اقتباس مطلق وعلى علاته، وهذا مخالف لما كان عليه الحال في أمة الإسلام التي استفادت من الحضارات الأخرى، وكان اقتباسها من الآخرين نابعا عن عزة واستعلاء واستقلال وهدفه التمكين في الأرض وتحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى، وهذا الموقف أصبح بمثابة وقاية وحصانة للأمة الإسلامية من الانبهار والافتتان بما عند الآخرين، وأتاح لأمة الإسلام حرية الاختيار والانتقاء بينما يلمس المسلم في العصر الحاضر أن الضعف والانبهار بالحضارات الأخرى أصبح سمة أساسية يتصف به من يتصدى لقيادة الآخرين غالبا في العالم العربي، وهذا هو الموقف الذي اتصف به محررو الاستراتيجية التي حوت خليطا من أفكار شتى وثقافات متباينة، بحيث يقف الإنسان المسلم حائرا إزاء هذه المبادئ التي تبنتها الاستراتيجية إذ كيف يجمع بين هذه المبادئ المتضاربة والمتناقضة في آن واحد؟.

لقد كان اقتباس الأوائل من المسلمين اقتباسا مبدعا إذ صاحبه حسن الانتقاء ابتداء ثم تمحيص ما ينتقي وفق العقيدة الإسلامية «ثم يكون الهضم والتمثل والإضافة والتجديد والإغناء . . . ابتكر المسلمون واكتشفوا كثيرا من المعطيات والنظم الحضارية التي كانت بمثابة الأسس التي بنيت عليها فيما بعد حضارات أخرى في مشارق الأرض ومغاربها» (خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ١٤٠٥هـ، ص ٦٦ ، ٧٣).

وهناك نصوص من السنة النبوية تمنع الاقتباس من غير أمة الإسلام في مجال الفكر والثقافة من ذلك ما جاء في "سنن الدارمي" (د. ت) أن النبي ﷺ أتي بكتف فيه كتاب فقال: **«كفى بقوم ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ماجاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم»**. (باب من لم ير كتابة الحديث، ١/ ١٢٤) فأنزل الله عزوجل **﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** (العنكبوت: ٥١).

ومن ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ عندما أتي إلى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فغضب رسول الله ﷺ فأحس عمر بهذا الغضب فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني». (الدارمي، السنن، د. ت، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قومه، ١/ ١١٦).

وهناك رواية أخرى أوردها الإمام "أحمد" (١٣٦٨هـ) في "مسنده" أن عمر ابن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب - يعني أمتحيرون في الإسلام فتلجأوا إلى الأخذ من سواه- والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني». (٣/ ٣٨٧).

ويفهم من هذه النصوص الواردة في هذا الشأن «أن النبي -عليه الصلاة والسلام- نهى المسلمين أول الإسلام عن الاستقاء من غير الكتاب والسنة؛ إذ لابد من وضوح الفكرة وصفاء العقيدة واستقرار المقاييس والمفاهيم فلما وعى المسلمون دينهم في صدر الإسلام وتفتحوا بعد ذلك على الأمم وأديانها وعقائدها جعلوا الإسلام حكما عليها، وعند ما يعي المسلمون دينهم ويفقهون كلام الله ورسوله، فإن الإسلام يظل مهيمنا على ماسواه من أفكار ومعتقدات ونظم، وحكما عليها؛ لأنه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصبح حارسا لهويتهم من الذوبان والضياع» (العمري، التراث والمعاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٧).

إن فقدان الأصالة يؤدي إلى نتائج وخيمة وسلبيات قاتلة وفادحة، من أهمها: التخلف العقدي الذي شاب هذه الاستراتيجية إذ لم يكن واضحا هذا لدى محرري الاستراتيجية الذين جمعوا بين الغث والسمين، وترتب على ذلك أن فقد التقرير الأصالة وركن إلى الحضارة الغربية يعب منها عبا، وهذا أوجد نوعا من التبعية الفكرية بغير وعي ولا بصيرة، وهنا لم تراع الاستراتيجية مدى موافقة ما يقتبس من

الحضارات الأخرى للعقيدة الإسلامية، وهذا راجع إلى انبهار المحررين للاستراتيجية بهذه الحضارة وتتلمذهم على موائد الفكر الغربي، وبالتالي ففاقد الشيء لا يعطيه.

إن الخلط واضح وبين في مفهوم الاقتباس لدى محرري الاستراتيجية إذ ينبغي «أن يفرق بين المدنيةوالتي موضوعهاوسائل الإنسان والإبداع في مجال الماديات من صناعة وعمران ومواصلات. . . والثقافة التي موضوعها الإنسان نفسه والإبداع في مجال المعنويات كالارتقاء بتأهيل الإنسان وتربيته وتكوين نظرته السوية إلى الكون والحياة وتحديد هدفه». (النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ١٧).

فالمدنية يمكن أن يفسح فيها مجال الاقتباس منها بشرط خضوعها أيضا للعقيدة الإسلامية، أما في مجال الفكر والثقافة فلا مجال للاقتباس منها؛ لأن الفكر والثقافة تمثل الذاتية والخصائص الشخصية لكل أمة على حدة.

فأمة المسلمين تعتبر أمة متميزة بعقيدتها وهويتها ولا تسمح بأن تشاطرها في ذلك أمة من الأمم مهما بلغت وارتقت.

إن موقف الضعف والانبهار بالحضارة الغربية واضح للعيان، وهذا الموقف أدى إلى تقليد هذه الحضارة في مختلف المجالات، وهذا الانبهار والافتتان بها لا يتيح أيضا حرية الاختيار والانتقاء، وهذا السبيل في دوام النقل والاقتباس أفقد تقرير الاستراتيجية الإبداع والأصالة في الشيء المقتبس. (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص١٠٥، ٣٤١).

إن هذا الاقتباس المطلق غير البصير في الاستراتيجية أوجد ثغرات كبيرة فيها، تتمثل هذه الثغرات في تغريب الناشئة عن دينها، وقد فطن إلى هذا المنحنى الخطير وهذا التوجيه الهدام المستشرق الإنجليزي "جب" في معرض حديثه عن أهمية التعليم في التغريب قائلا: «والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربي هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره». (حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ١٣٩٢هـ، ٢/٢١٦-٢١٧).

٣ - ضوابط المقتبس:

إذا كان الاقتباس مطلقا لدى محرري الاستراتيجية فإن الباحث سيقدم بين يدى

القارئ معايير الاقتباس ليلمس مدى انطباقها على محرري الاستراتيجية والتي منها :

أ - أن يكون المقتبس ذا أصالة إسلامية، أي : صاحب عقيدة صحيحة ومنهج صحيح وتصور سليم، وأن يكون قد نال قسطا وافرا من ثقافة الكتاب والسنة صاحب بصيرة إيمانية تقيه الزيغ عن الحق وبصيرة علمية تستند إلى العلم والفهم متمكنا في المجال الذي سيقتبس منه. (قطب، وقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ١٤٠٨هـ، ص١٠٥-١٠٦). و(العمري، التراث والمعاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٥-١٣٦).

ب - أن يكون تعامله مع الغرب وكل الحضارات الوافدة نابعا من موقع العزة والاستعلاء لا من موقف الضعف والذوبان. (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص١٧٦-١٨٢).

ج - أن يتقى الانبهار والافتتان بالحضارة الغربية وغيرها مهما بلغ شأنها من التقدم العلمي والتقني؛ لأن الانبهار يمثل عائقا أمام حرية الانتقاء وجودته، وهو سبيل إلى الإعجاب بالغرب وغيره والتبعية لهم، ومن ثم ذوبان الشخصية الإسلامية وضياع الهوية. (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ١١، ١٠٥).

د - أن يكون المقتبِس جامعا بين الاطلاع على الفكر الغربي عارفا ملما بسلبياته محصنا بعقيدته الإسلامية ملما بدقائقها وخصائصها التي تعتبر سياجا منيعا من الانزلاق في الفكر الغربي.

٤ - ضوابط المقتَبس:

وإذا تحققت معايير المقتِبس وتوفرت ضوابطه فعندئذ لا بد أن تتوفر في المقتَبس معايير معينة ومنها.

أ - أن يخضع للعقيدة الإسلامية وتصوراتها ويعالج انطلاقا من هذه العقيدة التي تعتبر الإطار المرجعي لمختلف أنشطة الحياة. (العمري، التراث والأصالة، ١٤٠٥هـ، ص٢٨). و(الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ١٠، ٧٢).

ب - أن يكون المقتَبس ضمن دائرة الاقتباس المباح أي : يتوافق مع عقيدة الإسلام. (العمري، التراث والمعاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١١٢-١١٤).

ج - أن يكون المقتَبس مما تحتاج الأمة إليه مع عدم توفر البديل له. (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٥، ٣٧٤).

د - تحرى مدى صلة ما يقتبس بالتصورات العقدية لئلا يكتنفها الغموض. (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ١٣٨-١٤٨).

هـ - أن يكون المقتبَس مراعيا لخصائص الأمة الإسلامية من حيث طبيعتها وأهدافها ومبادؤها.

و - تحديد الأولويات ضمن إطار التدرج بمراحل الاقتباس فلا يقتبس المهم ويترك الأهم.

ويضيف "عدنان بن علي بن رضا النحوي" (١٤١٣هـ) معايير أخرى في كتابه "الشورى لا الديمقراطية" أثناء الاستفادة من الآخرين بحيث تخضع للأسس التالية :-

١- أن لا يكون الأخذ في ميدان الفكر والعقيدة وتصورات الحياة والكون والألوهية.

٢- أن نرد ما نأخذه ردا أمينا إلى منهاج اللّه عن علم وخبرة وإيمان.

٣- أن تنصهر التجربة البشرية التي نأخذها في قلب النظرية الإسلامية والتصور القرآني للإيمان والتوحيد . . . ولتصبح هذه التجربة قوة خير وإصلاح في حياة الإنسان ولتحارب الفتنة والشر والفساد».

٤- «أن لا ينحصر جهدنا في الأخذ والتسول من غيرنا ثم ننسى مسؤوليتنا وننسى أننا دعاة نحمل الحق الذي نزل به الوحي لنبلغه للناس وندعوهم إليه ونتعهدهم به». (ص ١٦١).

إن الناظر بعين البصيرة إلى ضوابط المقتِبس والمقتَبس يجد أن تقرير الاستراتيجية يخلو منها غالبا.

فعلى سبيل المثال لو قدم الباحث ضابطا واحدا من ضوابط المقتِبس وحاول تطبيقه على محرري الاستراتيجية لكانت النتيجة سلبية مائة في المائة.

فمثلا من ضوابط المقتبس أن يكون جامعا بين الفكر الغربي عارفا ملما بسلبياته محصنا بعقيدته الإسلامية ملَما بدقائقها وخصائصها.

هنا يجد الإنسان المسلم أن هذا الضابط مفقود من محرري الاستراتيجية، فهم ليسوا على اطلاع وإلمام بالعقيدة الإسلامية إضافة إلى أنه لا يوجد متخصص في

العلوم الدينية، ودليل ذلك أنهم تبنوا مبادئ مضادة ومناقضة لها، مثل: تبني المبدأ القومي والديمقراطي وغيره من المبادئ الهدامة التي تسعى إلى مسخ هوية الناشئة وتغريبهم عن دينهم وعقيدتهم وتشويه مفاهيمهم وتصوراتهم، هذا مثال واحد على فقدان الاستراتيجية لمعايير وضوابط المقتبِس.

ولو طبق الباحث ضوابط المقتَبس على تقرير الاستراتيجية لوجد أيضا أن الاستراتيجية تخلو منه تماما فعلى سبيل المثال الضابط الذي ينص على أن لايكون الأخذ من الحضارات الوافدة في ميدان الفكر والعقيدة وتصورات الحياة والألوهية.

وعند إنعام النظر في الاستراتيجية يجد المرء أنها تتبنى فكرا مضادا ومصدرها الوحيد منظمة "اليونسكو" ومعروف أن هذه المنظمة أنشئت لهدم الإسلام وتشويه مبادئه وقيمه وتصوراته.

وبالتالي فكيف يمكن أن تقدم هذه الاستراتيجية فكرا أصيلا، وهي بهذه الصورة؟ وهل وضعها الحالي يؤهلها لأن تكون مصدر عطاء ونماء للعالم العربي؟.

وهل من خلال هذه المبادئ المتضاربة تنشأ أجيال سليمة وفتية؟.

٥ - المحتوى في تقرير الاستراتيجية:

ماذا يتوقع القارئ والمطلع على هذه الدراسة أن يكون المحتوى التعليمي في تقرير الاستراتيجية؟

الإجابة قد لا تحتاج إلى تفكير عميق وبعد نظر وتقليبه فمادام أن مفهوم الاقتباس شامل وعام لدى محرري الاستراتيجية وهو غير مقيد بضوابط معينة فلا شك أن المحتوى التعليمي سيكون مضطربا ومتناثرا.

من الحقائق التي لاشك فيها أن التقرير يسعى إلى إيجاد الفرد الإنساني والقومي والديمقراطي، وأن المحتوى لابد أن يكون متضمنا لهذه المبادئ بحيث يتشربها الناشئة لتصبح جزءا أساسيا من كيانهم وهذه المبادئ هي في الواقع من باب طمس ومسخ هوية الأمة الإسلامية وتفريغها من محتواها الإسلامي، وهي ليست من الإسلام في شيء لفقدانها وحدة الهدف والغاية والمصدر.

إن المفاهيم والتصورات الإسلامية والأهداف التي تسعى التربية الإسلامية إلي تحقيقها لم تتضح في أذهان محرري الاستراتيجية، ذلك «أن علوم الشريعة مع الطب

والهندسة والتربية والرياضيات وعلم النفس كلها علوم إسلامية مادامت داخل الإطار الإسلامي ومتفقة مع تصوره ومفهومه» . (توصيات المؤتمرات، ١٤٠٧هـ، ص ١٢، ١٣).

إن كل نظام تعليمي ينطلق في طياته من فلسفة معينة وهذه الفلسفة منبثقة من تصور معين ولا يمكن فصل أي نظام تعليمي عن فلسفته المصاحبة له ومن ثم فإنه لايجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية وتربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الإسلامي» . (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع، ١٤٠٣هـ، ص ١٣-١٤).

وأي نظام تربوي يجب أن يقوم على هذا الأساس المتميز .

وبما أن الغاية العليا من إيجاد الإنسان هي تحقيق العبودية للّه تعالى، فإن النظام التعليمي الإسلامي لابد أن يسعى إلى تحقيق هذه الغاية من خلال المحتوى الدراسي الذي يجب أن يستهدف «إعداد الإنسان الصالح المؤمن باللّه الذي يعبد اللّه حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه» . (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع، ١٤٠٣هـ، ص١٢).

وهذا يقتضي منا أن تحدد معالم السياسة التعليمية المرجوه والتي يجب أن تكون :

(١) نابعة من مصادر العقيدة الإسلامية .

(٢) أن تكون محققة لأهداف التربية الإسلامية في بناء الفرد والأمة .

(٣) أن تكون خالية من التناقضات وممكنة التحقيق .

(٤) أن تكون محققة للحاجات المادية والروحية بتكامل تام من مختلف الجوانب .

(يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ١٤٠٩هـ، ص ٣٤).



معالم الانطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي

تمهيد

١- الطريق إلى النهوض بالأمة العربية والإسلامية

٢- أصول تحقيق الوحدة الإسلامية

٣- نماذج من مستخرجات التعليم في صدر الإسلام

تمهيد:

الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. (البقرة: ١٤٣).

وهي أمة مصطفاة من بين الأمم قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ (الحج: ٧٨).

والاجتباء والاصطفاء لا يكون إلا لفضلها وعلو شأنها، وجاء فضلها وعلو شأنها من الله سبحانه وتعالى الذي تولى إخراج هذه الأمة في بداية تكوينها وصنعها صناعة تؤهلها لتقود العالم بأسره، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران: ١١٠).

«فها هنا مخرِج وهو الله ومخرَج وهو هذه الأمة وأداة حصل بها الإخراج على هذا النحو وهو الإسلام فبالاستقامة على الإسلام تحققت الأفضلية» (الأشقر: كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد، ١٤١٢هـ، ص ١٥).

إن الارتقاء بالأمة الإسلامية إلى المكانة العليا لم يتحقق عن طريق التقدم المادي فقط وإنما كان ذلك عن طريق إخراج الفرد المسلم الذي يعبد الله حق عبادته ثم التآخي بين أفراد الأمة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية فقط، أما الألوان واللغات والقوميات والعصبيات والإقليميات فلا وزن لها ولا قيمة لها في مفهوم الإسلام فوظيفتها التعارف لا التناكر.

وبما أن الأمة الإسلامية «خير أمة والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض ومن ثم ينبغي لها أن تعطي ما لديها لا أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية تعطي غيرها الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح». (جمال، قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص ٨٠).

وإن إصلاح الإنسان المسلم في العصر الحاضر لابد أن يتم عن طريق أمرين اثنين لاثالث لهما: -

أ - «إصلاح الفرد وذلك بإصلاح عقيدته وتصوراته وأفكاره وقيمه وأخلاقه وموازينه».

ب - «إصلاح المجتمع الإنساني بإصلاح علاقاته ونظمه وقوانينه». (الأشقر، ١٤١٢هـ، ص ٢٨-٢٩).

ويود الباحث أولا أن يضع معالم الانطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي، ويقدم ثانيا مبادئ بناء خطة تربوية إسلامية مستقبلية من حيث:

أ - المبادئ والتوجه العام.

ب - التعليم الأساسي.

أما معالم الانطلاقة التربوية فسيكون الحديث عنها من خلال النقاط التالية:

١- الطريق إلى النهوض بالأمة العربية والإسلامية:

الطريق إلى الارتقاء بالأمة العربية والاسلامية واضح ومحدد ولا يحتاج إلى تفكير عميق وبعد نظر أو إشغال الذهن.

هناك دعائم أساسية يمكن أن تنطلق منها الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تنهض من كبوتها وتستعيد مكانتها من جديد وتتمثل هذه الدعائم في:

١- تحديد العقيدة الواحدة وتصفيتها من الشوائب.

٢- تخليص الشريعة الإسلامية وتنقيتها من البدع والغلو والتفريط.

٣- تهيئة الفرد المسلم ليقبل العقيدة الناصعة الواضحة والشريعة الغراء السمحة الكريمة. (عبد الخالق، خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص ٤٥).

إن إعادة الإسلام إلى العالم الإسلامي تبدأ «من إسقاط اللافتات الكاذبة وكشف المقولات الغامضة وفضح الشعارات الملبسة التي تتخفى وراءها العلمانية الكافرة . . . لتبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة». (المصري، معالم الانطلاقة الكبرى، ١٤٠٩هـ، ص ١٩٤-١٩٧).

فالواجب انزال مثل هذه «اللافتات الخادعة المرفوعة على الأوضاع الجاهلية والتي تحمي هذه الأوضاع لسحق جذور هذا الدين في الأرض جميعا . . . ونقطة البدء في أي حركة إسلامية هي تعرية الجاهلية من ردائها الزائف وإظهارها على حقيقتها شركا وكفرا» (فائز، الدعوة في ظلال القرآن، ١٤٠١هـ، ٢/ ١٠٧).

إن معاناة الأمة الإسلامية جاءت من قبل الذين يتلبسون بلباس الإسلام فأشق ما تعانيه هذه الأمة هو «اختلاط الإشارات والعناوين والتباس الأسماء والصفات والنيه

الذي لا تتحدد فيه مفارق الطرق» . (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٢/ ١١٠٦).

إن الإنسان هو عنصر الحضارة من رقى أو هبوط وكانت هذه الحقيقة تمثيلا واضحا في «قيام رسول اللّه ﷺ بدعوته واستعماله الطاقات الإنسانية التي زود بها وأتباعه كل الوسائل والقواعد في عالم العمران المادي والبشري لنشر دعوته وتحقيق المجتمع الذي أرسل من أجل بنائه وتحمله أنواع العذاب والجراحات للانتصار على الأعداء في كل مظهر من مظاهر جهادهم . . . كل ذلك دليل على ما نقول إن الدراسة الواعية لحياة رسول اللّه ﷺ تعطينا البرهان القاطع على أنه ما من قانون من قوانين الحياة خلقه اللّه لأداء الأمانة والاستخلاف إلا اتبعه لبناء المجتمع، سواء كان ذلك في حياته الفردية أم في حياته الاجتماعية سواء كان ذلك في سلمه أم في حربه» . (عبدالحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، ١٤٠٥هـ، ص ٦٣، ٦٤).

وإذا لم يكن الإنسان هو المؤثر في الحضارة حاضرا ومستقبلا وماضيا وإلا «فمن الذي دخل في الصراع مع الشرك وقضى عليه؟ من الذي نشر الإسلام وما جاء به من الهداية والحق والعدل والخير؟ دماء من جرت في سبيل انقاذ الإنسان المسحوق من عبادة العباد إلى عبادة اللّه؟ . . . ألم يفعل ذلك وغير ذلك الإنسان؟ «المسلم الذي كرمه الإسلام وأعاد إليه حقيقة الإنسانية في الواقع والحياة بعد أن كان مستلبا عبدا للشركاء والأنداد»؟ (عبد الحميد، ١٤٠٥هـ، ٦٥-٦٦).

فالإنسان «لا يستطيع أن يحدد موقفه من غيره قبل أن يحدد موقفه من نفسه من هو؟ ومن يكون؟ وماذا يريد؟ وبدون هذا الحسم للهوية الذاتية لايمكن تحديد أي موقف فعال في أي قضية من قضايا المصير والتقدم والحياة الكريمة» . (الكيلاني، موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٩).

لقد أقيمت مؤتمرات كثيرة في العالم الإسلامي للنهوض بالتربية والتعليم، ولكنها نظرا لعدم وضوح الرؤية عن الإنسان المسلم وأنها لا تمتلك تصورا صحيحا عنه وعن خصائصه كانت التوصيات التي تخرج بها هذه المؤتمرات تدل عن الجهل الذي يخيم عليها وعلى أفكارها وتصوراتها، فمن هذه المؤتمرات المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب الذي انعقد في الكويت بعد نكبة حزيران عام ١٩٦٧م في شهر فبراير من عام ١٩٦٨م والذي جاء في أحد توصياته ما يلي :

«إن المؤتمر وهو يعيد النظر في تربية الفرد العربي بعد كارثة الخامس من حزيران "يونيو" ليؤمن أننا بحاجة إلى التأكيد على تعميق التربية الروحية . . . لترسيخ الإيمان وروح الجهاد والتضحية والبذل والفداء وجعل الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الوطن والأمة أغلى وأعز الغايات» . (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ١٧).

وهكذا يلمس المرء المسلم أن هذه المؤتمرات لم تتضح عندها الرؤية الحقيقية عن المسلم وخصائصه، وذلك نتيجة لغبش في الرؤية ولتأثرها بالفلسفات الوافدة، وأنها لم تنطلق من منطلقات إسلامية .

ولا يفهم من هذا أننا نحارب الاستفادة من الآخرين كلا فالتربية الإسلامية لاتنكر هذا بل تدعو إلى التفتح على الآخرين بشرط أن يكون ذلك في إطار العقيدة وعلينا أن ننقد الآخرين في ضوء معاييرنا التربوية .

«إن التربية الإسلامية ينبغي أن تكون موجها لمناشطنا التربوية كما يجب أن تكون معينا لتصوراتنا المستقبلية» . (علي، أصول التربية الإسلامية، ١٣٩٥هـ، ص ٣٢٥-٣٢٦).

«والذي ينبغي أن تعيه مناهجنا هو أن التبعية فيما هو صالح ومفيد في الحقول العلمية الجادة مطلب شرعي مطالبة به الأمة المسلمة كي تكون في مصاف الدول المتقدمة . . . إنما المحذور الذي نخشاه على أنفسنا وشبابنا وما نحن بصدده، من مشاكل هو استيراد المناهج التربوية والأخلاقية لأصحاب هذه العلوم . . . بل إننا لم نستورد إلا هذا الجانب النظري من المناهج التربوية والنظريات الفلسفية وكل مالاوراءه إلا المسخ لهذه الشخصية المسلمة وتركنا الجوانب العلمية الحضارية التي هي سبب قوة الأعداء وتمكنهم من رقابنا . . . فقضية فقدان الشخصية وذوبانها من أخطر القضايا المعاصرة . . . ومن هذا المنطلق بدأ الهدم والبناء هدم معالم الشخصية المسلمة وبناء معالم الشخصية الأوروبية» . (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ٩٧-٩٨).

إن الموقف المتوازن يقتضي الاستفادة مما عند الآخرين من تقدم مادي وعلمي وحضاري وفي الوقت نفسه يكون الإنسان المسلم معتدا بذاته ولا يذوب في كيان غيره «وبمثل هذه الروح يمكن للعالم الإسلامي أن يحل مشاكله، فحين يسترد ذاتيته المفقودة سيكون أقدر على الاستفادة من تقدم الغرب المادي والعلمي . . . . . وعندئذ يتقدم ويتغلب على التخلف الذي يرى البعض أنه العقدة التي لا تحل» . (قطب، كيف نكتب التاريخ، ١٤١٢هـ، ص ٢١٤).

إن القارئ للعصور الإسلامية الأولى يجد أن المسلم كان لديه فهم دقيق وتصور سليم لمبادئه وفهم لعقيدته وإسلامه «أما المسلمون في العصور الحديثة فقد أصاب مفاهيمهم جملة من الانحرافات فانحسر مفهوم الإسلام لدى الكثير منهم حتى حصر في شعائر التعبد من الصلاة والصوم والحج وفصل بينه وبين الحياة في الواقع العلمي في كثير من بلاد المسلمين مع محاولة التأصيل الفكري لهذا الانحراف بنشر الأفكار العلمانية» . (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ١٧٠).

إن أفكار التغيير «لا يمكن أن تبدأ إلا بأفراد ممتازين يتحركون في إطار نخبة تستطيع الانفلات والقفز فوق أسوار البيئة . . . وتحاول فيما بعد انتاج نخبة وانجاز أمة» . (الكيلاني، مقومات إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، ١٤١١هـ، ص ٣٧).

والعالم العربي والإسلامي يحتاج إلى مجموعتين: فكرية وأخرى تطبيقية أما المجموعة الفكرية فمهمتها ابتكار الخطط التربوية اللازمة في جميع الميادين وتطوير هذه الخطط بما يلائم العقيدة الإسلامية حسب متطلبات الزمان والمكان، وأما المجموعة التطبيقية فمهمتها أنها تنفذ الجزء المتعلق بميدانها من الخطط التي أفرزتها المجموعة الفكرية . (بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ١٤٦).

وإفراز هاتين المجموعتين (الفكرية، والتطبيقية) تحتاج إلى عدة أمور:

أولا: «لنظام تربوي محكم يحسن تصنيف المصادر البشرية المتمثلة في الأجيال الناشئة وإعدادها عقائديا ونفسيا ومهنيا بحيث يراعي هذه الإعداد فرز "أولي الألباب" لميادين القيادة . . . كما لابد مع هذا النظام التربوي من نظام تنموي يحسن توظيف الطاقات التي تنضج تبعا لقدراتها العقلية واتجاهاتها النفسية واستعداداتها الجسدية وأدائها المهني بعيدا عن مؤثرات العلاقات والروابط الشخصية ومقاييس العصبية والإقليمية والطبقية» . (الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي وهكذا عادت القدس، ١٤٠٥هـ، ص ٢٨٣).

ثانيا: «تغيير المحور الذي ينافس عليه أبناء الأمة من محور المال والترف إلى محور العلم والعقيدة فيكون تنافس الأفراد في العلم والعمل الصالح ويكون تسابقهم نحو تزكية النفس فتنمو القيادات الربانية ويتسلم الفقهاء قيادة الأمة، ولأن الحركة الإسلامية هي التمهيد الواقعي لدولة الإسلام فلا بد أن تكون القيادة فيها

لـ " أولي الألباب " و " الفقهاء " ولابد أن يكون الولاء فيها للمبدأ والفكرة وليس للشخص والمصلحة» . (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ١٤٧).

وأول شيء في إصلاحها هو : «تصحيح المفاهيم أولا ثم إقامة بناء جديد على المفاهيم الصحيحة . ولا يمكن إحياء الأمة الإسلامية إلا إذا قام هذا الإحياء على أسس أهمها الرجوع إلى المنابع الأولى للإسلام الكتاب والسنة، وتخليص عقائد المسلمين مما علق بها وليس منها، والذي كان له أثر على سلوكهم وعبادتهم وحركتهم» . (حسن، الحركة المهدية والحركة السنوسية، ١٤٠٥هـ، ص ٤٠٣).

«وحين تصحح المفاهيم بالفعل وتتربى على المفاهيم الصحيحة قاعدة صلبة تساندها الجماهير المؤمنة الواعية التي تمارس الإسلام في عالم الواقع» . (قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ١٤١٣هـ، ص ٣٨٠). عندئذ يتحقق الوعد الذي وعده رسول الله ﷺ : «تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ... ثم تكون ملكا عاضا». (الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٤٠٧هـ، ٥/١٨٨-١٨٩).

هذا هو الطريق السليم للنهوض بالأمة الإسلامية التي تمتلك من مقومات الوحدة الإسلامية ما ليس عند غيرها وإذا تحقق هذا كانت الأمة الإسلامية أقرب إلى تحقيق الوحدة الإسلامية .

٢- أصول تحقيق الوحدة الإسلامية:

إذا تربت الأمة على المفاهيم الصحيحة وتكونت قاعدة صلبة على هذه المفاهيم تكون بذلك قد سلكت طريق الارتقاء بالأمة الإسلامية واتضحت معالم هذا الطريق بعد ترسيخ المفاهيم الصحيحة في نفوس الناشئة .

إن أصول تحقيق الوحدة الإسلامية كما يقول "عبد الرحمن بن عبد الخالق" (١٤٠٩هـ) في كتابه : "توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي" تتمثل في النقاط التالية :

أ - معرفة الغاية والهدف من التربية .

ب - أن تكون السياسة التربوية العليا محققة لهذه الغاية والهدف وفق الحقائق التالية :

١- لا بديل للعرب عن الإسلام .

٢- لا بديل للعرب عن الوحدة .

٣- لا بديل للعرب عن الرقى المادي والاستفادة من تجارب الأمم .

٤- وجوب الابتعاد عن مفاسد الحضارة المادية .

٥- لا بديل عن منهج الإسلام الحق في التربية . (ص ١٣-٢٠) .

إلا أن أصول تحقيق الوحدة الإسلامية لم تكن صافية وواضحة لديه تماما ؛ لأنه حصرها في الوطن العربي "قومي" ولم يجعلها شاملة للعالم الإسلامي وأكثر صفاء منه ماقاله الدكتور "عمر بن سليمان الأشقر" (١٤١٢هـ) في كتابه "كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد" في أصول الوحدة الإسلامية والتي تنحصر في :

١- الإنتماء للإسلام دون سواه .

٢- توحيد مصدر الهداية ، وهذا لازم للأصل الأول .

٣- وحدة العقيدة التي تشكل القاعدة التي تقوم عليها النظم الحياتية .

٤- جعل الكتاب والسنة محور الدراسة ومصدر التشريع ، وإذا تحققت هذه الأصول عندئذ تحققت .

٥- إقامة دولة الإسلام وإرجاع الخلافة الراشدة . (ص ٥٩-٧٢) .

ويرى "أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي" (١٤١٠هـ) أن الوحدة الإسلامية لها أسس أربعة هي :-

أ- وحدة الغاية "عبادة اللّه سبحانه وتعالى" .

ب - وحدة العقيدة .

ج - وحدة القيادة .

د - وحدة التشريع . (ص ٣٥-٤٣) .

هذه هي أصول تحقيق الوحدة الإسلامية فهل الاستراتيجية يمكن أن يحدث من خلالها وحدة العالم العربي والإسلامي أم أنها كانت في مسار مضاد للوحدة الإسلامية؟ وهل الغاية من التربية كانت واضحة في أذهان محرري الاستراتيجية أم لا؟ وما مصادرهم في تحرير الاستراتيجية هل الكتاب والسنة أم غير ذلك؟ وهل من خلال الاستراتيجية يمكن توحيد الأفكار والتصورات والمفاهيم؟ .

وهل هي تنتمي للإسلام دون سواه؟

الباحث لن يجيب عن هذه الأسئلة ويترك المجال للقارئ ليجيب عليها من خلال تصفحه لهذه الدراسة وبالتالي سيصدر حكما سليما.

وإذا كانت هذه هي أصول تحقيق الوحدة بين المسلمين فما هي الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هذه الأصول؟

هناك وسائل متعددة يمكن من خلالها تحقيق هذه الوحدة والتي تتمثل في النقاط التالية، كما يقول "أحمد بن سعد بن حمدان" (١٤١٠هـ):

أ - التعليم الموجه ب - الإعلام الملتزم

ج - الاقتصاد المستقل د - الاكتفاء الذاتي.

هـ - إيجاد مراكز علمية. (ص ٤٦-٥٧).

وما يهم الباحث هنا هو أن يتناول الوسيلة الأولى بشيء من الإيجاز ليؤكد أهمية هذه الوسيلة في توحيد المفاهيم والتصورات والمبادئ في العالم العربي الذي كانت الاستراتيجية تسعى إلى تطوير التربية في الدول العربية باعتبارها أداة صالحة للتطوير؟

مما لا شك فيه أن التعليم الموجه له شأنه وخطره وعدم تصحيح مناهجه وتوجيه أبنائه إلى الغاية الصحيحة في جميع بلاد المسلمين يبقى عائقا دون توحيد المفاهيم والتصورات والمبادئ.

«فإذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته ويتحرر من رق غيره وإذا كان يطمح إلى القيادة فلابد إذن من الاستقلال التعليمي بل لابد من الزعامة العلمية، وما هي بالأمر الهين! إنها تحتاج إلى تفكير عميق وحركة التدوين والتأليف الواسعة وخبرة إلى درجة التحقيق والنقد بعلوم العصر مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه، وإنها لمهمة تنوء بالعصبة أولي القوة، إنما هي شأن الحكومات الإسلامية فتنظم لذلك جمعيات وتختار لها أساتذة بارعين في كل فن فيضعون منهاجا تعليميا يجمع بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لاتتبدل وبين العلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار ويدونون العلوم العصرية للشباب الإسلامي على أساس الإسلام وبروح الإسلام». (الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٣٩٣هـ، ص ٢٧٦).

إن التعليم هو الوسيلة والركيزة الأساسية في وحدة الأمة الإسلامية، وإن «نجاح أي أمة يقاس بدرجة توحدها». (المسند، وحدة الأمة الإسلامية وعلاقتها بوحدة التعليم، ١٣٨٧هـ، ص ٢٩٤).

و «الوحدة الحقيقية هي التي تبنى على أساس ثابت من المبدأ والعقيدة التي لاتعبث به الأيدي ولا تصرفه الأهواء والمؤثرات المؤقتة» والمسلمون مطالبون بهذه الوحدة؛ لأنها أصل من أصول الإسلام ومبدأ من مبادئه الثابتة.

والإسلام جاء بالوحدة الحقيقية التي «توحد قلوب المسلمين وتجمعهم على الإيمان به وبرسوله وتجعل قبلتهم واحدة وهدفهم واحد».

ولن تحصل هذه الوحدة إلا إذا كان أفراد الأمة يصدرون عن مشاعر واحدة ولهم تصوراتهم المميزة وعقيدتهم الإسلامية التي ينطلقون منها، وهذه لن تتم إلا عن طريق التربية والتعليم الذي من خلاله يتشرب الناشئة مفاهيم الإسلام الصحيحة ومبادءه «فالتعليم ذو علاقة بالإسلام وذو علاقة راسخة بوحدة المسلمين فإن أول كلمة في الوحي أنزل على محمدﷺ هي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، وهذه المفاهيم هي التي تحتاجها أية أمة لتربية أبنائها وتنشئتهم نشأة صالحة تؤهلهم للمشاركة في بناء الأمة وتحتاجها في الحياة لضمان بقائها في الوجود وفرض سيطرتها على العالم. (المسند، ١٣٨٧هـ، ص ٢٩٤-٣٠١).

ويؤكد "المسند" (١٣٨٧هـ) «إن أول شيء في الإصلاح هو التربية وآخر شيء في الإصلاح هو التربية».

ويخلص إلى نتيجة مؤداها أننا و«نحن أمة ذات رسالة خالدة . . . نفترق عن العالم وعن أي كتلة . . . أو منظمة . . . بأننا ندعو الناس إلى الخير . . . بل إن رسالتنا جاءت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور . . . فإذا وحدنا منهجنا ووضعنا القواعد لبناء أمة متكاملة تقود العالم فإننا سننقذ الإنسانية من ورطتها ونخرج العالم من حيرته التي يئس منها ويلتفت يمينا وشمالا ويبنى كل فكرة بحثا عن النجاة، ولكنه لا يجد إليها طريقا بل يتخبط في متاهاته وليس كالإسلام منقذ وليس كالإسلام طريق مستقيم». (ص ٢٩٥-٣٠٤).

إن العالم العربي والإسلامي يقف على شفير هاوية خطيرة ويتعرض لهجمات

شرسة تستهدف إنشاء جيل جاهل بدينه وعقيدته وأمته لا صلة له بخالقه وربه وهذه أخطر مرحلة يمر بها العالم العربي والإسلامي، والتي تسمى مرحلة التطوير في ميدان التربية والتعليم، وقد ظهرت ملامح هذه التطوير وأهدافه الخفية في بعض دول العالم العربي، كما ذكرت ذلك مجلة "المجتمع" الكويتية بعضا من هذه الملامح في شهر جمادي الأول عام (١٤١٥هـ) في الافتتاحية التي كان عنوانها: "التغيير والهدم في مناهج التعليم".

فإذا أراد العالم العربي للناشئة أن يحيوا حياة إسلامية وينشأوا نشأة إسلامية فلن يتم هذا إلا بتعريفهم بالكتاب والسنة وإقامة التعليم في المدارس انطلاقا منها فقد كان الجيل الأول متخرجا من هذه المدرسة النبوية فنهلوا من معينها الصافي فزكت نفوسهم وسمت أخلاقهم فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ولا ولم ولن يجود الزمان بمثلهم على هذه الغبراء. (مدخلي، الكتاب والسنة أثرهما ومكانتهما في مدارسنا، مجلة الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ص ١٧٥-١٩١).

وإذا اتضح طريق النهوض بالأمة الإسلامية فإنها بحول الله وقوته ستتمكن من إيجاد جيل قوي قريب الشبه بالرعيل الأول الذين يعتبرون مشاعل الهدى في أوقات المحن وادلهام الظلمات وتلبد الجو بالغيوم وفي تقديم نماذج من مخرجات الرعيل الأول مايزيد القلب اطمئنانا وابتهاجا وسرورا ويجعل النفس المسلمة ترتاح وتستقر وتتطلع إلى أن تكون قريبة منهم في الخلق والسلوك والعبادة والاستقامة.

٣- نماذج من مستخرجات التربية في صدر الإسلام:

ومن معالم الانطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي أن تترسم خطي الرعيل الأول وتتبع تربيتهم، وكيف أعدوا؛ لأنه ليس للأمة أن تنفصل عن رعيلها الأول الذي كان خير أمة أخرجت للناس إذا أرادت لنفسها وللأجيال القادمة القوة والسؤدد والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

لقد كان الرعيل الأول متخرجا من مدرسة المربي الكريم سيدنا محمد ﷺ الذي وصل «أصحابه بالله عن فهم ومعرفة وإيمان ووصلهم بالقرآن ففهموه على أنه أوامر للتنفيذ فكان زاد قلوبهم ومطهر نفوسهم وموجه سلوكهم وصلة بينهم وبين ربهم . . .

ولم يتخل ﷺ عن مهمته في التربية حتى لحق بالرفيق الأعلى، ولم يشغله عنها

شاغل . . . وما عنى بشيء كما عنى بتربية المؤمنين ونجحت تربيته نجاحا ليس له في تاريخ البشرية مثيل . . . . ودل نجاحه على ما تستطيع التربية وفق منهج القرآن من تغيير للأنفس وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية إلى أسمى الآفاق» . (شديد، منهج القرآن في التربية، ١٤٠٢هـ، ص ١٠-١٢).

وبما أن الأمة الإسلامية قد بليت بقصد أو بغير قصد بمصائب وابتلاءات عدة، ومن أهمها التربية والتعليم التي حاول أعداء الإسلام غزو الأمة الإسلامية بواسطته يجد الباحث أنه من الواجب والمتعين تذكير الأمة العربية والإسلامية برعيلها الأول كيف كانوا، وبأي الجهود حققوا السبق في كل المجالات من أجل العودة إلى معين التربية الإسلامية الصافي .

أ- خصائص الرعيل الأول:

يحاول الباحث هنا أن يلقى الضوء على أهم سمات وخصائص الرعيل الأول، وذلك على النحو التالي :

(١) لقد أحب الصحابة الدين أكثر من كل شيء؛ ودليل هذا أنهم بذلوا المهج والأرواح في سبيل الدين الإسلامي والتاريخ يشهد بهذا .

(٢) عرفوا الرسول قبل شهادة التاريخ له، ومن ذلك أن أحد الصحابة قال : «كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط» . (ابن هشام، السيرة، . . . ، ٢/ ١٣٠-١٣١).

(٣) آمنوا بالقرآن في عهد الصراع فكان أحدهم يتعلم شيئا من القرآن ثم يعمل به ويدعو إليه غيره .

(٤) أنفقوا أموالهم في سبيل دين لم يظهر دوره بعد .

(٥) آثروه على أنفسهم حتى في السيادة، ومن ذلك أن عبد الله بن أبي سلول كان سينصب ملكا على قومه لكن قومه بايعوا الرسول ﷺ على أن يدافعوا عنه ويحمون أهليهم وذلك في البيعة العقبة الثانية .

(٦) عرفوا حدودهم، فلم يكن أحدهم يتجرأ على الكلام وفي المجلس أكبر منه حتى أنهم يظلو صامتين فإذا تكلم أبو بكر وعمر وأبديا رأيهما في المشورة وأذن لأحدهم تحدث فيتم القرار بإجماع الآراء .

(٧) تساموا عن الحقد والبغض، فقصة خالد بن الوليد رضي اللّه عنه وتنازله عن القيادة إلى جندي عادي صورة لا مثيل لها في العصر الحاضر إلا نادرا.

(٨) نصروا الدين أكثر مما بايعوا عليه. فسعد بن معاذ قال لرسول اللّه ﷺ : «امض لما أمرك اللّه، إنك لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد».

(٩) التركيز على الهدف والابتعاد عن الاختلاف. فكان الواحد من الصحابة مدرسة قائمة بنفسه حيث كان يسعى إلى تعليم الآخرين لغة القرآن ويشرح كتاب اللّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام لهم.

(١٠) اقتنعوا بالجلوس في مقعد خلفي. لم يكن أحدهم يتطلع إلى الرياسة والقيادة بل فضل أن يعيش رجلا عاديا ومن اختير منهم عاش عيشة الكفاف.

(١١) اعطوا الأمور قدرها وحقها. فلم يكن أحدهم يتجاوز أمور الدين ويخالف وصية الرسول ﷺ فأبو دجانة كف عن قتل امرأة كانت تقاتل مع قومها اتباعا لسنة الرسول ﷺ في المنع من ذلك.

١٢- ارتقو ارتقاءا الشجرة « ونتج عن ذلك أن الدين الإلهي قد استوى في هذه الدنيا على عوده وقامت قائمته وأصبح حديقة دائمة نضرة وارفة الظلال لدرجة أنه لا يمكن الآن هدم هذا الدين لو حاولت الدنيا كلها ذلك» . (خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ١٤٠٥هـ، ص ١٥٢-١٦٦).

والهدف من عرض هذه السمات والخصائص التي تميز بها الرعيل الأول هو السعي إلى العودة بالأمة العربية والإسلامية إلى المنهج السوي الذي يحقق لها التقدم العلمي والحضاري والثقافي والسبق التربوي والتعليمي.

فإذا وضح ذلك للأمة الإسلامية عامة وللجهات المعنية في التعليم بصفة خاصة سهل عليها التركيز والتحكم في العملية التعليمية والتربوية.

ب - معالم التربية عند الرعيل الأول:

ومن الأمور التي تساعد الأمة الإسلامية في التركيز على مخرجات التعليم والاستفادة من الأطر البشرية المدربة لديها ومن المعقول المفكرة والطاقات والمواهب والقدرات العقلية ما يلي:

أولا : أن يكون الولاء للدين الإسلامي:

إن الولاء للرسالة وفي إطار هذه الرسالة تعمق المفاهيم والمبادئ التي يعتنقها الفرد «هذه الرسالة التي عبر عنها في بساطة عجيبة "ربعي بن عامر" رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، وهذا يسأله : ما الذي جاء بكم؟ فيجيبه للتووا للحظة في هذه البساطة الجامعة : اللّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده» . (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ١٧٩-١٨٠).

فإذا صدقت الأمة الإسلامية في إعلان الولاء للدين وتركت كل الولاءات القومية والوطنية الضيقة لا شك أنها ستستفيد من كل المتعلمين والمعلمين فيها.

والأمة العربية والإسلامية غنية بما لديها من العلماء والمفكرين ووضوح الأهداف والمقاصد التربوية والتعليمية غير أنه ينقصها عدم الصدق والعزم في التحرر من الولاء الفكري للتربيات الغربية أو غيرها، ولكنها غير معذورة في ذلك يقول "التميمي" (١٤٠٥هـ) في هذا المجال: «إذا جاز لأمة أن تتعثر في وضع أسس تربوية تنشئ عليها أبناءها أو تضطرب في البحث عن أهداف تربوية تحمي أجيالها من الزلل فإنه لا يغتفر لأمتنا الإسلامية أن تتجرع غصص الحيرة في هذا السبيل لأن أمتن الأسس التربوية وأرفع أهداف التربية والتعليم موجودة بين أيدينا متمثلة بعقيدة هذه الأمة وقواعد هذا الدين وتوجيهاته وتعاليمه التي أنعم اللّه بها علينا» (نظرات في التربية الإسلامية، ص ٦١).

ومكمن الخطورة في تلك الولاءات الضيقة التي بليت بها معظم البلاد العربية والإسلامية هو تنحية الإسلام من حياتها والارتماء في أحضان أعدائها إن «الإسلام كانتماء هو القاسم المشترك الوحيد لأمة متكاملة كبرى، ولا شيء غيره . . . وإذا ما نحينا الإسلام جانبا فمن المستحيل أن نجد قاسما مشتركا آخر نتفق عليه.وتلتقى عنده الأمة الإسلامية فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتدادا للإسلام» . (حسنة، فقه الدعوة ملامح وآفاق، ١٤٠٨هـ، ١/ ٧٢).

وللأمة الإسلامية اليوم أن تعتبر وتتعظ بما كان عليه الحال في الرعيل الأول من حيث التعليم والتربية حتى يتسنى لها إعادة النظر في المؤسسات التعليمية والتربوية وفي مناهجها الدراسية من أجل تصحيحها على ضوء ما كان عليه الحال في القرون المفضلة لهذه الأمة.

فعلى الرغم من «مرور أربعة عشر قرنا أو يزيد على المدرسة التربوية والمؤسسة التطبيقية الأولى في دار "الأرقم بن أبي الأرقم" والتي بدأت منها خطوات المسلم "الإنسان الجديد" مع ذلك نرى اليوم الكثير من الثغور التربوية التي يقتضيها إخراج الإنسان والأمة لتحقيق الشهود الحضاري «الشهادة على الناس والقيادة لهم» «لا تزال مفتوحة ولا نزال نؤتي من قبلها لأنها تفتقد المرابطين من أهل الدراية والفقه التربوي» . (الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة ، ١٤١١هـ، ص ٩).

كما عليها أن تنظر بانعام ودقة إلى التربية الإسلامية وكيف تعاملت مع المتعلمين وستدرك حتما أنها تمتلك إعادة الصرح المنهار في حياة الأمة العربية والإسلامية اليوم في كل المجالات يقول "البدري" (١٤١٤هـ) : «لقد استطاعت التربية الإسلامية الأولى أن تصوغ أفراد الأمة عقائديا وفكريا وسلوكيا في الصورة الإسلامية بكل أبعادها و بالتصور الشامل للحياة في نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، واستطاعت أن تغرس في نفوس الأفراد "الانتماء" لدينهم وأمتهم . . . واستطاعت أن تعد جيلا إسلاميا يحمل رسالة الأمة الإسلامية إلى الأرض ويتحمل في سبيل ذلك الآلام الجسام» . (الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ص ٩٣).

نعم لقد أعدت التربية الإسلامية جيلا قويا ليس في الجانب العقدي فحسب بل في كل الجوانب، ولهذا لا يكفي في مجال إعداد المتعلم الاقتصار على جانب واحد بل لابد من الاهتمام والتركيز في كل الجوانب حتى يتمكن المتعلم من أداء الرسالة الملقاة على عاتقه على الوجه المطلوب.

إنه «لم يعد يكفي الاعتماد على الجانب العقيدي وحده أو التشريعي وحده أوالسلوكي وحده لمجابهة الأزمات الحضارية والانتكاسات الفردية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع الإسلامي بل لابد أن تمشي الخطوط الثلاثة متكاملة متوازنة متعانقة لمعالجة السقوط العقائدي والاجتماعي والأخلاقي فيه تمهيدا لإحداث التغير الإسلامي المنتظر» . (عبد الحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، ١٤٠٥هـ، ص ٩٩).

إن السعي إلى إيجاد أجيال إسلامية لا يقتصر على إعداد المعلم المسلم فقط أو المناهج الإسلامية فقط بل لابد من تآزر مختلف المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي، فالمعلم المسلم + إعداد مناهج إسلامية نابعة من العقيدة+ تطبيق الإسلام

تطبيقا واقعيا داخل المؤسسات التربوية والتعليمية وخارجها+ مقاومة كل سلوك منحرف+ التزام المؤسسات الإعلامية بتدعيم كل سلوك إسلامي هنا نستطيع أن نصل إلى إيجاد أجيال ناشئة مسلمة تعبد اللّه وفق شريعته . (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع، ١٤٠٣هـ، ص ٩١).

بحيث يعيش المتعلم ظروفا إسلامية واقعية لاخيالية أومثالية ليس لهاصدى في الواقع .

ثانيا : التأسي برسول اللّه ﷺ .

من لوازم الانتماء للإسلام الاقتداء برسول الإسلام عليه الصلاة والسلام في إعداد الناشئة وتعليمهم فقد كان عليه الصلاة والسلام «يلقي أصحابه في دار الأرقم يربيهم ويعلمهم . . . يعلمهم العقيدة الصحيحة ويربيهم عليها وحين كان رسول اللّه ﷺ يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة كان ينشئ - بقدر اللّه - ذلك اليقين القلبي الذي ينبثق منه السلوك العملي وكان بهذا ينشئ -بقدر اللّه- تلك النفوس العجيبة التي صنعت ماشاء اللّه لها أن تصنع من عجائب التاريخ بالقرآن بتوجيهاته الدائمة ﷺ . . . بقيام الليل بالقدوة العملية في شخصه ﷺ . . . برعايته لهم في المحنة بالحب الفياض من قلبه العظيم لهم بكل تلك الوسائل مجتمعة تأصلت العقيدة في قلوب ذلك الجيل المتفرد فكانت تلك الطاقة الهائلة التي صنعت الأعاجيب» . (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٤٨٨-٤٨٩).

وللأمة الإسلامية وأرباب الفكر والسياسة فيها على وجه الخصوص أن ينعموا النظر في المجتمع المكي الذي بعث فيه الرسول ﷺ وكيف أحدث التغيير الجذري في حياته كلها وما المنهج الذي قدمه له فيأخذوا به ويسيروا عليه؟ .

«فأما المجتمع "الحي" فقد رباه رسول اللّه ﷺ في مكة واستطاع بحيويته وفاعليته أن يطرق أبواب أوروبا غربا ويقتحم الشرق حتى أقصاه!! وفي كل هذه البلاد استطاع الإسلام بمجتمعه الحي أن يذيب الحضارات الأخرى ويصبغها بالصبغة الإسلامية لينشئ في مجتمعاتها أمة قوية تقوم على تحقيق العدل الرباني في واقع الأرض، وحين قصر المسلمون عن تنفيذ أمر ربهم وانهارت وحدة العقيدة الإسلامية في الحياة الفكرية الإسلامية انهار مفهوم الأمة الإسلامية وحلت محله مفاهيم العصبية والإقليمية والعشائرية . . . فأفسدها وأضعف مقومات المجتمع بل وحوله إلى

مجتمع ميت وأمة ميتة تتداعي عليها الأمم من كل مكان لتعلن نبأ موتها وتقوم بمهمة الدفن» . (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص١٦٨-١٦٩).

فالتعليم والتربية من الأمور المهمة في حياة الأمم وليس يصلح لأمة إسلامية أن تترك منهجها التربوي العظيم لترمي نفسها في لوثات الغرب أو الشرق من أجل الاستفادة مما لدى نظمهم التعليمية والتربوية فتلك أمة قد أفلست في الجانب العقدي والخلقي وغير هذا وذاك فالنظم التربوية والتعليمية لا تفصل إلا على قامات الشعوب. يقول "الندوي" (١٣٩٦هـ): «إن النظام التربوي ليس سلعة للاستيراد من الخارج أو نبتة تنتقل من مغرس إلى آخر، وحدوث ذلك يعد منافيا للطبيعة ويؤدي إلى فقدان الهوية وإلى القضاء على الصفات الثقافية المميزة للبلد المستعمر» . (نحو التربية الإسلامية الحرة، ص ١٣٣).

وفي حياة المصطفى ﷺ من الأساليب التربوية والتعليمية ما يغنينا عن الارتماء في أحضان الغرب والشرق واستعارة مناهجهم وأساليبهم. فقد كانت تربيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه تربية فريدة جعلت منهم رجالا كان الواحد منهم «قرآنا حيا يدب على الأرض وجعل من كل فرد نموذجا مجسما للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام؛ لأنه حول إيمانهم بالإسلام عملا وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفا ولكنه لم يطبعها بمداد على صحائف الورق إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب» . (قطب، دراسات إسلامية، ١٣٩٣هـ، ص ٢٧).

ثالثا: العمل الجاد على الاستفادة من المتخصصين المسلمين في كل المجالات.

من المعلوم أن الإنسان المسلم الذي اتخذ الإسلام دينا ومحمدا ﷺ نبيا ورسولا وقدوة له في حياته فلا شك أنه سيسعى إلى تكميل نفسه عن طريق التخصص في مجال يناسب قدراته واستعداداته، وفيه مصلحة للعباد والبلاد، وذلك من أجل تلبية احتياجات المجتمع الإسلامي لئلا يبقى عالة على غيره من غير بني جنسه.

و «لا شك أن على المتخصصين من علماء المسلمين أن يتقنوا كافة العلوم الحديثة وأن يفهموها حق الفهم وأن يصبح في حوزتهم وطوع أمرهم كل ما يمكن أن تقدمه من فوائد، هذا شرط ضروري وأولى، يلي ذلك أن عليهم أن يدمجوا هذه المعارف الجديدة في بناء التراث الإسلامي عن طريق الحذف والتعديل وإعادة التفسير

والكتييف لكل مكوناته طبقا لما تمليه قيم الإسلام ونظرته للعالم» . (الفاروقي، أسلمة المعرفة، ١٤٠٤هـ، ص ٤٦، ٤٧).

وهذا يقتضي من الجهات المعنية والمسؤلة عن التعليم في البلاد العربية والإسلامية، إعادة النظر في المواد الدراسية التي تقدمها المؤسسات التعليمية لأبنائها حيث أثبت كثير من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحاضر أن فيها دخنا وتلوثا فكريا يحتاج إلى غربلة وتصحيح «إن المواد والمناهج التي تدرس في البلاد الإسلامية حاليا إنما هي نسخ لما عند الغربيين لكن مع افتقارها للرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية، وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف .

هذه المواد والمناهج لا روح فيها تظل -بشكل لا شعوري- تؤثر في الطالب تأثيرا سيئا معاديا للإسلام . . . إنها تجعل من الخريج في جامعات العالم الإسلامي نموذجا للشباب المغرور الذي يظن بنفسه العلم مع أنه في الحقيقة لا يعرف إلا قليلا» . (الفاروقي، ١٤٠٤هـ، ٣٣-٣٤).

إن فهم المنهاج الدراسي أو المقررات الدراسية مهم جدا من أجل تقديمها والاستفادة منها وتوظيفها في حياة المتعلم، فقد كان فهم الصحابة لهذا المنهاج مؤديا إلى «تحقيقه في حياة البشر بجهد أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة ويبدأ العمل من النقطة التي يكون البشر عندها حينما يتسلم مقاليدهم ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية ويقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة» . (قطب، هذا الدين، ١٤٠٣هـ، ص ٦).

كما أكد "النقيب" (١٤١١هـ) في كتابه "التربية الإسلامية رسالة ومسيرة" عدم صفاء المناهج التربوية في البلاد العربية والإسلامية، فقد تشوشت المواد الدراسية تشوشا مخيفا يسترعي من الجهات المسؤولة عن التعليم إعادة النظر فيها فيقول : -

«التربية في معظم بلادنا العربية والإسلامية في وقتنا الراهن بمستوياتها ونظامها وفلسفتها ومؤسساتها ومناهجها وأهدافها ليست إسلامية خالصة وإن ادعت ذلك الأمر الذي يصيب الشخصية العربية والإسلامية بالانفصام والتمزق نتيجة استيرادها فلسفات تربوية دخيلة ومغايرة لعقيدتها وأصالتها وطموحها وتطلعاتها وأهدافها ففضلا عن أن الفلسفات التربوية المستوردة إذا صلحت ونجحت في مجتمعاتها

الأصيلة فليس شرطا أن تصلح وتنجح في مجتمعاتنا لاختلافنا الأساسي معهم على قواعد جوهرية» . (ص ١٦-١٧) .

رابعا : الإحساس بالمسئولية .

من الأمور التي تساعد الأمة الإسلامية في مجال الإصلاح وإعادة البناء إحساس المسئولين عن التعليم بمسئولياتهم نحو خالقهم ونحو دينهم ونحو عقيدتهم ونحو أمتهم ، وهذا الإحساس سيولد إن شاء اللّه الإخلاص الذي يثمر النتائج الإيجابية التي تفيد الفرد والمجتمع معا .

إن المسئولية مبدأ نبوي كريم ، وهي مستمدة من الدين الحنيف وبقدر تحمل الإنسان المسلم من أعباء بقدر ما تصبح مسئوليته أكبر ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته . . . ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» . (البخاري ، الجامع الصحيح ، ١٣٧٩هـ ، كتاب الأحكام ، باب قول اللّه تعالى : ﴿أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ١٣/ ١٠٠) .

وإذا كان بعض الأفراد أو المجتمعات لا تؤمن إلا بالتجارب فلينظر إلى الرعيل من هذه الأمة كيف صنعوا العجائب في كل المجالات ، ذلك أن «أمانة الرسالة تفرض على المسلمين أن يكون كل منهم على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبله وأما القاعدون من المسلمين الذين يظنون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تجاه أمتهم ويحملون رسالتها فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه ، وأنه لن ينتصر آخر هذه الأمة إلا بما انتصر به أولها ، أي : بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات» . (الجندي ، المعاصرة في إطار الأصالة ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٣) .

خامسا : الاستفادة من الآخرين .

الاستفادة من تجارب الأمم وخبراتها وأفكارها لا يتناقض مع التربية الإسلامية مادام في إطارها ولم يخرج عن مفاهيمها ومبادئها وتصوراتها ، وفي هذا الصدد بالذات يلمس المرء المسلم أن إمريكا لما شعرت بالتخلف في ميدانها التربوي شكلت لجنة من ثمانية عشر عضوا الدراسة نظام التربية والتعليم وتقديم مقترحات لإصلاحه بهدف تحقيق مستوى رفيع من التفوق لهذا التعليم وأثارت نتائج التقرير موجة عارمة

من الحوار والمناقشات الهادفة، ذلك أن نتائج التقرير هو «تقويم لحصاد مجهود مجتمع يرى أن حياته في تفوقه وأن تفوقه رهن بامتيازه وأن امتيازه يتوقف أساسا على مستوى التعليم ممثلة في خريجيه ومدى ملاءمتهم لتحقيق هدف الامتياز والتفوق في عالم المناقشة والصراع» . (عبد المعطي، أمة معرضة للخطر، ١٤٠٦هـ، ص ٧٧-٧٨).

فالاستفادة من هذا التقرير يتمثل في العودة إلى نظمنا التربوية وتنوعها بحيث «يصبح التقويم التربوي جزءا لا يتجزأ من نسيج عملنا التربوي وخطة بنائه وتسييره إذا أرادت أن تعرف موقعها مما تريد أن تصل إليه من أداء تربوي وتقارن ذلك بما حققه الآخرون» . (عبد المعطي، ١٤٠٦هـ، ص ٩٥).

سادسًا : تطبيقات تربوية على هذه المعالم:

وعلى ضوء ما سبق ذكره من صفات وخصائص اتصف بها الرعيل الأول يقدم الباحث هنا نماذج من هذه المخرجات ليؤكد أن سلامة المفاهيم وصحة التصور واستقامة السلوك يؤدي إلى وجود مخرجات على مستوى عال من الفهم والتصور الصحيح والسلوك المستقيم وعلى أن التربية النبوية نجحت نجاحا ليس له مثيل في تاريخ البشرية .

ومن ذلك قصة تحريم الخمر الذي كان العربي مغرما به إلى حد لا يمكن التخلي عنها بسهولة، ولكن لما كانت أسس التربية صحيحة وسليمة كانت نتائجها مثمرة وناجحة، فما أن سمع المسلمون بأمر تحريمها حتى أسرعوا إلى إراقة الخمر من القرب والقلال التي كانت مليئة بها، وهذا على العكس مما حدث في المجتمع الأمريكي المعاصر حيث استخدمت أمريكا مختلف الوسائل من أجل تحريمها وبيان مضارها ومفاسدها ولكنها لم تنجح في إقناع أبناء المجتمع الأمريكي بل ازداد الطلب عليها وخسرت أمريكا ملايين الدولارات دون فائدة تذكر وأصدرت قانونا بتحليلها وإباحاتها إباحة مطلقة . (شديد، منهج القرآن في التربية، ١٤٠٢هـ، ص ١٢-١٣).

إن صفاء العقيدة وصحة السلوك وسلامة المفهوم يؤدي إلى ناشئة قوية في دينها وعقيدتها حتى ولو كلفها الوقوف في وجه أقرب الناس إليها، فها هو " أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي " ، والذي سماه رسول الله ﷺ " أمين هذه الأمة " يحاول أن يتحاشى والده في غزوة بدر لكنه لما وجد إصرارا من والده في محاربة الله

ورسوله ضربه ضربة ترك قلبه ممزقا ودمه سائلا انتصارا للّه ولدينه فنزلت الآية تشيد بموقفه وترفع من قيمته وتخلد ذكره يقول تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ (المجادلة: ٢٢). (ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٣٩٨هـ، ٥/ ٢٨٦).

كما أن "عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي سلول" الذي كان أبوه "عبد اللّه بن سلول" رأس المنافقين، وممن تولى كبر الإفك في أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها. وهو القائل: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ (المنافقون: ٨) قاصدا بالذليل في الآية رسول اللّه ﷺ والعزيز هو فطلب الولد من رسول اللّه ﷺ أن يقتل والده لهذه المقولة الشنعاء، لكن رسول اللّه ﷺ قال له: «بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا». (الخباز، الاصطفاء في سيرة المصطفى، ١٤٠٦هـ، ٢/ ٢١٧).

ولما توفى رسول اللّه ﷺ ذهل كثير من الصحابة ومنهم "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه الذي هدد من يقول بأن الرسول ﷺ قد مات بقطع الأيدي والأرجل، ولكن "أبابكر" رضي الله عنه ثبت في مثل هذا الموقف الذي تزلزلت له قلوب الصحابة، وقام خطيبا فيهم قائلا: «أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حيّ لا يموت ثم تلا قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وفي هذا ما يؤكد الإيمان بالفكرة والولاء لها لا للأشخاص.

كما أن "الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية" الشاعرة المشهورة أسلمت حين قدمت على النبي ﷺ مع قومها من بن سليم وقتل أخوها لأبيها صخر قبل إسلامها وكانت ترثيه شعرا ومن شعرها فيه قولها:

ولولا كثرة الباكين حولي   على إخوانهم لقتلت نفسي

لكن الإسلام صنعها صناعة أخرى وأوجد منها امرأة بعقلية أخرى ومفاهيم أخرى فقد حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها الأربعة فحرضتهم على القتال وعدم الفرار فاستشهدوا جميعا في سبيل اللّه هنا لم تسكب الدموع عليهم ولم تنتحب كما فعلت قبل إسلامها بل قالت قولتها المشهورة: «الحمد للّه الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته» (ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٣٩٨هـ، ١٢/ ٢٢٧-٢٢٨).

هنا يظهر أثر العقيدة الإسلامية في مثل هذه المواقف والتضحية في سبيل الدين والعقيدة والإيمان بقضاء اللّه وقدره وعدم الجزع من ذلك.

أما "ربعي بن عامر" ﷺ رسول رسول اللّه إلى رستم قائد الفرس فقد عبر عن المنهج بعبارات مختصرة تنم عن الفهم الدقيق والتصور الصحيح له، وذلك عندما سأله رستم عما جاء بكم فقال "ربعي بن عامر" ﷺ: «اللّه جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبي قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر». (ابن هشام، السيرة، د. ت، ٢/ ٩٠-٩١).

هنا يلمس القارئ المسلم الغاية التي عبر عنها "ربعي بن عامر" رضي اللّه عنه من خلق العباد وهي عبادة اللّه وحده ابتغاء رضوان اللّه سبحانه وتعالى والظفر بالشهادة من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار.

وها هو "عمرو بن الجموح" ﷺ كان رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول اللّه ﷺ المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن اللّه عزوجل قد عذرك فأتى رسول اللّه ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فواللّه إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال رسول اللّه ﷺ أما أنت فقد عذرك اللّه، لا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه لعل اللّه أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد. (ابن هشام، السيرة، . . .، ٢/ ٩٠-٩١).

فهنا إصرار من رجل مسن به علة يريد الدفاع عن العقيدة الإسلامية والتضحية في سبيل إعلاء كلمة اللّه تعالى طلبا لرضوان اللّه والظفر بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين والمجاهدين في سبيل اللّه تعالى فقد زكت نفسه وارتفعت وعلت ورخصت في سبيل اللّه ولم تمنعه عرجته من الخروج في غزوة أحد.

وكذلك كان شأن "أنس بن النضر بن ضمضم" الأنصاري الخرجي الذي نال الشهادة في سبيل اللّه في هذه الغزوة وثبت ثبات الأبطال ولم يول الأعداء دبره بل وقف صامدا محتسبا وتبرأ مما صنع بعض المسلمين من التخاذل حين شاعت شائعة بأن

رسول الله ﷺ قد قتل (قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل» (ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٣٩٨هـ، ١٢/ ٢٥٣).

وهنا يلمس المسلم مدى الولاء للعقيدة الإسلامية والاستشهاد في سبيل الله تعالى فأين هؤلاء من مخرجات التعليم في العصر الحاضر الذي أوجد شخصيات مهلهلة ضعيفة لا تستطيع التعبير عن غايتها من الحياة.

كما أن "جعفر بن أبي طالب" كان يمثل شخصية ذكية وسياسية وتربوية فهو من أوائل المهاجرين إلى الحبشة ومن الذين قامت قريش بمطاردتهم خارج بلدانهم لإعادتهم إلى مكة ليستمر مسلسل التعذيب والتنكيل بأصحاب رسول الله ﷺ ومحاولة إجهاض الدعوة في مهدها لئلا تتسع ويصبح لها أنصار ومؤيدون.

فقد أرسلت قريش "عمرو بن العاص" و"عبد الله بن أبي ربيعة" ليقنعا ملك الحبشة النجاشي بالاستجابة إلى طلب قريش في أن يرد الصابئين من أصحاب محمد؛ لأنهم خرجوا عن دين قومهم فاستدعاهم ملك الحبشة ليتوثق من أمرهم فاختار المهاجرون "جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه ليكون المتحدث باسمهم.

هنا تقدم "جعفر" وألقى كلمته أمام ملك الحبشة قائلا: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة . . . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم . . . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام». (ابن هشام، السيرة، ١/ ٤١٥).

من خلال ما سبق تقديمه من هذه النماذج المضيئة المشرقة يستطيع المسلم أن يكتشف معالم المنهج التربوي الإسلامي، والتي تتمثل في النقاط التالية:

أ - إن تشرب المفاهيم والتصورات والمبادئ والقيم الإسلامية في نفوس الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. كان واضحا للعيان حيث أدى هذا إلى:

ب - إقامة جيل قوي في عقيدته وفي فهمه وتصوراته وسلوكياته، وكانت تربيته نابعة من الكتاب والسنة، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- "أبو بكر" رضي الله تعالى عنه عند ما قام خطيبا بعد وفاة رسول الله ﷺ كان

هدفه تأكيد الولاء للمبدأ والفكرة وليس للشخص والمصلحة. وحدد الغاية من الخلق وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

٢- أما "جعفر بن أبي طالب" رضي الله تعالى عنه فقد اتضحت في كلمته أمام النجاشي معالم كثيرة نفتقدها عند كثير من المتخرجين من التعليم في العصر الحاضر منها:

أنه حدد الفكرة والمبدأ الذي يجب أن يعرضها وعرضها بأسلوب شيق، فذكر مساوئ الجاهلية وأردف بتعريف الرسول ﷺ وغاية دعوته، وهي عبادة الله وحده والاهتمام بالجانب الاجتماعي والفردي والسلوكي والابتعاد عن مساوئ الأخلاق التي كان عليها أهل الجاهلية.

وكذلك ذكر أن مصدر الهداية واحد لكل من عيسى عليه الصلاة والسلام ونبينا محمد ﷺ مؤكدا بذلك توحيد مصدر التلقي لكل منهما، وقدم مفاهيم صحيحة عن التربية الجديدة التي يدعو إليها المصطفى ﷺ وأن مهمة المربي أن يعطي الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح للآخرين وتقديم المنهج الأمثل الذي يسير عليه المربي في حياته متخذا في ذلك أسلوب التدرج والاهتمام بالأولويات.

كما أنه ﷺ يمثل الشخصية الراقية في أسلوبها ومحاورة الآخرين والقدرة على إقناعهم وتوضيح الحق بأسلوب شيق ورائع وجذاب وتأكيد الانتماء للإسلام دون سواه.

٣- وفي قصة الخنساء معالم أخرى منها اهتمام النسوة بتربية الأبناء على حب الجهاد في سبيل الله تعالى والتضحية في ذلك دفاعا عن العقيدة والدين وأنها فرحت بذلك مؤكدة أن الغاية من الحياة الحصول على رضوان الله تعالى الذي يعتبر أعلى غايات الطالبين.

٤- وفي طلب الشهادة في سبيل الله من "أنس بن النضر بن ضمضم" الأنصاري وحرصه على الدفاع عن رسول الله ﷺ وعتابه على المتقاعسين وتخاذلهم بعد ظهور الشائعات أثناء معركة أحد بأنه عليه الصلاة والسلام قد قتل، فيه إحساس بالمسئولية والدفاع عن المبدأ والفكرة التي هي العقيدة الإسلامية، وكذلك "عمرو ابن الجموح" الذي كان حريصا على الشهادة في سبيل الله طلبا لرضوانه.

٥- وفي قصة "أبي عبيدة، عامر بن الجراح" و "عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي سلول" ما يؤكد الانتماء للإسلام دون سواه ومحاربة من يقف في طريقه كائنا من كان، وفي هذا تأكيد للولاء والبراء الذي يعتبر ركيزة أساسية في البناء التربوي وقضاء على العصبيات والقوميات والأقليميات والعنصريات ووشائج القربى والدم التي لا تغني عند اللّه شيئا.

وفي قصة "ربعي بن عامر" فوائد جليلة ومعالم عظيمة منها تحديد الغاية من التربية والقدرة على محاورة الآخرين، ومنحهم التصور الصحيح والاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والتركيز على الأولويات والإحساس بالمسئولية في إبلاغ الدين للآخرين وتوضيح محاسنه ويعتبر "ربعي بن عامر" من ذوي الكفاءات العالية حيث قدم منهاجا أمثل حدد فيه انتماؤه للإسلام وللعقيدة الإسلامية.

وخلاصة القول أن هذه النماذج يمكن الاستفادة منها في وضع معالم المنهج التربوي الإسلامي والتي تتمثل في النقاط التالية:-

أ - الولاء للمبدأ والفكرة وليس للشخص والمصلحة.

ب - الانتماء للإسلام دون سواه.

ج - توحيد مصدر الهداية والتلقي.

د - الإحساس بالمسئولية في نشر الدين وإبلاغه للآخرين.

هـ - إعطاء الآخرين الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح والنظام الصحيح.

و - تحديد ميادين المنهاج وإيجاد شخصيات قادرة على توضيحه بأسلوب موجز وعبارات مختصرة.

ز - معرفة الغاية من التربية (وحدة الغاية).

ح - الاهتمام بالأولويات أولا.

وهنا يتساءل الباحث هل التربية والتعليم في هذا الزمان تستطيع إنتاج مثل هؤلاء؟ كلا! ومن هنا يود الباحث أن يؤكد على حقيقة واحدة، وهو أن الرجوع إلى الماضي والاستنارة به لا يعتبر قدحا للحاضر فلكل مجتمع ماض يفتخر به والمسلمون لهم ماض مشرق تتجلى فيه صور يعجز اللسان عن التعبير عنها إذ لا حاضر بلا ماضي

والدعوة إلى التطلع إلى الماضي ليست بدعا من القول بل هي دعوة جميع المصلحين والمربين، وذلك من أجل استلهام المبادئ التربوية وتتبع خطوات الرعيل الأول؛ لأنه «مهما تقادم العهد الذي يتطلع إليه المسلمون فسيبقى جوهر الدين الإسلامي براقا لماعا يخلب الألباب وينير الدروب المظلمة التي يخبط فيها خبط عشواء يتلمسون الحق والحقيقة ولكنهم لايجدون ضالتهم إلا في الإسلام مصدرالسعادة في الدنيا والآخرة، فهل يعاب علينا نحن المسلمين إن تطلعنا إلى الماضي لنقتبس من هدي النبوة وممن سار على خطاها من أئمة المسلمين وعلمائهم نبراسا ينير دروب المسلمين عند تطلعهم إلى مستقبلهم». (حلاوي، التربية عند المسلمين بين الأصالة والتجديد، ١٤٠١هـ، ص١٦٨).

وهذا يعني أن «مفهوم الحداثة في التربية الغربية لا ينطوي بالضرورة على أفكار متقدمة ومتطورة، كما أن مفهوم القدم في التربية لدى المسلمين لا ينطوي بالضرورة أيضا على أفكار متأخرة أو غير متطورة بل إن التربية الحديثة هي حديثة زمنيا فقط، والتربية الإسلامية قديمة زمنيا فقط، فلا حداثة التربية الغربية تجعلها متطورة ومتقدمة ومفضلة، ولا قدم التربية الإسلامية يجعلها متأخرة وضيقة ومرفوضة، فكم من قديم فاق حديثا وكم من حديث تأخر عن قديم». (حلاوي، ١٤٠١هـ، ص ١٦٠).

وهذا أيضا يؤكد للمسلم أن لكل أمة من الأمم مبادئها العقدية والفكرية وسماتها التربوية، وليس من السهل على أمة أن تستورد أو تستعير جزءا من مبادئها وقيمها من أمة أخرى، دون أن يحدث هذا الاستيراد خللا في العقائد والمبادئ والقيم والتصورات واضطرابا في شبكة العلاقات الاجتماعية كما يسميها. (مالك بن بني، ميلاد مجتمع، ١٣٩٤هـ، ص ٧٤).

وهذا أيضا يدعونا إلى سيادة المفاهيم والتصورات التربوية الإسلامية في المناهج الدراسية؛ لأنها تمثل سدا منيعا أمام التيارات الوافدة من الغرب والشرق فالتربية ليست عملية تعاط بيع وشراء وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل. (الندوي، نحو التربية الإسلامية، ١٣٩٦هـ، ص ١٣٢).

فالتربية كما يقول "عبد المعطي يوسف" (١٤٠٦هـ): «نبت لا يصلح إلا في بيئته ولا ينمو إلا من ري أهله ولا قيمة له إذا فقد جذوره الأصيلة، ولكن ذلك لايمنعنا أن ننتفع من تجارب الآخرين». (أمة معرضة للخطر، ص١٣).

«إن الفساد الذي أصاب المفاهيم والتصورات أخطر بكثير مما لو كان الفساد في السلوك وحده مع صحة التصور وسلامة المفهوم» . (قطب، منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ٢/٨).

ويؤكد هذا المعنى "أبو الحسن الندوي" (١٣٨٨هـ) في كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" قائلا : «وإنه لمن المقرر المعلوم في فلسفة التاريخ أن العبودية الفكرية والحضارية والتربوية أدهى وأمر وأعمق وأرسخ من العبودية السياسية» . (ص٢١٣) .

وانطلاقا مما سبق يدعو الباحث إلى سيادة المفاهيم والتصورات الإسلامية في المناهج الدراسية ؛ لأنه من خلالها يستطيع المسلم أن يرسم سياسة تعليمية سليمة، وذلك للاعتبارات التالية : -

١- إن مصدر تلك التصورات والمفاهيم في مجال التربية وغيره هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده، وبما أنه من عند الله فهو منزه عن الضعف والقصور ؛ لأن الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد أثناء الاختلاف والتنازع، وهما السياج المنيع ضد الزيغ والضلال .

٢- أثبت المنهج الإسلامي فعاليته ونجاحه في ميدان التربية والتعليم وغيره وما النماذج التي قدمها الباحث سابقا إلا دليل أكيد على سمو المنهج الإسلامي وفعاليته حيث قدم جيلا فريدا على مر التاريخ، ولما ابتعد المسلمون عن هذا المنهج الإسلامي الأصيل أصابهم التقهقر والتخلف وسلط الله عليهم الأعداء من كل جانب ؛ لأن ابتعادهم عنه دليل عن التخلي عنه فكأنهم بذلك تنازلوا عن مكانتهم وقيادتهم للبشرية لغيرهم فاستحقوا أن يكونوا في مؤخرة الركب .

٣- الاستفادة من الآخرين شيء لايمكن إنكارها لكن ليس في مجال الفكر والعقيدة، فالرسول ﷺ لما رأى "عمر بن الخطاب" ﷺ وفي يده صحيفة من التوراة غضب وقال: «إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» .

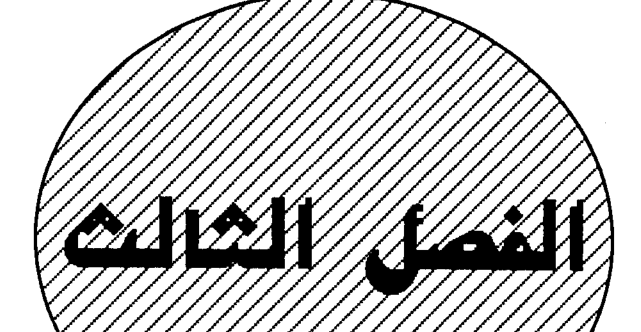
ويقول عليه الصلاة والسلام محذرا أمته من السير في ركاب أهل الكتاب والأخذ عنهم واقتباس مناهجهم : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:

فمن؟». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ١٣/ ٢٥٥).

وفي رواية أخرى يقول عليه الصلاة والسلام «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني». (أحمد، المسند، ١٣٦٨هـ، ٣/ ٣٣٨).

٤- إنه منذ فترة ليست بالقصيرة يجد المسلم أن تأثير الحضارة الغربية على المسلمين بدأت واضحة للعيان وأنه لم يسلم من هذه الحضارة إلا السعودية واليمن وبقية الدول تعرضت للغزو الفكري الذي أحدث تشويشا في مفاهيم الإسلام وتصوراته ومبادئه وتحطيم كيان المسلمين وتزييف عقيدتهم، وهذا يدعونا إلى إعادة المفاهيم والتصورات الإسلامية إلى حالتها الأولى عما كانت عليه قبل الغزو الفكري.

٥- ومادام الحال هكذا فالعالم العربي والإسلامي في أمس الحاجة لتصحيح المفاهيم والتصورات التي شوهت من قبل أعداء الإسلام والمسلمين ومن الذين تتلمذوا في مدارس أجنبية أو ذهبوا في رحلات علمية خارج بلدان العالم العربي والإسلامي لتلقى العلم والمعرفة في مختلف العلوم لإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين بدينهم وعقيدتهم ومنهجهم الأصيل؛ ولا يتم هذا إلا بتصحيح المفاهيم وغرس العقيدة في نفوس الناشئة وإقامة التربية في العالم العربي الإسلامي على مبادئ سليمة مستمدة من القرآن والسنة خالية من الغموض والتناقض للعقيدة الإسلامية وفي السطور التالية توضيح للمبادئ التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم.



الفصل الثالث

معالم الخطة التربوية البديلة من منظور التربية الإسلامية

١- خصائص الإنسان المسلم من منظور التربية الإسلامية

٢- المبادئ والتوجه العام

أولا: مبدأ الربانية

ثانيا: مبدأ الشمول

ثالثا: مبدأ الحاكمية

رابعا: التعليم الأساسي ومنطلقاته (تصور مقترح)

١- خصائص الإنسان المسلم من منظور التربية الإسلامية:

تقدم في بداية هذا الباب أن من بدهيات معالم بناء خطة تربوية إسلامية هو التعرف على الإنسان؟ من الذي أوجده؟ وما هي خصائصه؟ وما الغاية من وجوده؟ وما نهايته؟ وإلى أين يسير؟ .

إن الرسالة النبوية هي التي أجابت عن هذه الأسئلة واعطت التصور الكامل للإنسان والكون والألوهية والحياة، ولا يشك أحد بأن معرفة الطبيعة الإنسانية مهمة جدا وخاصة في بناء خطة تربوية إسلامية وتقديم منهج يسير عليه الإنسان المسلم في حياته.

إن التعرف على الطبيعة الإنسانية يسهل التعامل مع هذا المخلوق الذي كرمه اللّه تعالى، وهي قاعدة مطردة عند مختلف الأمم "فجون ديوي" (١٣٨٦هـ) يؤكد هذا التوجه قائلا: «إن من الأهمية بمكان الدخول في قلب الإنسان ومعرفة أسراره لإمكان توجيهه إلى حيث يراد أن يتوجه إليه، وذلك لا يمكن إلا عن طريق معرفة حقائق هذه الطبيعة؛ إذ لا يمكن التحكم في الشيء وتسخيره إلا بعد العلم بما في ذلك الشيء من الحقائق والقوانين التي يخضع لها مع ملاحظة الفرق بين الإنسان وغيره في ذلك؛ لهذا اهتم المربون بمعرفة الطبيعة الإنسانية ورأوا ضرورة إعطاء الأهمية الكبرى لدراسة الطبيعة الإنسانية؛ لأن ذلك ضروري لتكوين أساس علمي للتربية عموما». (المبادئ الأخلاقية في التربية، ص ٥٥).

وها هو "الكسيس كاريل" (د. ت) يؤكد جهل العالم الغربي بهذه الطبيعة الإنسانية قائلا: «وهكذا يبدو أن البيئة التي نجح العلم والتكنولوجيا في إيجادها للإنسان لا تلائمه؛ لأنها انشئت اعتباطا وكيفما اتفق دون اعتبار لذاته الحقيقية». (الإنسان ذلك المجهول، ص ٤٠).

وهذه شهادة من عالمين غربيين بارزين يؤكدان أهمية معرفة الطبيعة الإنسانية، وأن العالم الغربي مازال عاجزا عن تحقيق السعادة له لجهله بحاجاته الروحية وخصائصه المميزة.

وإذا كانت معرفة الطبيعة الإنسانية في أي تربية أيا كانت مهمة وفي غاية الأهمية، فإنه لا يمكن لأي تربية أن تنجح إذا جهلت هذه الطبيعة، فالجهل بها أكبر

عوامل الفشل التربوي، إن المنهج الدراسي يبنى أساسا انطلاقا من هذه الطبيعة ويحاول أن يقدم ما يتلاءم معها ومن هنا فالتعرف على هذه الطبيعة أكثر أهمية في مجال التربية الإسلامية لأمرين :-

الأمر الأول : «إن التربية الإسلامية تقوم على دعائم، منها المعرفة بالطبيعة البشرية» .

الأمر الثاني : «إن المعرفة الإسلامية لهذه الطبيعة معرفة يقينية؛ لأنها آتية من قبل خالقها وصانعها» . (يالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، ١٤١١هـ، ص٤٩).

إن بناء أي خطة تربوية لا يمكن أن يكتب لها النجاح ما لم تتوفر لديها معلومات كافية عن الإنسان ومعرفة خصائصه وصفاته إذ أن الإنسان هو محور العملية التربوية وركنها الأساسي «ومن هنا يمكن القول بأن جميع الممارسات التربوية تؤول إلى الإخفاق ما لم تبن على فهم واضح وصحيح لماهية الإنسان وخصائصه» . (عبد الله، دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، ١٤٠٨هـ، ص ١٥).

وإذا عاد الباحث إلى "استراتيجية تطوير التربية العربية" لوجد أنها قدمت صورة معينة لإنسان المستقبل إنه الإنسان العربي الذي ينبغي الاهتمام به، ولهذا فهم يرون أن أعظم وسيلة لبنائه التربية «ولما كانت التربية وسيلة هذه الأمة في بناء هذا الإنسان . . . كان لابد لنا من استراتيجية للتربية العربية» . (ص ١٢).

و«إن الاستراتيجية العربية ذات بعد قومي ينعكس على شكل ومحتوى التربية في الوطن العربي» (ص ١٢).

ويرى التقرير أن بناء الإنسان العربي لابد أن يكون متلائما مع المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية بحيث «يتم العمل لتطوير بنى الأنظمة التربوية بما يتفق مع المبادئ الرئيسية للاستراتيجية ومطالب تكوين المجتمع العربي المتعلم عامة وجعل هذه البنى معبرة عن غايات التربية ومقاصدها وفقا لتلك المبادئ الرئيسية» . (ص ٢٦٣).

وأكد تقرير الاستراتيجية أن إنسان المستقبل لابد أن يتصف بأنه إنسان قومي، ديمقراطي، إنساني وعلى التربية «أن تبصر المتعلم بحقوقه الأصيلة لتطوير الشخصية القومية والاجتماعية» . (ص ٢٢٦).

وتمكنه من الاعتماد على جهوده الذاتية في تربية نفسه وتطوير شخصيته من

جميع جوانبها (ص ٢٦) والتعويل على عقله وضميره (ص ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٥١).
وأن تعتني التربية بالإخاء الإنساني (ص ٢٢٧) «وإعداد المواطن الملتزم نحو مجتمعه المتمثل لشخصيته القومية في نقائها وصفائها العامل على الوفاء بمطالبها».
(ص٢٢٦) وعلى الإنسان العربي أن يستمد من إيمانه وتربيته وعلمه وعمله ومواقفه الديمقراطية بواعث الالتزام بواجبات المواطنة. (ص ٢٤٩)، وأن يتشرب القيم الاجتماعية والقومية ويكون ولاؤه للوطن وللأمة العربية. (ص٣٠٥).

هذا هو فهم التقرير لإنسان المستقبل الذي يراد للتربيته تنشئته بحيث يتصف بالقومية، والديمقراطية وبالإخاء الإنساني لكل البشر إنه الإنسان العربي -لا المسلم- الذي يجب أن يعتمد على عقله وضميره فيرسمان له الطريق الصحيح، وعليه أن يحقق تلك المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية في حياته العملية والعلمية.

وهنا يتساءل الباحث - بالله كيف يمكن أن يتحقق بناء هذا الإنسان الذي تتعدد صفاته بصورة يعجز الجمع بينها وبين الإسلام؟.

فالديمقراطية لها مفاهيم خاصة بها ولها مقوماتها وبيئتها التي ظهرت فيها. !

والإنسانية لها مفاهيم خاصة بها ولها مقوماتها وبيئتها التي ظهرت فيها. !

والقومية لها مفاهيم خاصة بها ولها مقوماتها وبيئتها التي ظهرت فيها. !

إن بناء مثل هذا الإنسان يعتبر من المستحيلات مستقبلا إذا كنا نريد ناشئة مسلمة قوية في دينها وعقيدتها وفكرها فهل مثل هذه المبادئ تحقق ذلك؟

إن هذه الخصائص الذي يتصف بها إنسان المستقبل يشم منها رائحة تزكم الأنوف وتصيب العقل بالارتباك وتنبئ على أن أصحابها جهلوا حقيقة الإنسان

المسلم حيث لم يفطنوا إلى خصائصه ويلتمسوها من المصدرين الكتاب والسنة، وبالتالي كان كل تصوراتهم عن الإنسان الذي يراد بناؤه تصورا مغايرا لم يحالفه الصواب؛ لأن صورة الإنسان المسلم لم تتضح تماما بل كانت مستمدة من هنا وهناك، ولهذا جاءت صورته خليطا من نظريات متباينة ففقدت بذلك توحيد مصدر التلقي والغاية والاتجاه.

وإن أي «تعديل وإصلاح المناهج الدراسية القائمة لا يجدى تماما إلا إذا اعتمد على نظام تربوي إسلامي أصيل متكامل وإن البحث عن محاكاة التربية المعاصرة أو

معارضتها لا يعطينا منهجا تربويا إسلاميا». (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٢٥).

فالإنسان مخلوق مكرم خلقه اللّه سبحانه وتعالى بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته الكرام وحدد له غاية حياته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)، وحدد له المصير ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢).

وبالتالي فا «لنظرة إلى الإنسان جزء من العقيدة التي يعتنقها المرء» (الغضبان، من معين التربية الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ص ١١).

الإنسان في منهج الإسلام ليس روحا فقط ولا جسدا فقط بل هو كيان متكامل مكون من عقل وجسم وروح وإن اختلفت المناهج البشرية في وصفه بحيث غلبت جانبا على آخر وأصبح الإنسان إما مهتم بالجانب الروحي أو بالجانب الجسمي.

أما الإسلام فقد جاء «يربي الإنسان خليفة اللّه في الأرض يربيه قلبا وروحا ويربيه جسدا وعقلا ويربيه أخلاقا وسلوكا ويرتفع به إلى الأفق الأعلى». (عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، ١٤٠١هـ، ص ١٣).

إن «المناهج الأرضية تبرز في جانب دون آخر وتنمي جانبا على حساب آخر فقد تعالج الروح حتى تجعل من الإنسان كائنا مشلولا عن كل باعث إلى المادة والحياة الدنيوية بصلة وقد تقدس عقله. . . . وقد تعني المناهج بجسم الإنسان. . . ولايوجد في الأرض اليوم منهج من صنع بشر استطاع أن يبنى منهجا يتجاوب مع فطرة الإنسان بجوانبها كلها مجتمعة روحه وعقله وجسمه». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ٨٨).

إن الإسلام عند ما يعرض حقيقة الإنسان وأصل خلقه يرجعه «إلى أصلين: أصل الأول: البعيد، وهو الخلقة الأولى من طين حين سواه اللّه ونفخ فيه من روحه، والأصل الثاني: القريب، وهو خلقه من نطفة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣-١٤). (النحلاوي، التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ١٣٩٩هـ، ص ٣٠).

والإنسان في نظر الإسلام هو أحد هذه المخلوقات الكونية التي أسكنها اللّه هذه الأرض يشاركها في الكثير من الصفات وينفرد هو بصفات خاصة به، وعناصر تركيبه وتكوينه.

١- فهو يشارك التراب في أصل خلقته قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (فاطر: ١١).

٢- ويشارك النبات في نموه وفي الكثير من مواد تركيبه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح: ١٧).

٣- ويشارك الحيوان بأنواعه في كثير من صفاته وغرائزه في طعامه وشرابه وتوالده وتناسله قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (الأنعام: ٣٨). (المبارك، نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، ١٣٩٥هـ، ص٥٣-٥٤).

٤- لكن الإسلام ميز الإنسان عن الحيوان بقامة مستقيمة وخلق سوي قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

ومما ميز اللّه الإنسان عن الحيوان أيضا أنه:

أ - مخلوق مكرم بحيث لا يتساوي فيها مع الحيوان والجماد وسائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠).

ب- إن اللّه سخر له ما في السموات وما في الأرض واشعره بأنها طوع يده وسخرها لمصلحته وهذه خطوة تربوية ربانية ينشئ بها القرآن الإنسان على الشعور بالكرامة وعزة النفس ويشعره في الوقت ذاته بفضل اللّه عليه». (النحلاوي، التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ١٣٩٩هـ، ص٣٢).

ج - ميزه اللّه بنمو الحواس، وهي ليست كذلك في الحيوان» قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

د - ومن مميزات الإنسان أن اللّه جعله قادرا على التعبير عن علمه وأفكاره قال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ٣-٤). (المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ١٣٩٥هـ، ص ٥٤-٥٥).

هـ - والإنسان مميز مختار حيث الهمه اللّه التمييز بين الخير والشر وجعل عنده إرادة يستطيع أن يختار الطرق المؤدية للخير أو الطرق الموصلة إلى الشقاء «وبين له أن هدفه في هذه الحياة أن يترفع بنفسه عن سبل الشر وأن يزكى نفسه».

و - ومما كرم اللّه به الإنسان وفضله أن وهبه القدرة على التعلم والمعرفة وزوده بأدوات القدرة التي تساعده على التعلم مثل: السمع والبصر والفؤاد.

ز - وبما أن اللّه قد منح الإنسان الحرية والإرادة والقدرة على التمييز بين الخير والشر فقد حمله مسؤولية عمله وأنه مجزى به إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وهذه المسؤولية تجعل الإنسان المسلم بعيدا عن المزالق وعدم الاستلام للأهواء والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشؤونه». (النحلاوي، ١٣٩٩هـ، ص ٣٢-٣٦).

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة متكاملة جامعة بين ناحية روحه وجسمه وعقله لكي يضمن سير الإنسان في خط مستقيم مراعيا فطرته التي فطر عليها محققا لرسالته الكريمة وهذا يعني أن «التربية الإسلامية تشكل الإنسان تشكيلا شاملا متكاملا حتى يصبح ربا لأسرة وعضوا في مجتمع ومحاربا في كتيبة وإيجابيا في قضايا الحياة والمجتمع وإيجابيا في قضايا الآخرة ومطالبها ومعلما ومتعلما وعضوا في جماعة منتجة اقتصاديا ومستهلكا رشيدا وحاكما ومحكوما». (سلطان، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، ١٤٠٠هـ، ص ٦٣).

ويلخص "علي أحمد مدكور" (١٤١١هـ) في كتابه "منهج التربية في التصور الإسلامي" خصائص الإنسان المسلم" في النقاط التالية:

١- عبد رباني مصدرا وغاية.

٢- حر مسؤول.

٣- يتطور ويرتقي حول محور ثابت.

٤- إنسان موحد الاتجاه.

٥- إنسان متوازن.

٦- إنسان إيجابي.

٧- إنسان واقعي.

هذه هي سمات الإنسان المسلم الذي هو الهدف الأسمى لمنهج التربية الإسلامية. (١٦٩-١٧٧).

إن من الحقائق التي لايمكن إنكارها أو التنصل عنها لدى كثير من المفكرين المعاصرين أن كل نظرية سياسية أو اقتصادية أو تربوية في تنظيم حياة الإنسان أو

جانب منها إنما تنطلق من تصور معين عن الإنسان نفسه ومن عقيدة يؤمن بها المرء وبالتالي تنعكس هذه الرؤية عن هذا الإنسان ويحاول أن يطبق ما يدين به ويعتقده.

وما دام أن تقرير الاستراتيجية لم ينطلق من أرضية صلبة ومن قاسم مشترك يدين به المسلمون جميعا - عن الإنسان وخصائصه- وكان انطلاقه في فهم الإنسان من فلسفات ونظريات متعددة لا تمت إلى الدين الإسلامي بشيء فإن ما بنى على هذا الفهم خاطئ وغير مقبول؛ لأن ما بنى على فاسد فهو فاسد قال تعالى: ﴿**أ فمن أسس بنيـنه على تقوى من الله ورضو ن خير أم من أسس بنيـنه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم**﴾ (التوبة: ١٠٩).

فالتصور الذي جاء به التقرير عن الإنسان العربي "إنسان المستقبل" -لاالإنسان المسلم- مستمد من تصورات بشرية بحتة لا من تصورات إسلامية إلهية، وبالتالي جاءت المبادئ منطلقة من هذه التصورات الانتقائية فجانبها الصواب وحادت عن الحق والحقيقة.

إن الباحث هنا ليؤكد على حقيقة مهمة، وهي «إن استقامة التصور لا يمنع من وقوع الخطأ في التطبيق؛ لأنه قد يكون الإنسان صحيح التصور لكنه يخطئ نتيجة عوامل أخرى، أما خطأ التصور فإنه لا يستقيم معه عمل صحيح». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ١١٧).

وهذه الحقيقة قد تنطبق على تقرير الاستراتيجية التي أقامت تصورها عن الإنسان بصورة مغايرة لما عليه في منهج التربية الإسلامية.

إن فساد التصور أصعب بكثير مما لو كان الفساد مقتصرا على السلوك مع صحة التصور وسلامة المفهوم، وبهذا كانت الأزمة التربوية التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية «هو افتقادنا لمنظومة تربوية متماسكة ومتناسقة تنسجم فيها الأهداف والتصورات مع التقنيات والوسائل ففكرنا التربوي عبارة عن فسيفساء من الأفكار المتناقضة "إسلام" "علمانية" "اشتراكية" "تقدمية" وينعكس هذا الخلط والغموض على تربيتنا في المدرسة والمنزل وعلى توجيهات وسائل التربية المسموعة والمرئية والمكتوبة». (السباعي، قراءة في الكتابات التربوية الإسلامية من ابن سحنون إلى ابن خلدون مجلة الهدى، ع ٢٧، ١٤١٠هـ، ص ٢٩).

إن إحياء الأمة الإسلامية لا يتحقق إلا بإقامة الفرقان وإسقاط اللافتات الخادعة البراقة ليتميز الناس إلى فسطاط نفاق لا إيمان فيه!

وفسطاط إيمان لا نفاق فيه!

وعندئذ تخرج الأمة الإسلامية من حالة التذبذب واهتزاز المبادئ إلى الانحياز إلى مبادئها وشريعتها والانتصار لإسلامها من كل أعدائها سواء من بني جلدتها أو من غيرهم ممن يسعى إلى تشويه حقائق الإسلام ومبادئه. (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ٢١٩).

إن التربية الإسلامية هي: «عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة تهدف إلى تنشئة جميع جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقق العبودية لله سبحانه وتعالى يقوم فيها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين وفق طرق ملائمة مستخدمين محتوى تعليمي محدد وطريقة تقويم ملائمة». (عبد الله، مفهوم التربية الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، باكستان، العدد الثاني، ١٤١٠هـ، ص ٤٨).

وهذا التعريف جعل كلا من العالم والمتعلم والمحتوى التعليمي وطرق التقويم يسعى إلى تحقيق غاية واحدة، وهي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.

وهذا يعني أن التربية الإسلامية تدعو إلى الفهم الصحيح للمبادئ والقيم والتصورات، وهي تقوم على "العودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة وقواعد الفهم المعتبر لدى الصحابة والتابعين . . . وتقدم مفهوما أساسيا في العقيدة ومقومات الحياة وفرعيات النظم». (كردي، الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، ١٤٠٥هـ، ص٢٣٠-٢٣١).

وهنا يلمس المسلم أن محرري الاستراتيجية فقدوا الفهم الصحيح نتيجة اعتمادهم على مصادر ثانوية مضللة ومنحرفة، وبالتالي حرموا من التصور الصحيح للإنسان المسلم وكل دراسة لا تعتمد المصادر الشرعية الأصيلة لابد أن يعتريها النقص والتشويه والبعد عن التصور الإسلامي.

إن الدراسات التربوية والاجتماعية لا يصح لأحد «أن يتكلم فيها من ليس عنده علم من الشرع، لذا لابد من اعتماد المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعا من الأوضاع الاجتماعية وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكيا واجتماعيا».

(السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩).

وكل من أقحم نفسه في دراسة تربوية أو اجتماعية وهو لا يملك الأدوات التي تساعده في ذلك فقد اقحم نفسه في مجال يعرضه للسخرية والاستهزاء والتنقص، وأولى له أن يترك هذا المجال لأهله؛ لأنه سيأتي بالمدهشات والعجائب وفاقد الشيء لا يعطيه.

لقد تمكن أعداء الإسلام عبر النخبات الوطنية من مزج الإسلام بالأفكار الغربية من علمانية وقومية ووطنية وغيرها من أجل أن يلتبس على الأمة أمر دينها وليصبح الإسلام الواحد بعقيدته ومبادئه وتشريعاته اسما متعددا بتعدد ألوان المؤامرة التي تصد عن سبيل الإسلام الحق.

وانطلاقا من التعريف السابق للتربية الإسلامية وتعريف "علي بن حسن الحلبي الأثري" (١٤١٤هـ) في كتابه "التصفية والتربية" لها والذي ينص على أن التربية الإسلامية هي: «العمل بمختلف الأساليب والوسائل التي لا تتعارض مع شرعة الإسلام على رعاية الإنسان وتعهده حتى يصير سيدا في هذه الأرض سيادة محكومة بالعبودية التامة للّه رب العالمين». (ص ١٠٠).

يحاول الباحث هنا أن يقدم خطوطا عريضة تكون معالم جديدة لخطة تربوية إسلامية وذلك في مجالين:

المبادئ والتوجه العام.

التعليم الأساسي.

٢ - المبادئ والتوجه العام.

المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية كثيرة بلغت حوالي اثنى عشر مبدءا، وهي مستمدة من نظريات متعددة لا يجمعها عقد واحد أو يشملها مصدر واحد، وبالتالي فقدت توحيد المصدر والغاية والهدف نظرا لاعتماد أصحابها على مصادر غير أصيلة بل وفي الوقت نفسه هي مصادر منحرفة وهدامة وقد مر سابقا نقد بعض هذه المبادئ في الباب الثاني من هذه الدراسة.

وهنا يحاول الباحث أن يقدم مبادئ نموذجية تصلح أن تكون خطوطا عريضة ومعالم جديدة لخطة تربوية إسلامية مستقبلية، ويجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي وتتمثل هذه المبادئ فيما يلي:

أولا : مبدأ الربانية:

أ - تعريف الربانية:

الربانية مصدر صناعي منسوب إلى "الرب" زيدت فيه الألف والنون على غير قياس.

والرباني هو الرجل الذي ينتسب إلى الله عزوجل في كل أقواله وأفعاله وسلوكياته فيقال: رجل رباني لاستمساكه بأوامر الله ونواهيه.

يوضح "الشوكاني" (د. ت) في كتابه "فتح القدير" المقصود بالرباني في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩).

فيقول: «الرباني بزيادة الألف والنون منسوب إلى الرب، ويراد به المربي المسلم لأنه يقصد ما أمر الله بقصده من العلم والعمل والربانيون هم أرباب العلم واحدهم رباني مأخوذ من قولهم ربّه يربه فهو رباني إذا دبره وأصلحه». (١/ ٣٥٥).

ويفيد "الشوكاني" (د. ت) بأن منشأ الربانية مكتسبة عن طريق تلقى العلم والعمل به والدراسة له فيقول: «فإن حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة الله» (١/ ٣٥٥).

والرباني هو الذي «زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى» (٥/ ٤٤٩)

وميدان التربية والتعليم هو الذي يظهر الشيء الفاسد ويبقى على الشيء الصالح وينميه ويزيد منه بحيث تكون الربانية صفة ملازمة لهذا الميدان، وإذا لم يكن هذا الميدان منطلقا من الربانية فإنه سيصيبه الخلل ويعتوره النقص والقصور ويخرج ناشئة مشوهة فكريا وعقائديا ونفسيا لا هوية لها ولا ميزة لها على غيرها من الأمم.

إن الرباني هو الذي يربي الناس بمنهج الله ويتدرج بهم حتى يصل بهم إلى المستوى الرفيع الذي يريده الله».

وهذا يقتضي من المناهج في العالم العربي والإسلامي تربية الناشئة على المنهج الصحيح المصفى الذي ليس فيه غبش ولا دخن وأن يكون مصدر الربانية الكتاب والسنة والذي من خلال هذا المصدر ربي رسول الله ﷺ صحابته الكرام ولن يصلح هذه الأمة إلا بماصلح به أولها وأول ما صلح به أولها هو جعل القرآن والسنة المصدر

الوحيد في حياة الأمة الإسلامية وانتهاج التصفية والتربية الصحيحة في سبيل الرجوع إليها.

لقد أكد رسول الله ﷺ بأنه ترك أمته على بيضاء نقية وأن من يعرض عنها سيكون مآله الهلاك -والعياذ بالله- قال عليه الصلاة والسلام:

«لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء». (ابن ماجه، السنن، (د.ت)، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ص ١/ ٤ حديث رقم ٥). ويقول عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه». (مالك، الموطأ، ١٣٧٠هـ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ٢/ ٨٩٩، حديث رقم ٣).

وتأكيدا لأهمية العقيدة في تربية النشء قضى رسول الله ﷺ قرابة ثلاثة عشر عاما في مكة المكرمة «جاهدا في غرس العقيدة الإسلامية أو بعثها وتربيتها في نفوس الصحابة الأوائل لتكون أساسا متينا لتربية ربانية عميقة الأثر بعيدة المرمى واسعة الشمول». (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٣١).

ومن هنا كان الإصلاح في المجتمعات الربانية أول ما يتخذ ميادينه في النفوس بغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة لتسمو إلى خالقها وترتقي في مدارج الكمال.

ولذلك كانت نقطة الالتقاء بين الأنبياء والرسل جميعا هي الدعوة إلى تعريف البشرية بربها وخالقها «إن الدعوة الإسلامية على يد محمد رسول الله ﷺ إنما تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام بقيادة الرسل الكرام . . . وهذه الدعوة على مدار التاريخ البشري كانت تستهدف أمرا واحدا: هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الحق». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٥٢).

فالتوحيد هو دعوة الرسل جميعا وأول ما يخاطب به الرسول قومه «وعبادة الله وحده التي هي أصل الدين وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب». (ابن تيمية ،الفتاوى، (د.ت)، ٣/ ٣٩٧).

إن الاهتمام بهذا المبدأ الرباني ازداد تألقا وبروزا فها هي "جمعية القرآن والسنة" في "امريكا الشمالية" أقامت مؤتمرها السنوي الثامن في مدينة "توليدو" في ولاية "أوهايو" تحت عنوان "منهج التربية الربانية" وانصبت المحاضرات في هذا الشأن، ومنها:

١- منهج التربية الربانية أسس وضوابط للشيخ سليم الهلالي.
٢- نماذج قرآنية في التربية الربانية للشيخ "عقيل المقطري".
٣- معالم التربية النبوية للشيخ "محمد صفوت نور الدين".
(الجبالي، مجلة الأصالة، العدد: ١٥-١٦، ١٤١٥هـ، ص ٩٤-١٠١).

نعم لقد أثمرت التربية الربانية التي سلكها رسول الله ﷺ ثمارا يانعة وأنجبت رجالا صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس تشرئب الأعناق إلى أعمالهم وترتاح النفوس بفعالهم ويهزها الشوق إلى الاقتداء بهم، فهم قد ضحوا بحياتهم ونفوسهم في سبيل العقيدة الإسلامية والذود عن حياض الدين الإسلامي، ولهذا بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل اللّه إعلاء لكلمة اللّه تعالى.

وانطلاقا من هذا يجب أن تكون تربية الجيل المسلم ناشئة من الاهتمام بغرس العقيدة الإسلامية أولا وتصحيح المفاهيم الخاطئة حتى تضمن الأمة الإسلامية إيجاد جيل قويم يؤمن باللّه ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسول اللّه ﷺ نبيا ورسولا، ولن يتسنى للأمة العربية والإسلامية بناء هذا الجيل الناشئ إلا إذا كان المحتوى التعليمي منطلقا من الربانية ومحققا للغاية العليا من خلق الجن والإنس، وقائما على قواعد وأسس متينة، ولا يمكن لأمة الإسلام أن تشق طريقها ما لم تنل نصيبا كاملا من التربية الصحيحة ذات القواعد السليمة والأسس المتينة وستظل في مؤخرة الركب مادامت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولا شك أن القلق والحيرة والاضطراب نتيجة طبيعية لعدم نجاح التربية في إيجاد إنسان الحضارة، فتدهور التربية أدى إلى مثل هذا القلق الذي يقض مضاجع العالم العربي والاسلامي، وحدث «هذا كله في غيبة تربية تقوم على مبادئ ربانية تقود بالإنسان إلى حظيرة الإيمان وتعود بالبشرية إلى واحة السلام ولكن رغم تفوق التربية ومعاهدها ومؤسساتها في الغرب بصفة عامة في المناهج والأساليب والإمكانات إلا أنها تفتقر إلى الروح الإيمانية وإلى العقيدة التي تحسن توجيه غرائز الأفراد وتشبعها بطريقة صحيحة، ولكن مالنا وللغرب، لقد أحسن رغم هذه المساوئ في دنياه وفق تصوراته فجنى ثمرات ذلك الإحسان وأسأنا رغم عقيدتنا ومبادئنا ونحن نحصد زرع الإساءة وجني التخلف». (الرشيد، نحو أسس استراتيجية للتربية الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص٢).

إن من ينعم النظر في طبيعة المجتمع الإسلامي يجد أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة من لدن حكيم خبير، إنها من صنع إله يعرف طبيعة خلقه، وأن النظام الاجتماعي الإسلامي هو نظام رباني والله سبحانه وتعالى تولى إخراج هذه الأمة وصنعها صناعة لتكون مؤهلة لقيادة البشرية جميعا بنص القرآن القائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠). «فهي أمة مخرجة إخراجا وفق نموذج معين يحققه نظام معين وهي لم تخرج نفسها وفق نموذج من تصوراتها العقلية أو ضرورتها، إنما وضع لها نظامها من لدن خالقها، وأخرجت للناس على وفقه إخراجا ربانيا». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ١٣٧).

ومن هنا يجد المرء المسلم أن التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون والألوهية «تصور رباني صادر من الله للإنسان وليس من صنع الإنسان». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٤٦).

ولذلك كان الوحي هو المصدر الذي ينهل منه الأنبياء والرسل وهم وسيلتنا في التعريف بالله سبحانه وتعالى والكون والحياة والإنسان نفسه، ومن هنا «فالوحي الرباني هو المصدر المأمون الذي يتميز بالثبات والشمول ويقدم التفسير الشامل للحياة والكون والإنسان وحقيقة الألوهية والعبودية؛ لأنه كلام رب العالمين، العليم الخبير، المطلع على كل شيء، المبرأ مما يعترى البشر من القصور والظلم والجهل وسوء الفهم والارتباط بالمصلحة وبالبيئة التي نشأ فيها، والتربية التي تلقاها والمفاهيم والتصورات المتوارثة... فمادام الوحي بهذه الصفة من التكامل والشمول والعدالة فإنه لابد للمسلم أن يتخذه منهجا وميزانا يزن به القيم والأحداث ويضبط به التصورات والمفاهيم ويتخذه حكما يرجع لحكمه ويتلقى منه... والبشرية إذا لم يكن لها منهج موحد ترجع له عند الاختلاف وتزن مفاهيمها ونتائج أبحاثها بميزانه؛ فإنها ستختلف ويشتد اختلافها». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ٣٦-٣٧).

فهذه مصادر التلقي عند المسلم الذي «يتميز عن غيره بالمصادر الربانية التي تصحح له فكره واتجاهاته ويزن على هداها نتائج تجاربه وأبحاثه واستقراءاته وقياساته، كما يتميز عن غيره بأهدافه في تلقي العلم إذ يسعى إلى مرضاة الله وتحقيق العبودية له وتطبيق المنهج الرباني في واقع الحياة». (السلمي، ١٤٠٨هـ، ص ٤٧).

وبما أن التصور الإسلامي للإنسان هو من عند الله سبحانه وتعالى «فهو وحده مناط الثقة في أنه التصور المبرأ من النقص المبرأ من الجهل المبرأ من الهوى . . . التصور الموافق للفطرة الإنسانية الملبي لكل جوانبها المحقق لكل حاجاتها، ومن ثم فهو التصور الذي يمكن أن ينبثق منه ويقوم عليه أقوم منهج للحياة وأشمله» . (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٤٧). حتى في ميدان التربية والتعليم وكل شؤون الحياة . وعند إنعام النظر في العالم العربي والإسلامي يجد المرء المسلم إن مناهجنا التعليمية وأجهزتنا التوجيهية في العالم الإسلامي لم تساعدنا غالبا على تكوين المعاني الربانية في نفوس الناشئة، بل إنها تفتح عين الناشئ على حقائق ومعارف ولكنها تهمل روحه وقلبه، وإذا أهمل القلب من الغذاء بقي الجسم مثل أعجاز نخل خاوية . (القرضاوي، أين الخلل، ١٤١٢هـ، ص ١٩).

لقد أهملت الاستراتيجية "مبدأ الربانية" واستبدلت الذي هو أدنى "مبدأ الإنسانية" بالذي هو خير، جعلت "مبدأ الإنسانية" أول مبدأ تقوم عليه التربية والتعليم في العالم العربي، وهذا والله ظلم عظيم وتهاون شنيع وسلوك غير حميد، ودليل على قصور في الفهم وفساد في التصورات والسلوك معا، ويؤكد هذا على عدم تأهل محرري الاستراتيجية لأن يكونوا في موضع القيادة والتوجيه؛ لأنهم لم يستوفوا الشروط التي تؤهلهم لذلك . إن مبدأ الإنسانية مبدأ وضعي بشري من صنع الإنسان واختراعه وبالتالي لا يصح للبشر أن يأتوا بمبادئ من عند أنفسهم لقصورهم العقلي واستيلاء الأهواء عليهم، ولعدم معرفتهم ما يصلح لبني الإنسان؛ لأن الذي أوجدهم هو أعلم بما يصلح لهم، أما الإنسان فعجزه واضح وتفكيره قاصر فقد يسن مبادئ لجيل لا تصلح لآخر؛ لأن نظره وفكره محدد بفترة معين والله سبحانه وتعالى قد وضح في كتابه الكريم أنه أهبط آدم ومعه الهدى الذي ينير له دروب الحياة، ومن أعرض عن هذا الهدى فستكون حياته ضنكا ويضل الطريق الذي رسم له والصراط الذي حدد له .

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه : ١٢٣-١٢٤).

ب – مقاصد الربانية:

ويقصد بالربانية هنا أمران :

الأمر الأول : ربانية الغاية والهدف .

الأمر الثاني : ربانية المصدر والمنهج .

أما الأمر الأول : فيجد المسلم أن التربية الإسلامية تسعى إلى غاية سامية هي عبودية اللّه سبحانه وتعالى ، وحسن الصلة به والحصول على مرضاته وحسن مثوبته ، فهذه هي الغاية العليا من التربية ، وتأتي الأهداف خادمة لهذه الغاية ومحققة لها . (القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ١٤٠٥هـ ، ص ٩-١٠) .

إن حصول الإنسان المسلم على محبة اللّه يكون نتيجة أنه قد حقق العبودية التامة للّه سبحانه وتعالى في حياته كلها ، فمن «أحب اللّه أحبه اللّه فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل إلى المقصد الأسنى الذي هو أعلى مطالب الطالبين ونهاية رغبات الراغبين» . (الشوكاني ، أمناء الشريعة الإسلامية ، ١٣٩٦هـ ، ص ٨٨) .

ومتى ظفر الإنسان المسلم بمحبة اللّه تعالى له وصار من المحبوبين فعليه «أن يزداد خضوعا له وتضرعا إليه وتذللا وتمسكنا وعبادة ، وكلما ارتفع عند ربه درجة زاد فيما يحبه اللّه منه درجات» (الشوكاني ، قطر الولي ، ١٣٨٩هـ ، ص ٤٦٨) .

هنا تتحقق الربانية في الإنسان المسلم إذا نشأ على هذه المعاني وكانت أعماله مصبوغة بالصبغة الإسلامية وتصرفاته وسلوكياته نابعة من عقيدته .

وإذا استطاعت المدرسة أن تقوم بغرس هذه المعاني في نفوس الناشئة فقد أدت رسالتها وحققت معاني الربانية في موادها الدراسية النظرية والعملية معا .

وعند التحقيق لهذا الأمر وانعام النظر في الاستراتيجية يجد المسلم أنها لا تخدم هذا الأمر بل هي تسير في اتجاه مضاد له وتنافيه .

أما الأمر الثاني : وهو ربانية المصدر والمنهج ، فيقصد به «أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج رباني خالص ؛ لأن مصدره اللّه تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ» . (القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٦) .

وهذا يدل دلالة أكيدة على أن هذا المنهج لم يأت «نتيجة لإرادة فرد أو إرادة أسرة أو إرادة طبقة أو إرادة حزب أو إرادة شعب ، وإنما جاء نتيجة لإرادة اللّه الذي أراد به

الهدى والنور والبيان والبشرى والشفاء والرحمة لعباده» (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص٣٦).

إن التربية الإسلامية ربانية منذ بدايتها، فالآيات الأولى من القرآن حددت هذه الربانية بأوضح بيان وجعلت أنشطة الإنسان الحياتية تنطلق من الخالق جل وعلا، فالآية الكريمة تقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

هنا بدأت «بتعريف الناشئ على قدرة الرب جل جلاله وصفات كماله ونعمه عن طريق تأمل الكون . . . وجميع الكائنات من حوله منذ أن يكتمل وعيه وينضج عقله ويصبح قادرا على ذلك». (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص٨٢).

فهنا حددت الآية الكريمة الغاية من خلق الإنسان وهي عبادة الرب سبحانه وتعالى والانضواء تحت لوائه وجعل مشاعر الناشئة وتصوراتهم موحدة نتيجة لتوحيد مصدرها الذي هو الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا المعنى يؤكد "الكيلاني" (١٤٠٥هـ) في كتابه "تطور مفهوم النظرية التربوية" معنى الربانية، فيقول عند توضيحه لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١): «إن مصدر هذه التربية ومخططها وواضع أصولها وفلسفتها وأهدافها وأساليبها هو خالق الإنسان الذي رعى نشأته وتكوينه منذ أن كان علقة . . . واستعمال كلمة "ربك" له دلالة تربوية قاطعة فلم يقل "خالقك" أو "إلهك" أو "فاطرك"، وذلك ليفيد معنى التربية والرعاية ولا تقتصر هذه التربية على تكوين الإنسان وحده بل تمتد لتشمل الكون الذي يعيش فيه، والمكونات التي تعايشه حيث يجري تنظيمها وتربيتها كذلك لتسهم في تحقيق الثمرات التي من أجلها كانت تربية الإنسان». (ص ٣١).

وهذا يعني أن التربية الإسلامية أول ما تهدف إليه، هو تعريف الناشئ بخالقه وحسن الصلة به على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق، ولا يكون هذا إلا عن طريق التخلي أولا عن المفاهيم والتصورات الخاطئة ثم التحلي ثانيا بالمفاهيم والتصورات السليمة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وهذا الأمر الثاني لم يخطر على بال محرري الاستراتيجية، ولهذا كانت مصادرهم مصادر غير أصيلة بل ومشبوهة.

ج - آثار الربانية:

ولو أنعم الإنسان المسلم النظر في آثار هذه الربانية وثمراتها في النفس والحياة لوجد أن هناك ثمرات وآثار تربوية.

فمن آثار هذه الربانية من حيث الهدف والغاية أنها: -

(١) تتحدد معرفة غاية الوجود الإنساني وأنه لم يخلق عبثا ولم يترك سدى، ولهذا كانت الغاية عند محرري الاستراتيجية تختلف اختلافا جذريا عن الغاية في التربية الإسلامية.

(٢) الاهتداء إلى الفطرة التي فطر اللّه الإنسان عليها، وهي الإيمان باللّه سبحانه وتعالى، وهي فطرة مركوزة في النفس الإنسانية، وكل شيء في الحياة يعلن ولاءه للّه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

أما الولاء عند محرري الاستراتيجية فهو ولاء للوطن وللمجتمع العربي وللقومية والديمقراطية والإخاء الإنساني فتعددت الولاءات عندهم نتيجة تعدد المشارب الثقافية.

(٣) تحفظ الإنسان المسلم من التمزق والصراع بين مختلف الغايات وتجعله يحدد غاية معينة هي إرضاء اللّه سبحانه وتعالى والبعد عن سخطه وعقوبته. (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ١٢-٢٠).

أما غايات التربية عند محرري الاستراتيجية فهي غايات محددة ومقصورة وفي الوقت نفسه غايات بشرية وقتية لا علاقة لها بإرضاء اللّه سبحانه وتعالى أو الاهتمام بأمر الآخرة.

(٤) تحرر الإنسان المسلم من عبوديته لشهواته وملذاته وتصبح حياته كلها للّه سبحانه وتعالى وإن وقعت منه زلات فسرعان ما يعود إلى ربه ويلوذ بجنابه.

د - ثمرات الربانية:

أما ثمرات الربانية من حيث المصدر والمنهج فتتمثل في:

(أ) العصمة من التناقض والتطرف لتفاوت عقول البشر واختلاف غاياتهم وخبرتهم

في الحياة فيما لو وكل إليهم تقديم منهج بشري من عند أنفسهم لوجدنا فيه اختلافا كبيرا، فهذا النقص دليل على قصور العقل البشري في هذا الميدان.

وهذا حاصل في تقرير الاستراتيجية إذ أن تعدد المصادر أدى إلى تعدد الغايات واختلافها عند محرري الاستراتيجية وتبنيهم لمبادئ هدامة من نظريات متعددة نظرا لعدم توحيد مصدر التلقي عندهم.

(ب) البراءة من التحيز والهوى.

الله سبحانه وتعالى وضع نظاما كله عدل مطلق لايحابي أحدا ولا يجامل طبقة ولا أسرة ولا قوما، أما البشر فهم معرضون للأهواء والتحيز ومعنى هذا أنه لا يسلم منهج وضعه البشر من الهوى.

وهذا شيء ملموس في تقرير الاستراتيجية؛ إذ يلمس المسلم أن محرري الاستراتيجية ينزعون إلى ثقافاتهم التي تلقوها أثناء الدراسة وكل إناء بما فيه ينضح، فمنهم من يمجد الاشتراكية، ومنهم من يمجد الديمقراطية، ومنهم من يمجد القومية العربية، ومنهم من يمجد المبدأ الإنساني، ومن هنا حصل بينهم اتفاق على هذه المبادئ لإرضاء كل واحد منهم الآخر ولقلة باعهم في الثقافة الإسلامية حصل هذا الخلط والخبط والاضطراب؛ لأنهم وكلوا إلى أنفسهم وأهوائهم ونزواتهم.

(ج) الاحترام وسهولة الانقياد:

معلوم أن المنهج الرباني يلقى قبولا واحتراما لايظفر بهما أي منهج من المناهج البشرية لاعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى وتنزهه عن كل نقص، وبالتالي تتقبله النفوس المفطورة على الخير بكل الرضا مع انشراح الصدر والسمع والطاعة.

أما إذا كان من وضع بشر فهنا يجد المرء أن له عقلا مثل هذا الذي وضع المنهج وقد يعتبر نفسه أعلى منه، وبالتالي يتعرض المنهج للنقد والتمحيص.

(د) التحرر من عبودية الإنسان للإنسان:

عند ما يعلم المرء أن المشرع هو الإنسان هنا يحاول أن يتحرر من الخضوع لغيره ويأنف أن يبقى عبدا له، لكن عند ما يعلم الإنسان المسلم أن الذي وضع المنهج هو الله سبحانه وتعالى هنا لا يسعه إلا الإذعان والتسليم والخضوع؛ لأن الذي يملك وضع

هذا المنهج هو اللّه سبحانه وتعالى وهو عبد للّه بمقتضى ربوبيته للّه تعالى. (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ٤٨-٥٥).

مما سبق يتضح للباحث أن محرري الاستراتيجية استبدلوا الذي هو أدنى "المبدأ الإنساني" بالذي هو خير "مبدأ الربانية".

وهذا يدل على أنهم غير مؤهلين لأن يكونوا في موضع القيادة والتوجيه وإلا فمقتضى هذا يجب أن يكون "مبدأ الربانية" هو أول مبدأ تقوم عليه أي خطة تربوية إسلامية مستقبلية وعدم اهتمامهم بهذا المبدأ يجعل عملهم غير مقبول على الإطلاق؛ لأنه حدث عندهم فساد في التصور وفساد التصور لا يستقيم معه عمل صحيح.

إن تأصيل التربية والتعليم لا يقتضي من الإنسان المسلم أن يتبنى آراء غيره ويهمل ما يدين به.

فتبنى أفكار واتجاهات الآخرين دون نقد أو تمحيص لها والتأكد من ملاءمتها للتربية الإسلامية وتصوراتها وقيمها يعتبر تقليدا للغير و الانحناء أمامه.

فهل يمكن من خلال المبدأ الإنساني الذي تبناه تقرير الاستراتيجية أن نغرس في نفوس الناشئة الانتماء للعقيدة الإسلامية؟

وهل هذا إصلاح للخلل الناشئ في المناهج التربوية في العالم العربي أم مسخ لها وهدم لمبادئنا الإسلامية وتشويه المفاهيم والتصورات؟

إن مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم التي بدأت خطوات المسلم الجديد نفتقدها الآن في العصر الحاضر وما زال العالم العربي يؤتي من قبل المدارس لافتقادها المرابطين من أهل الدراية والفقه التربوي. (الكيلاني، مقومات الشخصية الإسلامية، ١٤١١هـ، ص ٩).

إن الباحث لن يجانب الصواب إذا قال إن من «بديهيات النظر العقلي في مشكلة البناء أو البعث الحضاري عند أمة من الأمم أن أولى خطوات هذه العملية إنما تقوم على إبراز الشخصية الحضارية لهذه الأمة في الواقع . . . وذلك من خلال إحياء وصقل مقومات هذه الشخصية ثقافيا وفكريا . . . بعد لفظ ما شاب تلك المقومات من عوامل الهدم». (سلطان، فصول من ثقافة الصحوة، ١٤١١هـ، ص ٧٩).

إن التميز التربوي لابد أن يكون في المناهج الدراسية واضحا ومصبوغا بالصبغة

الإسلامية ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٣٨).

لتنشأ أجيال تتولى القيادة التربوية وتنتشل الأمة الإسلامية مما هي فيه من تخلف فكري وعقائدي وتقني ولن يكون هذا إلا إذا صيغت المواد الدراسية من عقيدة الأمة الإسلامية.

ولا غرابة في ذلك فقد أكد كثير من المربين المسلمين وغير المسلمين هذه الحقيقة في حياة الأمم فها هو "جون ديوي" المربي الأمريكي الذي قال قولته المشهورة -والتي نقلها "الندوي" (١٣٩٦هـ) في كتابه "نحو التربية الإسلامية الحرة" - وتنص على: «أن الأمة إنما تعيش بالتجديد وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها». (ص ٥١).

فهل الاستراتيجية سلكت هذا المسلك؟ أم أنها كانت منطلقة من النظرية الانتقائية دون الاعتماد على معايير معينة في اختيار تلك المبادئ الهدامة التي تنبتها؟ لقد خالفت العقل والمنطق في ذلك وكان لها تصوراتها المعينة التي يدين بها المحررون دون الاهتمام بأصول التربية الإسلامية الصحيحة وإعطائها أي أهمية تذكر!!.

وإن محرري الاستراتيجية اختيروا بعناية ليؤدوا دورا معينا وتوجيها مسبقا حتى ولو خالف ذلك أساسيات التربية وأهدافها وغاياتها.

الجميع يعلم أن أي أمة من الأمم لا تستطيع أن تحمل رسالتها إلا إذا كان أفرادها قد تشربوا المبادئ والقيم التي تنبثق من عقيدة يعتنقها جميع أفرادها وأن سبيل ترسيخ تلك المبادئ هو التربية التي تبلور تلك المبادئ والقيم وغيرها إلى سلوك واقعي ينشأ من قناعة الفرد بعقيدته ومبادئه وقيمه.

هـ - نماذج تطبيقية على مبدأ الربانية:

ومن هنا كانت التربية النبوية قد أوجدت جيلا سما في فهمه وارتقى في مدارج الكمال الإنساني إلى درجة لم يصل إليها من جاء بعدهم -غالبا- واستطاع هذا الجيل أن يعبر عما يعتنقه من مبادئ وقيم في عبارة موجزة وألفاظ جزلة تدل على نجاح التربية النبوية واستيلائها على النفوس وتقبل تلك النفوس لها، فها هو "ربعي بن عامر" رضي الله عنه يعتبر من مخرجات تلك التربية وهو رسول قائد المسلمين إلى

رستم قائد الفرس، وقد سأله رستم «ما الذي جاء بكم؟» هنا لم تكن إجابته عادية أو طارئة أو عابرة وكذلك السؤال لم يكن منطلقا من فراغ. لقد كانت إجابة "ربعي بن عامر" ﵁ تنبئ عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه أصحاب رسول الله ﷺ «فيجيبه ... الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ١٧٩-١٨٠).

حدد الصحابي الجليل "ربعي بن عامر" رضي الله عنه الغاية من الخلق ومصدر هذه الغاية وأن ولاءه لله سبحانه وتعالى، فلا لون ولا جنس ولا وطن تجمعهم بل رابطة العقيدة هي التي يلتف حولها مختلف الأجناس واللغات والقوميات، إذ هي أقوى الروابط على الإطلاق، وفيها تآلف الخلق في عالم الروح، فهذه هي الأصالة الحقيقية، وهي المنطلق الحقيقي لتعليم الآخرين.

إن تطوير التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي ينبغي أن يستمد من المصدرين القرآن والسنة، وأن يكون هذا التطوير محققا للغاية العليا من الخلق، فإذا تحقق هذا نشأ جيل قوي في فكره وعقله وعقيدته وخلقه وسلوكياته.

أما عندما نتبنى مبادئ غيرنا نكون بذلك قد الغينا عقولنا وعطلنا ملكاتنا وأصبحنا أسارى تحت رحمة غيرنا وبهذا نفقد كياننا وفقد كياننا يعني الذوبان والانصهار والاحتواء للفكر الغالب والاستسلام له، وقد حذر الرسول ﷺ من تقليد الآخرين والتشبه بهم بقوله: «ليس منا من تشبه بغيرنا». (الترمذي، السنن، ١٤٠٨هـ، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، ٥/ ٥٤، حديث رقم ٢٦٩٥).

إن على مخططي المناهج وراسمي السياسة التعليمية أن يبرزوا من خلال ميدان التربية والتعليم أهمية التميز التربوي الذي يجب أن يظهر في هذا الميدان بحيث تكون المواد الدراسية والمنهج الدراسي تصب كلها في إناء واحد، وتهدف إلى غاية واحدة، هي تحقيق العبودية لله تعالى. وإن هذا التميز يجعل للأمة الإسلامية فكرا متميزا أمام تخبط الآخرين وهذا التميز دليل على ارتباط الأمة بخالقها الذي يعلم ما يصلح في معادها ومعاشها وعاقبة أمرها.

وهنا يلمس المسلم أن الفرق بين من أخلد إلى الأرض والتصق بالتراب وبين آخر ارتبط بالسماء. (أبو زنط، التميز التربوي الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٨-١٣).

إن من ينعم النظر في أهمية الأسس في بناء المناهج يجد أن كل أمة ومؤسسة تعتمد «في انطلاقها ونموها ونجاحها، على سلامة الأسس والقواعد التي تقوم عليها وعلى سلامة المنهج الذي تسير عليه وعلى صدق الأهداف التي تسعى لها، ويحمل هذا كله طاقة بشرية تصب جهدها في سعيها الدائب وبذلها السخي». (النحوي، نهج الدعوة وخطة التربية، ١٤١٣هـ، ص ١٥).

إن مبدأ الربانية ليس قاصرا على العلوم الدينية بل يشمل مختلف العلوم التي يمكن تقديمها للمتعلم وتبرز من خلالها عظمة الله أو قدرته أو حكمته، وحيئذ تسير العلوم متحدة في الغاية والهدف، ولنأت بمثال يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها.

حكى الله لنا قصة ذي القرنين الذي مكن له في الأرض وعمل سدا منيعا عن طريق قطع الحديد المتوفرة في عصره فلما انتهى من عمله هذا اعترف بالفضل لله سبحانه وتعالى قائلا: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ (الكهف: ٩٨).

وفي آية المواريث اختتم الله الآية بقوله: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء: ١٢).

وفي هذه الآية يلفت الله الأنظار إلى أنه مصدر هذه الأحكام سبحانه وتعالى لتطمئن النفوس وتنشرح الصدور للاستجابة والتنفيذ.

وكذلك نوح عليه الصلاة والسلام عند ما طلب الله منه أن يصنع سفينة لتحمله ومن معه من المؤمنين امتثل لأمر الله تعالى وكان إذا استوى على الفلك يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٨).

وسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما رأى عرش بلقيس قد جيء به في فترة وجيزة عبر عن هذه النعمة بقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: ٤٠).

وفي آية يونس التي تتحدث عن الشمس والقمر اللذان هما آيتان من آيات الله لمعرفة الحساب والأعوام عقب الله بعد ذكرهما بقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. (يونس: ٥).

وهناك وسائل متعددة لغرس الربانية في النفس والحياة وأهم وسيلة وأعظمها خطرا وأبعدها أثرا هي التربية التي لابد أن تنطلق من البيت أولا ثم من المدرسة ثانيا

وتعملان على غرس هذه الربانية في عقول الناشئة وضمائرهم.

«ولا يكفي المدرسة أبدا أن تزود التلميذ بالخبرات والمهارات المادية والفنية أو بالحقائق والمعلومات عن البيئة والحياة من حوله ثم تدعه ضالا جاهلا بقضايا الوجود الكبرى التي تحيره وتلقى عليه أسئلة لا يجد لها جوابا من أين جاء؟ ومن جاء به؟ . . . والمدرسة التي لا تغرس الإيمان في النفس لا تخرج إلا أجيالا حائرة متناقضة تركب سفينة الحياة . . . بلا ربان ولا مرشد . . . لا تهتدي إلى شاطئ ولا أمل في أن تهتدى» . (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ٣٢-٣٣).

ولا نقتصر التربية على البيت والمدرسة بل لابد لوسائل الإعلام أن تحقق هذه الغاية وترعى هذه الربانية وتؤكدها إذ أن «كل مؤسسة في مجتمع الإسلام لا تستمد حق بقائها فيه إلا بمقدار ما تسهم به في الحفاظ على ربانيته التي هي أساس وجوده سواء كان هذا الإسهام مباشرة أم غير مباشرة . . . بل يأمر الإسلام بهدم كل مؤسسة لا تقوم على تقوى اللّه ورضوانه ولو اتخذت صورة المسجد الذي تؤدي فيه الصلاة ظاهرا» . (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ٣٥).

و - اهتمام الاستراتيجية بمبدأ الربانية:

وفي ختام الحديث عن "مبدأ الربانية" يحاول الباحث أن يذكر القارئ بأشياء قد تكون غائبة عنه ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

(أ) اتضح للباحث أن مبدأ الربانية مبدأ مهم للغاية؛ لأنه من خلاله تتحدد الغاية والمصدر في آن واحد، ولكن "المبدأ الإنساني" أو "مبدأ التربية للإنسانية" والذي قدمه محررو الاستراتيجية وجعلوه في رأس قائمة الأولويات باعتباره مبدءا مهما من وجهة نظرهم لا يرتقي إلى درجة يجعل الاهتمام به واردا في ذهن أي مسلم نظرا لمخاطره الذي ينطوي عليها ومن هذه المضار أنه وضع بشري ومن صنع البشر وخاصة أنه من أفكار الماسونية العالمية، كما صرح بذلك غير واحد من علماء الغرب أنفسهم، بل هو مبدأ مناقض لمبدأ الربانية تماما، ومن بقايا الفكر اليوناني ويسعى إلى غاية خطيرة، وهي القضاء على كل دين صحيح.

(ب) لمس الباحث أن محرري الاستراتيجية عجزوا عن تحديد الغاية من التربية ولهذا جاءت مغايرة لما عليه في منهج التربية الإسلامية الذي حدد الغاية في تحقيق

عبودية الله سبحانه وتعالى، وهذا التحديد يجعل الطريق واضحا ويسير فيه المسلم على هدى وبصيرة لمعرفته الغايةالتي يسعى إلى تحقيقها، أما المبدأ الإنساني فهو قائم ومنطلق من أفكار بشرية، ومصادره غير أصيلة، لهذا تعددت الغايات التي يسعى إليها تقرير الاستراتيجية، وتعدد الغايات دليل على الاضطراب الفكري واختلاف المشارب والثقافات، وعدم اتحادها واتفاقها على غاية محددة.

إن هذا الاضطراب الحاصل في التقرير يجعل الطريق غير واضح ويسير المسلم فيه إلى غايات متعددة بعيدة عن غاية التربية الاسلامية، ومن هنا سارت الاستراتيجية في متاهات لا نهاية لها ولا مفر منها، ومما يدل على ذلك أن تقرير الاستراتيجية تارة يحدد الغاية القصوى من التربية هو أن يفهم الإنسان نفسه وأهله وإخوانه الأقربين والأبعدين من بني الإنسان. (ص ١٧٩)، وتارة يرى الغاية من التربية هي إعداد المربين ليعيشوا عالمهم. (ص ١٨٣)، وأخرى يرى التقرير أن الغاية القصوى من التربية هي «خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية». (ص ٢٢٠).

وهذه الخيرية لم توضح، وبالتالي تصلح أن تنطبق على أي مجتمع على وجه الأرض إذ أن أي مجتمع ينشد الخير لبني جنسه ويسعى إلى الرفاهية والرخاء واستخدام الألفاظ العامة لا يؤدي إلى تبيان الحقيقة بل يزيد الأمور تعقيدا وغموضا واللجوء إلى استخدام العبارات العامة سمة من ليس عنده علم ومعرفة وهو من باب الإيهام للآخرين والتضليل عليهم للتغرير بالإنسان وإخفاء حقيقة ما يريدون الوصول إليه، وهكذا يظل تقرير الاستراتيجية يدور في حلقة مفرغة دون الخروج بفائدة يستفيد منها المرء في حياته، وذلك نتيجة لاستخدامه عبارات فضفاضة، ودعاوي براقة وتلاعبه بالألفاظ لا أقل ولا أكثر.

(ج) إن هذا الخبط والتخبط والاضطراب في تحديد الغاية من التربية، وفي اشتمال الاستراتيجية على مبادئ منحرفة وهدامة عائد إلى أن ثقافة المحررين ليست أصيلة وبالتالي جاء فهمهم لحقيقة المسلم وخصائصه فهما مشوشا ومضطربا ومغايرا لما عليه في التربية الإسلامية. والجهل بحقيقة الإنسان المسلم أدى إلى الإخفاق في فهم خصائصه وحقيقته وفهم الغاية من التربية وإلى مجانبة

الصواب في كثير من المبادئ المقترحة التي تبناها تقرير الاستراتيجية، فجاءت صورة إنسان المستقبل يحمل صفات متعددة منها اتصافه بأن يكون قوميا ديمقراطيا ويعلن محبته لكل البشر "الإخاء الإنساني".

(د) وإذا كان ما سبق يعتبر حقائق لا شك فيها فالمبدأ الإنساني هو مبدأ بشري لايمكن القبول به؛ لأنه يتضمن مفاسد جمة وينطوي على أهداف هدامة وأفكار منحرفة، وهذا جاء نتيجة فساد التصور عند محرري الاستراتيجية وفساد التصور ترتب عليه مفاسد أخرى انطوى عليها تقرير الاستراتيجية، وإذا حدث خطأ في التصور فما بعده تابع له، وبالتالي لا يستقيم معه عمل صحيح.

ومما يدل على فساد التصور لدى محرري الاستراتيجية وقصورهم في ذلك أن مبدأ الأولويات لم يخطر على بالهم ولم يكن مفهوما لديهم ويكفي في هذا كله أنهم لم يعتمدوا على المصادر الأصيلة في تحرير الاستراتيجية والاستعانة بأناس ليس لهم جهود تذكر في ميدان التربية الإسلامية، بل هم من ذوي تخصصات طبيعية واجتماعية وتربوية عامة.

وبما أن محرري الاستراتيجية لم يفطنوا إلى مبدأ التدرج فهم غير مؤهلين لذلك إذ أنهم جعلوا "المبدأ الإنساني" على رأس قائمة الأولويات في المبادئ التي يجب أن يتشربها الناشئة وأهملوا مبدأ العقيدة الإسلامية الذي يجب أن يكون هو الأساس والمنطلق في أي خطة تربوية إسلامية مستقبلية وفي إهمال هذا المبدأ نسف لكل ماجاءوا به من تصورات ومبادئ تتعارض مع هذا المبدأ المهم في حياة المسلم.

إن مفهوم الأولويات هو «وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير، فكانت مراحل سيرته ﷺ ترجمة لهذا الفقه ففي العهد المكي كانت المهمة محصورة في الدعوة إلى الله وتربية الجيل المؤمن . . . وكان التركيز على أصول العقيدة وترسيخ التوحيد».
(القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ١٤١١هـ، ص ٣٤).

إن مبدأ "الربانية" هو المبدأ الذي يجب أن يكون شعارا لتربية والتعليم ودثارة؛ لأنه يؤكد على حقيقتين مهمتين هما:-

الحقيقة الأولى: توحيد المتجه وهو الله سبحانه وتعالى بحيث تكون كل فكرة

وشعور وسلوك يحقق العبودية لله تعالى التي هي غاية خلق الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

والمراد من هذه الآية «رسم غاية عليا للحياة هو التوجه بكل نشاط فيها إلى الله سواء كان هذا النشاط شعيرة تعبدية أم نية أم عملا من أي نوع».

الحقيقة الثانية: توحيد الاتجاه بحيث تكون نشاطات الأفراد والجماعات والأمم محققة للعبودية لله والاتجاه إليه في مختلف أنشطة الحياة». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ٤٦-٤٨).

وإذا فهم المبدأ الرباني كما سبق ذكره فعندئذ لابد من تقرير حقيقة مؤداها أن الإسلام لا يتسامح كما يقول "سيد قطب" (١٤٠٣هـ) في كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام": «أن يتلقى المسلم أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه، ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ولا مذهب مجتمعه ولا نظام حكمه ولا منهج سياسته ولا موجبات فنه وأدبه وتعبيره . . . من مصادر غير إسلامية ولا أن يتلقى في كل هذا من غير مسلم يثق في دينه وتقواه». (ص ٢٠٣).

وإذا سعت مناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي إلى غرس هذاالمبدأ الرباني في نفوس الناشئة من خلال المواد الدراسية العلمية وغيرالعلمية التي تقدم لهم، فإنها تكون بذلك قد حققت الغاية العليا من التربية، وتكون قد تميزت عن غيرها من المناهج البشرية الوضعية وأنشأت جيلا قويا بإذن الله تعالى «ونقصد بالتميز صناعة الفرد عقائديا وفكريا وسلوكيا بحيث يتشكل في صورة مستقلة، هي الصورة الإسلامية بكل أبعادها وفق الكتاب والسنة المطهرة بالتصور الشامل للحياة في نواحيها الاجتماعية والسياسيةوالاقتصاديةوالتربوية وغيرها». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص٩١).

وخلاصة القول إن المصدر الوحيد الذي يجب على واضع المنهج التلقي عنه في مختلف أنشطة الحياة كلها هو هدي الله المتمثل في القرآن والسنة، ثم إجماع الفقهاء ثم الاجتهاد في ضوء روح الإسلام ونصوصه الثابتة وقد تحددت هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٣).

فليس وراء هدى الله إلا الضلال، وليس في غيره هدى، كما تفيده صيغة القصر في الآية.

ثانيا: مبدأ الشمول:

الإسلام جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص منفرد أمة انشئت لقيادة البشرية وتحقيق منهج اللّه في الأرض، وعلى الأمة الإسلامية إذا أرادت السؤدد والعز والشرف أن تبنى منهاج تربيتها على أساس هذه الخصائص والمقومات التي تحدد طبيعة التصور الإسلامي للألوهية والكون والحياة والإنسان وكذلك «لابد من سعي المربين المسلمين ووزارات التربية والتعليم في البلاد العربية لتبني فلسفة تربوية إسلامية يصدرون عنها في تطبيقاتهم العملية في المؤسسات التربوية في جميع المراحل التعليمية تنبثق منها أهداف مرحلية وفرعية للتربية التعليم الرسمي وغير الرسمي المدرسي والجامعي وتبني عليها عملية تطوير شاملة للمناهج التعليمية منبثقة من تراثنا الإسلامي ومسايرة لتطور العصر ومنهجه العلمي» . (فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، . . ١٤٠هـ، ص ٩٩).

أ - استيعاب مبدأ الشمول لجوانب الحياة كلها:

عند النظر في مبدأ الشمول يجد المسلم أنه يستوعب الزمن كله والحياة كلها وكيان الإنسان كله.

يتجلى هذا الشمول في العقيدة والتصور وفي العبادة والتقرب وفي الأخلاق والفضائل وفي التشريع والتنظيم.

أما شمول العقيدة فهي تتمثل في أنها تجيب عن الأسئلة الكبرى التي لا تزال تشغل الفكر الإنساني وغيره من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟.

معتمدة في جوابها على الاقناع العقلي مع الاهتمام بالجانب الروحي وتعتمد على القلب والعقل معا باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة.

وأما شمول العبادة فهي تستوعب الكيان البشري كله وتتسع للحياة كلها وتشمل كل حركة وكل عمل ترتقي به الحياة ويسعد به الناس.

أما شمول الأخلاق فيتجلى ذلك أنها تسع الحياة كلها بكل جوانبها وكافة مجالاتها فنظم الإسلام علاقة العبد بربه وبأسرته وإخوانه وأرحامه ومجتمعه وبالكون الكبير وبالحيوان والطير، وبهذا الشمول تتجلى شمول الأخلاق الإسلامية من حيث موضوعها ومحتواها وهو عائد إلى أن مصدرها رباني.

أما شمول التشريع وإن كان كل ما سبق ذكره تشريعا فهو يشمل الفرد في تعبده

وصلته بربه وفي سلوكه الخاص والعام وما يتعلق بأحوال الأسرة وبكل جوانب الحياة ولا غرو في ذلك، فهو تشريع رباني لايقدر عليه إلا رب البشر وخالق الكون. (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٥-١٢٣).

ب - جوانب الشمول في حياة المسلم.

إن الشمول يؤكد على أن رسالة الإسلام لم تكن «لإرادة فرد أو إرادة أسرة أو إرادة طبقة أو إرادة حزب أو إرادة شعب» أو إرادة منظمة «وإنما جاء نتيجة لإرادة اللّه الذي أراد به الهدى والنور والبيان والبشرى». (القرضاوي، ١٤٠٥هـ، ص ٣٦).

إن رسالة الإسلام ومنهج التربية الإسلامية شامل لكل زمان ومكان وجيل حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها.

١- الانفتاح على الثقافات الوافدة:

وفي مجال اتسام التربية الإسلامية بالشمول يلمس الإنسان المسلم أنها تدعو المتعلم المسلم إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى ليأخذ منها ما يفيده وأمته، ويلفظ مايخالف دينه وعقيدته يقول "النقيب" (١٤٠٤هـ) في هذا الصدد عن شمول التربية الإسلامية: «إنها تربية تقوم على الانفتاح والأصالة والانفتاح مرادف للحرية؛ إذ هو نتيجة من نتائجها، وبهذا الانفتاح احتضن الإسلام كل العلوم التي ورثها عن الحضارات القديمة وعلمها لأبنائه في الكتاتيب والمساجد ودور الحكمة وغيرها من معاهد العلم التي أنشئت في ظله، كما احتضنت تلك التربية كل قادر على العطاء ووفرت له الفرصة لأن يعطي ما عنده من علم . . . ولكن المسلمين عندما فتحوا معاهدهم لتلك الحضارات الأجنبية لم يكونوا مجرد متلقين . . . منها بل إنهم صبغوا تلك العلوم صبغة إسلامية وأخضعوها للروح الإسلامي ومن ثم صارت هذه العلوم في النهاية علوما إسلامية تشكل جزءا لا يتجزأ من حضارة إسلامية متميزة». (بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الأول، ص ١٧).

إن الدين الإسلامي يسعى إلى توسيع آفاق المتعلم الفكرية عن طريق تعدد مشاربه الصافية التي تتميز بالبعد عن الشوائب المضللة يقول "الجندي" (١٤١٤هـ) في دفع ما قد يتوهمه بعض ضعاف النفوس حول الاستفادة من الأمم الأخرى: «إن الدعوة إلى الإسلام لا تعني الانغلاق الفكري كما يتوهم خصومها فهي ليست معادية

للمنهج التجريبي أساسا بل تضعه في موضعه الصحيح من حيث إنه وسيلة تعين على الفهم توطئة للتحليل والتفسير ووصولا إلى الإصلاح ، ومن هنا كانت دعوة الفكر الإسلامي إلى الأسلمة : أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وهي دعوة إلى التحرر من التبعية الفكرية الأجنبية لتحل محلها دعائم قوية ذات جذور ضاربة في أعماق ثقافتنا» . (تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدمه وقيمه الأساسية ، ص ٥٠٩) .

٢ - التأكيد على أن العلوم النافعة هي علوم دينية :

ومن شمول منهج التربية الإسلامية أنه : يضيق الثغرة القائمة بين العلوم الدينية والدنيوية ويجعل منهما وحدة متجانسة .

يؤكد هذا المعنى "أبو الأعلى المودودي" (١٤٠٢هـ) في كتابه "المنهج الجديد للتربية والتعليم" بأنه ليس هناك في الإسلام علوم للدين وعلوم للدنيا ؛ لأن هذا يفضي بأجيال الأمة إلى الاعتقاد بأن الدين شيء والحياة شيء آخر ، وأن كلا منهما يسير في مجرى لا صلة له بالآخر ويصبح التوفيق بينهما لإخراج الجماعة المؤمنة التي يريدها القرآن الكريم أمرا صعبا للغاية بالنسبة لأجيال هذه الأمة . (ص ٢٧) .

ويلقى مزيدا من الإيضاح عن هذه النقطة فيقول : «إننا بتعليمنا التاريخ . . . والفيزياء . . . وعلم طبقات الأرض . . . وسائر العلوم الحديثة الأخرى بطريقة ليس للّه فيها أثر أو نصيب فلن نتوقع أن تبدو في حياة الناس أية علاقات تدل على احترامهم لشرائع اللّه أو إذعانهم لمشيئته» . (ص ٢٣) .

وتصبح «مجموعة العلوم التي تصب في عقلية الطالب الحديث خليقة -والحالة هذه- أن تخلق في ذهنه تصورا للحياة خاليا من كل أثر للعقيدة الإلهية فيها . . . فليس من الغرابة في شيء بعد ذلك أن يسلك في حياته العملية مسالك ليس للدين فيها نصيب . . . وكيف يستطيع التوفيق بين العلوم الحديثة التي تعلمها وبين ما يقدمه الدين من نظريات عن الكون والحياة ومهما يكن إيمانه باللّه قويا واحتماله بعقيدته راسخا لا يتزعزع فإن الدين يظل في معزل عن حياته لا يؤثر فيها ولا يهيمن عليها كما ينبغي» . (ص ٢٤) .

وهذا يعني أن منهج التربية الإسلامية يوجه اهتمامه بكل العلوم إلى جانب تعلم

العلوم الدينية وأن تقسيم العلوم إلى دينية ودنيوية فكرة غربية مستحدثة تتعارض تعارضا مع الإسلام الحنيف وأن الخلل الطارئ لم يحدث إلا في عصور الضعف، وفي هذا يقول "عبد الغني عبود" (١٣٩٧هـ) في كتابه "في التربية الإسلامية" : «يدلنا تاريخ التربية الإسلامية الطويل على أن التوازن بين علوم الدين والدنيا كان موجودا في عصور القوة والازدهار الإسلاميين وإن هذا التوازن لم يختل إلا في عصور الضعف التي لاتحسب على الإسلام، وإنما يمكن حسابها على التخلي عنه، ومع هذا التوازن بين علوم الدين وعلوم الدنيا في منهج التعليم في الإسلام كان هناك تركيز على بعض العلوم دون بعضها الآخر حسب مرحلة النمو وحسب مرحلة التعليم وحسب التخصص الضيق في مراحل التعليم العليا في المساجد ودور الحكمة والجامعات فيمابعد» . (ص ١١٨).

٣- اهتمامه بمختلف فئات المجتمع دون تمييز أو تفرقة بينهم:

والتربية الإسلامية تفسح المجال أمام مختلف فئات المجتمع وتتيح الفرص التعليمية لكافة أبناء المسلمين دون تمييز أو تفرقة بينهم من حيث اللون أو الجنس أو اللغة أو الأرض فالكل سواسية في هذا الميدان فقيرهم وغنيهم كل حسب قدراته واستعداداته، ومما يؤيد هذا أن اللّه سبحانه وتعالى عاتب نبيه محمدا ﷺ عند ما اهتم بصناديد قريش وعبس في وجه "عبد اللّه ابن أم مكتوم"، هنا نزل الوحي الإلهي معلنا المساواة بين المتعلمين من حيث الاهتمام والتوجيه والتربية والتعليم بل إن القرآن الكريم رفع من شأن الفقراء ووجه الرسول ﷺ إلى العناية بهم يقول تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨). وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام: ٥٢).

فشمول المنهج الإسلامي يتسع لقبول مختلف فئات المجتمع دون تمايز أو تفاضل بينهم.

وفي هذا المجال يجد المسلم أن التربية الإسلامية أتاحت الفرصة التعليمية لكل أبناء المسلمين ذكورا وإناثا فقراء وأغنياء كل حسب قدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم وكانت بذلك سابقة لكل التربيات القديمة والحديثة «إن التربية الإسلامية قد اتبعت أسلوبا يحقق المساواة وتكافؤ الفرص بين الناس . . . لا فرق بين غني وفقير ولا فضل لأسود على أبيض أو عنصر على عنصر . . . فكل فرد بقدر اجتهاده وكل فرد بقدر

ذكائه يمكنه أن يحصل من أنواع العلوم ما يشاء . . . وقد نجد العالم عربيا وقد نجده فارسيا . . . وقد نجده من الطبقة الفقيرة، وقد نجده من طبقة الأثرياء، وتلك ميزة تستحق منا نوعا من التوقف والتأمل» . (النقيب، بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الأول، ١٤٠٤هـ، ص١٦).

والناظر بعين البصيرة والعقل يجد أن التربية الإسلامية تدعو إلى تقرير مبدأ العدالة والمساواة بين الناس فقيرهم وغنيهم، وكان الاهتمام بهذا المبدأ «دون اعتبار للفارق الطبقي أو العرقي من أول القيم التي واجه بها رسول اللّه ﷺ مجتمع الجاهلية فعند ما عرض زعماء قريش على النبي الكريم أن يطرد من مجلسه ضعفاء المسلمين أمثال: "بلال" و"صهيب" و"خباب" و"عمار" نزل القرآن الكريم يقرر مبدأ المساواة بين الناس شريفهم وضعيفهم وغنيهم وفقيرهم ومبدأ العدل في تكافؤ الفرص في التعليم والانتفاع بمجالس الذكر الحكيم» . (الكيلاني، موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٤).

وذلك من أجل تحقيق مبدأ المساواة والعدالة في تكافؤ الفرص التعليمية . وفي حياة الرعيل الأول لهذه الأمة تطبيقات أكدت أهمية بل وضرورة تكافؤ الفرص التعليمية لكل أبناء المسلمين، حيث انطلق الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين في الأرض «يبلغون رسالات اللّه وينشرون دينه ويعلون كلمته فدخل الناس في دين اللّه أفواجا وتفقه الداخلون فيه حتى نالوا أكبر المناصب وأعلى المراتب وكان بعضهم من الموالي الذين تسنموا مكان الصدارة في التعليم والتوجيه والإرشاد، وذلك بفضل اللّه تعالى ثم بفضل تحقيق المساواة للمسلمين في طلب العلم دون تمييز أو تفريق حتى إن "عطاء ابن أبي رباح" كان له السيادة في أهل مكة و "طاوس بن كيسان" له السيادة في اليمن و"يزيد بن حبيب" يسود أهل مصر و"مكحول" يسود أهل الشام وأهل الجزيرة "ميمون بن مهران" يسودهم وأهل خراسان يسودهم "الضحاك بن مزاحم" وأهل البصرة "الحسن البصري" و "إبراهيم النخعي" يسود أهل الكوفة كلهم من الموالي إلا "إبراهيم النخعي" فهو من العرب . وقال "الزهري" : راوي هذه القصة عند ما دخل على "عبد الملك بن مروان" وسأله هذه الأسئلة إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط» . (العبود، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص٣٥٦-٣٥٧).

٤ - إعداده للإنسان المسلم للدنيا والآخرة:

ومن شمول المنهج في التربية الاسلامية أنه يهتم بإعداد الإنسان المسلم للجانب الدنيوي والأخري معا ويحاول أن يلي احتياجات المجتمع ومتطلباته من مهن وأعمال بحيث لا يحدث انفصام بين الإعداد للدنيا والإعداد للآخرة، وهذا الإعداد يتم من خلال تكامل العلوم الدينية والعقلية في سبيل ترقية الإنسان المسلم.

٥- اهتمامه بالجسم والروح معا:

ومن شمول منهج التربية الإسلامية أنه يهتم بالجانب الجسمي والروحي معا بحيث يكون المنهج الدراسي منصبا على غرس الإيمان في نفوس الناشئة فقد كان «الفهم الإسلامي للتربية أنها الإعداد الروحي والنفسي للفرد بحيث يكون مؤهلا لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجه فيأخذ ما هو أساس وبناء . . . من حيث البناء والعمل والسعي إلى آفاق التقدم». (الجندي، التربية الإسلامية وبناء الأجيال، ١٩٧٥م، ص١٥٣).

إن الإسلام جاء «يربي الإنسان خليفة اللّه في الأرض يربيه قلبا وروحا ويربيه جسدا وعقلا ويربيه أخلاقا وسلوكا ويرتفع به إلى الأفق الأعلى . . . آخذا بيده حتى يحيله في النهاية صورة حية من تصورات الإسلام للإنسان الكامل». (عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، ١٤٠١هـ، ص ١٣).

وتلك نتيجة حتمية لتكامل الجانب الروحي والجسمي لدى المتعلم الذي تسعى التربية الإسلامية إلى إيجاده يقول "بريفولت" في هذا الصدد: «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الغربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة ومماييز المنهج الإسلامي أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك فإنه لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي نراها في العالم الغربي». (القاضي، المفاهيم الأساسية في التربية الإسلامية، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، ٢/ ٥٤٦-٥٤٧).

وهذا يدل بكل تأكيد على أن المنهج الإسلامي وحدة لاتنفصم «يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة - بدون تعارض بينهما - بل في ترابط وتداخل يعز فصله؛ لأنه حزمة واحدة في طبيعة هذا الدين؛ ولأن فصله هو تمزيق وإفساد لهذا الدين». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ١٠٩).

واهتمام التربية الإسلامية بالجانب الروحي والجسمي للمتعلم هو الذي ساعد على استغلال الطاقات والأطر البشرية المدربة، فالإسلام بشموليته «يتوصل إلى استغلال كل طاقات الإنسان بل يصل إلى الحد الأقصى لهذه الطاقات؛ ولذلك فإن استثمار الإسلام في عهده الأول للعدد القليل من المسلمين وقدرته على الوصول والاستفادة من الحد الأقصى لطاقاتهم صنع الأعاجيب في عالم الأرض وأمام جحافل الغثاء من البشر الذين لم تستطع مناهجهم أن تستثمر طاقاتهم الفطرية المكنونة.

فالكائن البشري هو الكائن البشري، ولكن النتيجة متباينة ومختلفة بين منهج الإسلام ومنهج الناس» (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ٨٩).

٦ - الجانب العقدي هو القاسم المشترك لكل فئات المجتمع الإسلامي:

ومن تصورات الإسلام للإنسان الكامل أنه يربيه على أن إخوة العقيدة الإسلامية تعلو على إخوة النسب والدم واللون والأرض واللغة وغيرها من المعايير الأرضية البشرية، وذلك من أجل أن يعلو بنفسه على التفرقة العنصرية أو العصبية القبلية.

من المعلوم أن التربية الإسلامية تربية عالمية نسبة إلى رب العالمين وعالمية التربية تتسع حتى تشمل علاقة الإنسان بالكون كله، وعلى هذا فالتربية الإسلامية ليست تربية قومية ولا طائفية، ذلك أن واضع أسس هذه التربية عند ما بلغ رسالة ربه «لم يشأ أن يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب التي أكلتها الثارات ومزقتها النزاعات وتوجيهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الأمبراطوريات المستعمرة الرومان في الشمال والفرس في الجنوب وإعلاء راية العربية والعروبة وإنشاء وحدة قومية في كل أرجاء الجزيرة». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص٢٧-٢٨).

إن اللّه سبحانه وتعالى لم يوجه رسوله محمدا ﷺ «هذا التوجه إنما وجهه إلى أن يصدع بـ" لا إله إلا اللّه" . (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص٢٨).

وهذا يعني أن الطريق مرسوم لا يقصد منه «أن تخلص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي إلى يد طاغوت عربي فالطاغوت كله طاغوت إن الأرض للّه ويجب أن تخلص للّه . . . لأن السلطان للّه ولأن الجنسية التي يريدها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة التي يتساوى فيها العربي والروماني والفارسي وسائر

الأجناس والألوان تحت راية اللّه» (قطب، معالم في الطريق، ص ٢٨).

«إن هذا الدين ليس إعلانا لتحرير الإنسان العربي! وليس رسالة خاصة بالعرب! . . . إن موضوعه هو "الإنسان" نوع "الإنسان" ومجاله هو "الأرض" كل "الأرض" إن اللّه -سبحانه- ليس ربا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم إن اللّه هو "رب العالمين" وهذا الدين يريد أن يرد "العالمين" إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغيره» . (قطب، معالم في الطريق، ص ٦٩).

إن الروابط القومية التي أكدت عليها الاستراتيجية مثل القوم والأرض واللون واللغة لا تمثل الخصائص العليا للإنسان، فالإنسان يبقى إنسانا بعد الجنس واللون والأرض والقوم ولكنه لا يبقى إنسانا بعد الروح، ثم هو يملك أن يغير عقيدته بمحض إراداته وتصوره وفكره ومنهج حياته ولكنه لا يملك أن يغير لونه ولا جنسه ولا يحدد مولده في قوم ولا في أرض.

«فالمجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتي هو المجتمع المتحضر . . . أما المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إراداتهم الإنسانية فهو المجتمع المتخلف» . (قطب، معالم في الطريق، ص ١٢٠).

لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق «العربي والفارسي . . . والافريقي إلى أخر الأقوام والأجناس . . . ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوما ما عربية إنما كانت دائما إسلامية ولم تكن يوما ما قومية إنما كانت دائما عقيدية» . (قطب، معالم في الطريق، ص ٥٩).

إن المجتمع الإسلامي وحده هو المجتمع الذي «تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الأساسية والذي تعتبر فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود . . . والعربي . . . والفارسي . . . وسائر أجناس الأرض في أمة واحدة ربها اللّه وعبوديتها له وحده والأكرم فيها هو الأتقى والكل فيها أنداد يلتقون على أمر شرعه اللّه لهم ولم يشرعه أحد من العباد» . (قطب، معالم في الطريق، ص ١٢٠).

وما دام أن العقيدة الإسلامية هي جنسية المسلم فإنه لا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في اللّه فتصل الوشيجة بينه وبين أهله في اللّه وعلى أساس هذه العقيدة طرد الإسلام "أبا لهب" عم الرسول العربي القرشي الهاشمي من الجنسية

الإسلامية بل يعتبر سبه عبادة وشتمه صلاة وقربة. (الطنطاوي، سووا صفوفكم، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩، في ١٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ، ص ١٠).

وعلى أساس العقيدة أيضا فرق الإسلام بين نوح ولوط وامرأتيهما. (التحريم: ١٠).

وعلى العكس من ذلك يجد المسلم أن امرأة فرعون كانت في أعلى عليين لإيمانها بربها فوشائج اللحم والدم والأرض والطين كالجنس واللون والقومية وشائج لا تقدم ولاتقرب المسلم من خالقه، فالإسلام يربأ بالمسلم أن يكون من أصحابها بل يعلو بنفسه عنها، ولهذا كان منهج التربية الإسلامية أول ما يهتم به هو التركيز على الجانب العقدي، وغرسه في نفوس الناشئة وفي هذا الشأن، يقول "النقيب" (١٤٠٤هـ):

«لعل أهم ما يميز التعليم الإسلامي بصفة عامة هو اختلاف هدفه عن غيره من النظم التربوية فإذا كانت النظم التعليمية تتفق على هدف واحد هو إعداد المواطن الصالح، وإذا كان لكل أمة ولكل مذهب فلسفي تحديده لما هو المواطن الصالح؟ فإن هدف التعليم الإسلامي يتجاوز حدود المواطنة ليعد الإنسان الصالح الذي تعتبر المواطنة بكل متطلباتها مجرد بعد من أبعاده».

إن التربية الإسلامية تستهدف أولا غرس البعد العقائدي لدى الفرد، وهذا البعد العقائدي هو الأساس الذي ستبنى عليه التربية الإسلامية فيما بعد الأبعاد الأخرى من عبادات وأخلاق . . . والذين لايدركون مقدار أثر هذا البعد العقائدي على التربية يخطئون أحيانا وهم يظنون أن الهدف من التعليم الابتدائي في الإسلام كان هدفا دينيا بحتا ولا علاقة له بالدنيا وعمارتها». (بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الثاني، ص٣٣-٣٤).

وهذا يحتاج من أرباب الفكر ومن القيادات التربوية وغيرها الاهتمام بإعداد المتعلم إعدادا عقائديا يؤهله لأن يستفيد من طاقاته ومواهبه ومن الفرص المتاحة أمامه من التراث الضخم الذي انحدر إلينا من سلف هذه الأمة.

ج - واقع مبدأ الشمول في المجتمع المسلم:

إن ما يعانيه العالم العربي والإسلامي من تخلف وتضعضع يتمثل في أنه لم يتمكن من «إعداد إنسان الحضارة الإسلامية الذي يكون في مستوى العمل بالقرآن

الكريم والسنة النبوية الصحيحة ذلكم الإنسان الذي يجسد توظيف تراثه الثقافي وثرواته الطبيعية التي تزخر بها بلاده توظيفا حضاريا وتقنيا انطلاقا من إعادة الاعتبار للإنسان دينه وعقله وضميره وإرادته وحريته في اعتدال وتوازن بين مختلف حاجاته المادية والروحية» . (مدني، مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، ١٤٠٩هـ، ص ١٣٤).

وإذا نظر المسلم إلى واقع العالم العربي والإسلامي اليوم لوجدنا تخلفا مخيفا في كثير من المجالات بسبب ابتعاده عن توجيهات التربية الإسلامية وتعاليمها، وهذا هو الذي دفع "عباسي مدني" (١٤١٠هـ) إلى تشخيص هذا الواقع بقوله : «إن المشكلة الرئيسية التي يعانيها التعليم في عالمنا العربي والإسلامي، كما هو واضح تتمثل في أن عناصر العملية التعليمية قد ابتعدت كثيرا عن التوجيه الإسلامي وأن السياسات التربوية المطبقة حاليا لا تتفيأ تربية إنسان القرآن والسنة الذي يتجاوز الامتيازات العرقية والقومية إلى شمولية رسالة الإسلام التاريخية» . (النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد العربية، ص ١٣٨).

إن عدم فهم شمولية رسالة الإسلام أدى إلى تفاقم أزمة التربية في العالم العربي والإسلامي وإلى عجز المؤسسات التربوية الإسلامية التقليدية عن إيجاد الشخصية المسلمة التي تستطيع مواجهة الواقع وتحدياته وسبب ذلك «استبعاد التربية الإسلامية عن التطبيق الكامل في نظمنا التربوية الحالية التي استعير معظمها من وراء البحار وحتى مؤسسات التربية الإسلامية التقليدية التي ماتزال موجودة حتى الآن كالأزهر والزيتونة والقرويين فرض عليها أن تعترف بالنظم التربوية الغربية ومناهجها وأساليبها على حساب روح التربية الإسلامية وأصولها العامة .

لقد اتهمت تلك المؤسسات التربوية التقليدية بالجمود والعجز عن مواجهة الواقع وبدلا من محاولة تطويرها مع الاحتفاظ الكامل بروحها وأصالتها الإسلامية، فقد فقدت تلك المؤسسات في الغالب الكثير من روحها وتقاليدها الإسلامية العريقة بدعوى التطوير والتحديث لمواجهة قضايا العصر والواقع أن الهدف لم يكن قط معالجة الأوضاع التربوية المتردية لتلك المؤسسات بقدر ما كان فرض النظم التربوية الغربية وسيادتها داخل تلك المؤسسات» . (النقيب، التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، ١٤١١هـ، ص ٢٥٥).

وانطلاقا من العقيدة الإسلامية التي هي جنسية المسلم يجب أن تبنى المناهج الدراسية في العالم العربي والإسلامي وأن تقوم الآراء الوافدة وتمنع نشر أي فكر أو تصور يخالف مبادئ العقيدة الإسلامية؛ لأن حماية العقيدة الإسلامية من أوجب الواجبات، ومن الضرورات التي يجب أن تقوم بها أي دولة إسلامية وأن تبرز هذه المناهج الدراسية محاسن العقيدة الإسلامية التي تعلو على العنصرية والقومية والإقليمية، ولا يتأتي هذا إلا أن تصاغ كافة مناهج المواد الدراسية في كل المراحل التعليمية صياغة إسلامية صحيحة وفق المنهج الرباني لا وفق المنهج القومي أو الديمقراطي أو الإنساني الذي تنبته الاستراتيجية.

إن إخراج الإنسان المسلم العابد الصالح الذي يحقق المنهج الرباني في واقع الأرض لايمكن إنشاؤه انطلاقا من المفاهيم الضيقة القومية والإقليمية بل إن ذلك يوجد ناشئة متنافرة كل واحدة تتعصب لوطنها وبني جنسها، وهذا هو ما تسعى إليه " استراتيجية تطوير التربية العربية " .

وإذا سادت النظرة القومية والإقليمية الضيقة في إعداد المواطن فإن هذا يؤدي إلى كره كل واحد منهم للآخر حتى أنه يكره أخاه في الإسلام، وهذا الذي تسعى إليه الاستراتيجية لا يتطابق مع الهدف العام في التربية الإسلامية الذي يتمثل في تنشئة الإنسان المسلم الصالح العابد الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الأرض وفق الشريعة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وإيجاد الإنسان المسلم الصالح يجب أن يكون المحتوى الدراسي مشتملا على ما يحقق هذه الأهداف العليا والغاية النبيلة بحيث يؤكد المحتوى على جانب العقيدة الإسلامية وعلى أهمية الأخوة في الله سبحانه وتعالى؛ لأن العقيدة الإسلامية تعلو على أي نسب أو دم أو أرض أو لغة أو لون أو أرض.

وإذا سعى المحتوى الدراسي إلى غرس الجانب الإيماني في نفوس الناشئة من خلال مختلف العلوم فإنه يعتبر خير ضمان لمواجهة التحديات الوافدة من الشرق والغرب والتي تحاول زعزعة العقيدة في نفوس الناشئة وإحداث البلبلة في فكرها وزرع العداوة والبغضاء بين أبنائها لتمزيق الصف الإسلامي وجعله يعيش في متاهات

فكرية وضياع الهوية الإسلامية وتفتيت شعوبه.

وإذا كانت الأهداف التربوية الإسلامية قد تحققت وكان المحتوى ساعيا إلى ترسيخها في نفوس الناشئة، فإن المدرسة حينئذ ستقوم بأداء وظيفتها خير قيام لوضوح الهدف والغاية التي تسعى إلى تحقيقها، ولن يتحقق هذا أيضا إلا بشرط أن يكون المدرسون أنفسهم هم قدوة للمتعلمين ولديهم رسوخ في الهدف والغاية والمبادئ والقيم والمفاهيم التي تكون مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى يمارسوا حقيقة الإسلام.

وإذا لم يتوفر وضوح الغاية والهدف والمحتوى الدراسي ورسوخ المعلمين في فهم ذلك والمدرسة الإسلامية التي من خلالها يتحقق هذا كله فإنه يصعب إنشاء جيل مسلم والحالة هكذا.

إن المدرسة الإسلامية باختصار هي «معمل التفريخ الذي ينشئ الأجيال المسلمة أجيال تعرف دينها وتحبه وتعمل به تعرف سعته وشموله وتكامله وتعيشه وتمارسه في عالم الواقع . . . تربيتها وتعليمها وجدها ولعبها مستمدة كلها من روح الإسلام وتوجيهاته.

الشخصية الإسلامية هي طابعها المميز وهي النموذج التي تسعى إلى تكثيره وتعميمه». (قطب، منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ٢/ ١٧٤، ١٧٩).

إن العلوم التي دونها الغرب قد سرى فيها الإلحاد والجمود والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط، وتسرب إلى العالم العربي والإسلامي مثل هذه العلوم في الميدان التربوي وإذا لم تصغ صياغة إسلامية فإنها تعتبر فتنة لشباب العالم الإسلامي، وقد فتنتهم وأحدثت فيهم جراحا لا تلتئم ونزيفا لا يتوقف فالفوضى الفكرية والاضطراب والتناقض في الموارد والأفكار والآراء واضح للعيان.

د - واقع مبدأ الشمول في الاستراتيجية:

الاستراتيجية تريد أن تنشئ جيلا قوميا ديمقراطيا متصفا بالإخاء الإنساني، وهذه المبادئ تؤثر في نفوس الناشئة تأثيرا بالغا وتخرب ملكاتهم وتحطم معتقداتهم، وهي نتيجة طبيعية تدل بكل تأكيد على أن محرري الاستراتيجية حرموا من المصادر الأصيلة التي تنير لهم دروب الحياة وتهدي للتي هي أقوم.

وبما أن محرري الاستراتيجية حرموا من المصادر الأصيلة في بناء الاستراتيجية فإن هذا الوضع يؤكد أن البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب لا يخلو كتاب من كتبه من روح الدين والإيمان.

وإذا كان المحتوى الدراسي مشتملا على هذه المعايير وطبقت البلدان الإسلامية هذه المفاهيم والمبادئ المستمدة من التربية الإسلامية فإنها حينئذ ستوجد جيلا متآخيا متحابا في اللّه وتغرس في نفسه الطمأنينة وحب الآخرين بدلا من الكراهية والحقد الذي تفرزه هذه القوميات الضيقة التي نفر منها الإسلام واعتبرها نعرة جاهلية وعائقا من عوائق إتاحة الفرصة لكافة أبناء المسلمين والتي تبنتها الاستراتيجية.

إن الاقتباسات الفكرية من الحضارات الأخرى دون تمحيص لها ليعتبر تبعية فكرية وتقليدا أعمى وما هو موجود في الاستراتيجية هو من هذا القبيل.

إننا في منهج التربية الإسلامية يجب أن تكون لنا تصورات خاصة بنا فنحن أمة الإسلام نملك «تصورا تربويا متميزا وفريدا من نوعه في العالم» وأي أمة «ترغب عنه لتأخذ ما هو أدنى منه تعتبر أمة ساذجة إذ تستبدل الذي هو أدنى بالذي خير».

(جنزرلي، الأسس التربوية للمناهج التعليمية، ١٤١٠هـ، ص ١٥).

وهكذا يرى المسلم أن أهداف "استراتيجية تطوير التربية العربية" أهداف ضيقة وقومية وطنية.

أما الإسلام «فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة ولا يسعى لإعداد المواطن الصالح، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو إعداد الإنسان الصالح ... الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان، وذلك معنى أشمل ولا شك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين».

(قطب، منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ١/ ١٣).

إن ما تبنته الاستراتيجية من تمجيد للقومية العربية لدليل على إفلاس محرريها في الجانب الفكري، وأن بضاعتهم مزجاة، وما القومية العربية التي دعوا إليها إلا مبدأ هدام لأمرين:

(١) إن الحركة القومية هي اتجاه عنصري لا يملك مضمونا حضاريا إنسانيا.

(٢) إن فكرة الأمة العربية هي مجرد خدعة كبرى دلفت إلى العقل العربي الحديث من

خلال البث الغربي الخبيث لتفتيت جسد "الأمة الإسلامية" بمعنى أن مفهوم الأمة "الأمة العربية" «يحمل قسمات ومعالم حضارية إنسانية متميزة تفرض على البشرية قبول وجوده الإنساني التاريخي ككيان منفرد». (سلطان، الإسلام ومأزق الفكر القومي، ١٤١٠هـ، ٤٥-٤٦).

ويوضح "جمال سلطان" (١٤١٠هـ) في كتابه "الإسلام ومأزق الفكر القومي" إفلاس القومية العربية قائلا: «إن للعرب فضيلة السبق والإمامة في جهاد الأمة ولا يجحد ذلك فيهم إلا مكابر لكن فضل العرب لا يصح ولا يجوز أن يذهب بفضل شعوب الإسلام الأخرى التي اسهمت جميعا بقسط وافر في صرح الحضارة الإسلامية بل بعضهم كان له الفضل على بلاد العرب نفسها بانقاذها من مؤامرات الأعداء الأجانب». (ص ٨٦).

إن مبدأ الشمول يحتضن أجناسا مختلفة لغة، لونا، جنسا، وأرضا، وقوما، فلا الأرض ولا الجنس ولا النسب ولا القبيلة ولا العشيرة تمثل خصائص الإنسان العليا، فهي أشياء خارجة عن إرادة المسلم لكن الحقيقة التي استعلى بها الإسلام عن غيره هو إطلاق البشر من اللصوق بهذه الأشياء والتطلع إلى آفاق السماء وجعل العقيدة الإسلامية هي التي تمثل الجانب الأعلى من الإنسان والتي كان الإخاء فيها في عالم الذرة وما الاختلاف في اللغات والألوان إلا للتعارف لا للتناكر فوطن المسلم «الذي يحن إليه ويدفع عنه ليس قطعة أرض، وجنسية المسلم التي يعرف بها ليست جنسية حكم، وعشيرة المسلم التي يأوى إليها ويدفع عنها ليست قرابة دم، وراية المسلم التي يعتز بها ويستشهد تحتها ليست راية قوم، وانتصار المسلم الذي يهفو إليه ويشكر الله عليه ليس غلبة جيش . . . إنه النصر تحت راية العقيدة دون سائر الرايات». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٥٨).

وهذا يعني أن «كل أرض تحارب المسلم في عقيدته وتصده عن دينه وتعطل عمل شريعته فهي دار حرب ولوكان فيها أهله وعشيرته وقومه وماله وتجارته، وكل أرض تقوم فيها عقيدته وتعمل فيها شريعته فهي دار إسلام ولو لم يكن له فيها أهل ولا عشيرة ولا قوم ولا تجارة. الوطن دار تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله هذا هو معنى الوطن اللائق بالإنسان والجنسية عقيدة ومنهاج حياة وهذه هي الآصرة اللائقة بالآدمين». (قطب، معالم في الطريق، ص ١٥٩).

هذا هو التصور الرفيع للدار والجنسية والقرابة هو الذي ينبغي أن يسيطر على مختلف المناهج في العالم العربي والإسلامي وتغرسه في نفوس الناشئة لتبقى النفوس سليمة تقية والقلوب صافية والأرواح متآلفة .

الشمول في مفهوم الإسلام أن يدرس المسلم العلوم كلها كل حسب ميوله واستعداداته وقدراته بحيث تكون التخصصات وحدة منسجمة مترابطة ومعرفة موحدة الانطلاق هدفها إيجاد الإنسان الصالح القادر على بناء المجتمع الصالح والوقوف في وجه الباطل، «فالعلم ليس مقصورا على علم العقيدة والفرائض الدينية والشرائع» . (قطب، معالم في الطريق، ص ١٤٧).

بل يشمل « كل شيء ويتعلق بالقوانين الطبيعية وتسخيرها في خلافة الأرض تعلقه بالعقيدة والفرائض والشرائع، ولكن العلم الذي ينقطع عن قاعدته الإيمانية ليس هو العلم الذي يعنيه القرآن و يثني على أهله .

إن هناك ارتباطا بين القاعدة الإيمانية وعلم الفلك وعلم الأحياء . . . وعلم الكيمياء وعلم طبقات الأرض . . . . إنها كلها تؤدي إلى اللّه حين لا يستخدمها الهوى المنحرف للابتعاد عن اللّه» . (قطب، معالم في الطريق، ص ١٤٧).

وهذا يؤكد على أن المتعلم لابد أن يتلقى منهاجا تربويا شاملا سليما صحيحا؛ لأنه يريد أن يكمل نفسه بالعلوم سواء كانت شرعية أم اجتماعية أم طبيعية مدركا أن تلك العلوم عبادة يتقرب بها إلى اللّه سبحانه وتعالى، هذه العلوم هي أداة إصلاح في الأرض، وعليه فالمتعلم يسعى إلى إصلاح نفسه وتزكيتها بالعلم حتى «يعبد اللّه حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه» . (توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع، ١٤٠٣هـ، ص ١٢).

ولكن يتعذر بحق تصور إسلامي للتعليم داخل مجتمع أو دولة لا تعتمد النظام الإسلامي وتتبناه وتربى أولادها على الولاء له وحتي لا يحدث أي اهتزاز في فكر المتعلم وتصوره اكدت التربية الإسلامية حين دعوتها إلى الاستفادة من الأمم الأخرى على ضرورة التسلح بالحس الإسلامي والثقافة الإسلامية المتينة حتى لا ينحرف المتعلم وينساق وراء الفكر الغربي الوافد فهناك فرق بين المتعلم في صدر الإسلام واحتكاكه بالحضارات وبين المتعلم في العصر الحاضر .

ففي صدر الإسلام كان الإسلام مسيطرا ومهيمنا بكل ما تعنيه الكلمة على القوى الفكرية والعملية في متبعيه وكانت أمة الإسلام هي أمة غالبة حلت محل الصدارة والزعامة ولم تزحمهم أي من تلك الحضارات الرومية والفارسية والهندية «فحيثما ذهبوا أحدثوا انقلابا في أفكار الأمم ونظرياتها وعلومها وأخلاقها وعاداتها وأسلوب تمدنها» . (المودودي، نحن والحضارة الغربية، ١٤٠٤هـ، ص ٤٧).

أما في العصر الحاضر فقد ضعف حال المسلمين في مختلف المجالات، ومنها الميدان التربوي الذي أصبح مستوردا من الخارج، وبالتالي فالمتعلم ليس لديه حصانة تقية الشبهات التغريبية التي تنفثها المناهج الدراسية في العالم العربي والإسلامي، ولهذا خير ما يتسلح به المتعلم المسلم اليوم وكل يوم هو العودة إلى المصدرين الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إضافة إلى السيرة النبوية التي تمتلئ بالتوجيهات التي تجعله في منأى عن الفساد الفكري والخلقي والسلوكي.

وعلى المسلمين اليوم أن يعرفوا سيرة الرسول ﷺ ويتربوا على منهجه؛ لأن شخصيته «ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئة، بل إنها آية كونية للناس كافة وللأجيال كافة» . (قطب، منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ١/ ١٨٤).

إن رسالة الرسول ﷺ «عامة لمن كان في عصره ولمن يأتي بعده إلى يوم القيامة» . (ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٣٩٧هـ، ٢/ ٢١١).

إن السيرة النبوية لا تقل شأنا عن المصدرين الآخريين «إنها تساعد على استنباط الأهداف التربوية منها وتطبيقها في واقع حياة الناس وفي مؤسساتهم التربوية، وتؤدي إلى تقوية الروابط الإسلامية بينهم وتوحيد أهدافهم وخدمة قضاياهم وأخذ الدروس من خلال هذه السيرة ومن خلال ممارسات الرسول ﷺ فكل ذلك يعمل على توحيد الأفكار والمشارب والاتجاهات في المجتمعات الإسلامية لتصبح السيرة النبوية عاملا فعالا في تماسكهم ووحدتهم ولم شملهم» . (مرسي، أصول التربية الثقافية والفلسفية، ١٣٩٧هـ، ص ٢٧).

وهي في الوقت نفسه منهاج تربية وليست قصة تقرأ أو حكاية تحكى ليلة مولده.

وخلاصة القول: إننا في العالم العربي والإسلامي «نمتلك منهاجا تربويا شاملا يسد الثغور على فتنة الجاهلية المعاصرة ونستطيع من خلاله إعادة صياغة الفرد المسلم

بما يتفق وأهداف الإسلام ويلبي حاجات الأمة الإسلامية». (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ٩٤).

وهنا يتضح بجلاء أن مبدأ الشمول في منهج التربية الإسلامية يتناول ميادين مختلفة.

أ - فهو يهتم بالدنيا والدين.

ب - ويوجه عنايته إلى الاهتمام بالجسم والروح.

ج - ويوجه عنايته إلى الاهتمام بالعلوم الدنيوية والدينية.

د - ويهتم بالمعاصرة والأصالة بمعنى أنه يأخذ من الأمم الأخرى بما يناسب ويتلاءم مع العقيدة الإسلامية ويعد برامج في ضوء حاجات فئات المجتمع المختلفة ويجيب عن تساؤلاتهم ويسهم في حل مشكلاتهم.

هـ - يوجه عنايته إلى المعوقين والأسوياء معا ولا يهمل أي فئة منهما.

و - يحاول أن يحقق الغاية العليا من التربية في مختلف ميادين الحياة.

ز - ينطلق من منطلقات إسلامية ويجعل الأنشطة اليومية تدور حول تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.

وهكذا يجد المسلم انسجاما ووحدة متجانسة بين المبدأ الرباني ومبدأ الشمول وكلاهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن الاستغناء عن أي واحد منهما. ويأتي المبدأ الثالث متمما ومكملا لهما لتصبح المبادئ عقدا فريدا لا انفكاك بينها وفيما يلي يتناول الباحث هذا المبدأ.

ثالثا: مبدأ الحاكمية:

تمهيد:-

هكذا يلمس القارئ والمطلع على هذه الدراسة مدى التلاحم والتكامل والانسجام بين هذه المبادئ وكلها كتلة واحدة لا انفصام بينها فهي وحدة متجانسة لايمكن الاستغناء والانفكاك عن أي مبدأ من هذه المبادئ؛ لأن كلا منها يكمل الآخر ويدفع إليه.

إن السيادة في الديمقراطية للشعب بينما السيادة في الإسلام للشرع فشتان بين من يقيم نظامه على أساس الشرع ومن يقيم نظامه على أساس العقل.

وإذا أنعم الإنسان المسلم النظر في هذا يجد أن العقل لا يصلح أن يكون حاكما بأي حال من الأحوال؛ لأنه ليس مؤهلا لذلك وهو محكوم بالوحي وقاصر.

وهنا يستطيع الباحث أن يؤكد حقيقة واحدة، وهو أن الشرع وحده هو صاحب السيادة المطلقة في الكون والحياة والإنسان والألوهية.

أ - أدلة قرآنية تؤكد هذا المبدأ:

من الأدلة التي تؤكد مبدأ الحاكمية وأنه لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى لا لغيره ما يلي:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. (الأحزاب: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ (القرة: ١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (يوسف: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩).

وهي كلها تقرر أن مبدأ الحاكمية لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وفي الآية الأخيرة كلام نفيس ومقاصد جليلة كما يقول "سيد قطب" (١٣٩٣هـ) في كتابه "في ظلال القرآن": حيث بين الله سبحانه وتعالى فيها «شروط الإيمان - وحد الإسلام - وقاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة - وقاعدة الحكم - ومصدر السلطان. وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصا من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على الأجيال مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام ليكون هنالك الميزان الثابت الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام.

إن الحاكمية للّه وحده في حياة البشر ما جل منها وما دق . . . واللّه واجب الطاعة فشريعته واجبة للتنفيذ . . . والإيمان يتعلق وجودا وعدما بهذه الطاعة وهذا التنفيذ». (٥/ ٤١٦).

وهذا يؤكد أنه ليس على وجه البسيطة إلا نظام واحد هو النظام الإسلامي وماعداه فهو جاهلية . . . وإن هناك شريعة واحدة هي شريعة اللّه وماعداها فهو هوى». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٣٦-٣٧).

إذن كل منهاج غير منهاج الهدى الذي جاء به محمد ﷺ هو غير سبيل المؤمنين، وكل ما هو من سبيل غير هذا السبيل فهو ضلال. «فالشريعة وحدها الحق ومابعد الحق إلا الضلال، فلا يجوز لبشر أن يجعل من غير الشرع أساسا للحكم وكل ما جعل من الأهواء والضلالات مما سمى بالإشتراكية أو الرأسمالية أو الديمقراطية إنما هو حكم بغير ما أنزل اللّه». (الخالدي، الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص٨٦).

كما أنه «حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع للّه وحده - متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية - تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر . . . وتكون هذه هي - الحضارة الإنسانية - لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أصلية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان . . . ولا حرية في الحقيقة . . . ولا كرامة للإنسان ممثلا في كل فرد من أفراده، وفي مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون». (قطب، معالم في الطريق، ص ١٠٨).

فأي عدل يمكن أن يتحقق في مجتمع الجاهلية التي هي:

«عبودية الناس للناس بتشريع بعض الناس للناس ما لم يأذن به اللّه كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع». (قطب، معالم في الطريق، ص ١٤٩).

وعند التدقيق والاستقصاء في هذه المبدأ يجد المرء أنه أول شيء يجب تحقيقه في نفوس الأفراد. «لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده هي معركة الحاكمية وتقريرها لمن تكون؟ لذلك خاضها وهو في مكة خاضها وهو ينشئ العقيدة . . . خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية للّه وحده» (ياسين، التربية الإسلامية في ظلال القرآن، ١٤٠٣هـ، ص ٦٨).

ب – أهمية مبدأ الحاكمية في حياة المسلم:

وهنا يود الباحث أن يوضح مبدأ الحاكمية وأهميته في حياة المسلم وأنشطته اليومية في النقاط التالية :-

١- تصحيح الاعتقاد والتصور:

من الأمور التي يسلم بها في مجال التربية والتهذيب والإصلاح عملية تصحيح العقيدة وتطهير التصور من كل التلوثات الفكرية المادية للدين الإسلامي . وتعتبر عملية التصحيح هذه هي الخطوط الأولى من الخطوات الأساسية في الصحوة الإسلامية الصادقة التي أول ما تعنى البعد والابتعاد عن البيئات والمؤسسات الفاسدة الموبوءة فكريا وعقديا .

وفي ميدان التزكية والتطهير للإنسان الجديد «تبدأ التطبيقات التربوية بالابتعاد بالفرد عن البيئات التي تتنكر للقيم الإسلامية وعن مؤسساتها الثقافية والتوجيهية والوظيفية ابتعادا يستهدف توفير نوع من الحمية الفكرية والروحية والسلوكية ويمكن التربية الإسلامية من الانفراد بإعادة تشكيل سلوكه . . . ويعقب هذا الانتزاع خطوة أخرى قوامها التعرف على مؤثرات التربية غير الإسلامية في الفرد . . . ويعقب هذه الخطوة خطوة ثالثة وهي الشروع بتعديل السلوك غير المرغوب به وتعزيز ما هو مرغوب فيه» . (كيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ١٤٠٥هـ، ص ٤١-٤٢) .

والسر في هذا أن المصلح أو المربي لا يتمكن من تقديم المعلومات الصحيحة لمن يريد تربيته وإصلاحه إلا بعد اجتثاث كل التصورات الفاسدة لديه ثم الاتيان بالبدائل السليمة ، وذلك تأسيا بالمعلم سيدنا محمد ﷺ ذلك أنه :

«حين كان الإسلام يعيش غربته الأولى كان النبي ﷺ يربي الأمة بالعقيدة الواضحة والتصور الشامل . . . وظلت هذه التربية النبوية للأمة الإسلامية ثلاثة عشر عاما كاملة حتى انتفى كل شك قد يخامر الأذهان وكل وهن قد يطرأ على القلوب وكل ظن قد يدور في النفوس فكان من نتيجة ذلك أن نشأت الصفوة المباركة من صحابة رسول الله ﷺ . . . وحين توفى رسول الله ﷺ بعد أن بلغ الرسالة حملت هذه الصفوة الإسلام فكرا وشعورا وممارسة وتحملت المسئولية الكبرى في إعزاز هذا الدين والتمكين له في الأرض» . (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ١٥١) .

إن تشويه المفاهيم والتصورات يعتبر من أشد المعارك ضررا على الفرد والمجتمع والأمة فهي معركة ضروس وخاصة إذا تطرق هذا التشويه والتزييف إلى العقيدة الإسلامية الصافية حينئذ ستخرج ناشئة لا هوية لها، وهذا هو ما يهدف إليه أعداء الإسلام، ومن الأدلة على ذلك ما قاله "لويس التاسع" بعد أسره حينما وجه نصيحة لبني قومه قائلا: «إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده. - فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح - ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم». (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ١٩٦).

لقد كانت دعوة الرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ تركز أولا على تصحيح المعتقدات والتصورات؛ لأنه يسهل عملية تقبل التعاليم والتوجيهات بعد ذلك، ويؤدي إلى التطهير الباطني للمتعلم.

وهذا يعني أن طبيعة الرسل واحدة، وهي «الدعوة إلى الله على مدار التاريخ البشري، إنها تستهدف الإسلام إسلام العباد لرب العباد وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بإخراجهم من سلطان العباد في حاكميتهم وشرائعهم . . . إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شئون الحياة». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٥٢-٥٣).

ولأجل أن يحقق المصلح أو المربي الاعتقاد الصحيح والتصور السليم لابد له من أن يظل ماثلا في ذهنه الحقائق التالية: -

١- هي أن مبادئ الإسلام العليا «التي تسبق اليوم آخر ما وصلت إليه البشرية في خلال أربعة عشر قرنا كانت قائمة فيه منذ اليوم الأول وأنه منذ ذلك اليوم قد أخذ بيد البشرية في طور الترقي إلى الآفاق المرسومة خطوة خطوة فكان التطور لا فى مبادئه وأهدافه، ولكن في قرب البشرية يوما بعد يوم من هذه المبادئ والأهداف وهذا ما ينفى فكرة التطور التاريخي من أساسها بالقياس إلى الفكرة الإسلامية وإلى نظام المجتمع الإسلامي».

٢- «إن النظام الإسلامي ليس هو الرق . . . وليس هو الاشتراكية وليس هو الشيوعية . . . إن النظام الإسلامي هو فقط النظام الإسلامي». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ٧٥، ٩١).

٣- «إن الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية لا من ناحية التصور ولا من ناحية الأوضاع المنبثقة من هذا التصور فإما إسلام وإما جاهلية، وليس هنالك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جاهلية يقبله الإسلام ويرضاه فنظرة الإسلام واضحة في أن الحق واحد لا يتعدد وأن ماعدا هذا الحق فهو الضلال». (قطب، معالم في الطريق، ص ١٦٤).

٢- التسليم والاستسلام لتعاليم الدين الإسلامي:

التسليم والاستسلام مرحلة تالية لتصحيح الاعتقاد والتصور وهو خطوة أساسية في مجال الاصلاح عن طريق البدائل، وهي ناتجة عنها؛ لأنه إذا صحت العقيدة والتصور لدى المتعلم المسلم أدرك أن الخروج عن الدين الإسلامي كفر وضلال وأنه ينبغي التسليم والاستسلام لتعاليمه «فالشرع المنزل من عند اللّه تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث اللّه به رسوله ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر». (ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ١٤١٤هـ، ص ٢٦٨).

والتسليم والاستسلام هو الإسلام نفسه الذي يعني «الاستسلام والطاعة لشريعة اللّه ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة واتخاذ شريعة غيرها في أي جزئية من جزئيات الحياة هو رفض للاعتراض بألوهية اللّه وسلطانه سواء كان هذا الرفض باللسان أو بالعقل دون القول». (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٢/ ٨٨٩).

وإذا فهمت الحاكمية وصح التصور وسهل التسليم من قبل المتعلم واستقرت في نفوس الناشئة كانت النتائج الواقعية باهرة حيث يصبح «المجتمع المسلم مجتمعا مفتوحا لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات بلا عائق». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٥٨).

والإسلام يتفرد بمنهجه الرباني الذي يبرز أخص خصائص الإنسان وما يزال منفردا ولن يعدل عنه إلى أي منهج آخر يقوم على أية قاعدة أخرى من القوم أو الجنس أو الطبقة أو اللون إلى آخر هذا النتن السخيف هم أعداء الإنسان حقا». (قطب، معالم في الطريق، ص ٦١).

وإذا سلم المتعلم وانقاد لأمر اللّه سبحانه وتعالى حينئذ سيدرك أن كل ما صدر عنه من تصرفات وأعمال بتوجيهات الدين الإسلامي كلها عبادة ذلك أنه «ليس في

التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة أو يطلب فيه تحقيق هذا الوصف والمنهج الإسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة أولا وأخيرا . . . ليس هناك من هدف إلا تحقيق معنى العبادة في حياة الإنسان والنشاط الإنساني لا يكون متصفا بهذا الوصف محققا لهذه الغاية التي يحددها القرآن، إنها هي غاية الوجود الإنساني إلا حين يتم هذا النشاط وفق المنهج الرباني فيتم بذلك إفراد اللّه سبحانه بالألوهية والاعتراف له بالعبودية». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص١١٤).

إن مبدأ الحاكمية والشمول فوق أنه مريح للفطرة البشرية إلا أنه «في الوقت ذاته يعصمها من الاتجاه لغير اللّه في أي شأن وفي أية لحظة أو قبول أية سيطرة تستعلى عليها بغير سلطان اللّه وفي حدود منهج اللّه وشريعته في جانب من جوانب الحياة فليس الأمر والهيمنة والسلطان للّه وحده في أمر العبادات الفردية ولا في أمر الآخرة وحدهما بل الأمر والهيمنة والسلطان للّه وحده في الدنيا والآخرة في السماوات والأرض في عالم الغيب والشهادة في العمل والصلاة وفي كل نفس وكل حركة وكل خالجة وكل خطوة وكل اتجاه». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١١٨).

أي: أن الحاكمية هي عقيدة التوحيد الشاملة وامتدت لتشمل «تنظيم جوانب الحياة الإنسانية كلها: خافيها وظاهرها وصغيرها وكبيرها حقيرها وجليلها شعائرها وشرائعها اعتقاديها وعمليها فرديها وجماعيها دنيويها وأخرويها بحيث لا تفلت ذرة واحدة منها من عقيدة التوحيد الشاملة». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٩٠).

وكذلك يجب على التربية أن ترسخ في نفوس المتعلمين أنه «لا حاكم إلا اللّه وأن لا مشرع إلا اللّه وأن لا منظم لحياة البشر وعلاقاتهم وارتباطاتهم بالكون والأحياء وببني الإنسان من جنسه إلا اللّه فيتلقى من اللّه وحده التوجيه والتشريع ومنهج الحياة ونظام المعيشة . . . سواء». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٩٧).

وهذا يعني أن المتعلم يعلن أفراد اللّه سبحانه وتعالى بالألوهية في الاعتقاد والتصور وفي الضمائر والشعائر والشرائع.

ذلك أن الحاكمية في الإسلام «تقوم على أساس شهادة أن لا إله إلا اللّه ومتى تقرر أن لإلوهية للّه وحده بهذه الشهادة تقرر أن الحاكمية في حياة البشر للّه وحده». (قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ١٣٩٤هـ، ص ١٦٠).

والصورة النهائية التي تفرزها هذه الخطوة - التسليم والاستسلام- هي طهارة المتعلم من كل التصورات الفاسدة والمعتقدات المنحرفة المضللة التي تصدر إلى الأمة الإسلامية من بيئات ومجتمعات غير إسلامية.

إن عبادة الله «لا تتحقق -في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي- إلا في ظل النظام الإسلامي، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم حاكمهم ومحكومهم أسودهم وأبيضهم قاصيهم ودانيهم فقيرهم وغنيهم تشريعا واحدا يخضع له الجميع على السواء أما في سائر الأنظمة فيعبد الناس العباد لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد وهو من خصائص الألوهية». (قطب، معالم في الطريق، ص٨٩).

ومن آثار الحاكمية «هو توحيد المتجه الذي يتجه إليه الفرد والجماعة الحاكم والمحكوم العامل وصاحب العمل المنتج والمستهلك المعطي والآخذ . . . هذا المتجه هو عبادة الله ابتغاء مرضاة الله». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ١٤٦).

أي: إن الإسلام رسم غاية عليا للحياة وجعل الأنشطة التي يقوم بها الفرد سواء كان هذا النشاط عبادة أم عملا أم نية محققا للعبودية «ومن شأن هذا التوجه بكل نشاط إلى الله تطهير الحياة ورفعها ومنحها معنى اسمى من معنى اللحم والدم ومقتضياتها القريبة أو البعيدة . . . ومن هنا يجيء توحيد الطاقة البشرية وتوجيهها كلها إلى الله». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ١٤٧).

كما أن من آثار الحاكمية توحيد الاتجاه وجعل الروابط التي تقوم بين الناس تتجه إلى أفق أعلى من مصالح الناس بحيث «تصبح الحاكمية في هذا النظام الرباني الفريد لله وحده فلا حاكمية فيه لأمير ولا رعية فالله وحده هو المشرع ابتداء وعمل البشر هو تطبيق التشريع الإلهي وتنفيذه». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ١٥٠).

وإذا فهم الإنسان المسلم هذه المبادئ فهما سليما سيذعن بالحاكمية لله سبحانه وتعالى «وبذلك تظل الحاكمية لله وحده ويظل المجتمع الإسلامي محكوما وفق شريعته . . . وهكذا نجد سمة الربانية تتحقق من توحيد الحاكمية وهذه بدورها راجعة إلى عقيدة التوحيد . . . إن الربانية في النظام الإسلامي ربانية شريعة ونظام لا ربانية أمراء وحكام وحيث يشرع الله تعالى للبشر يشرع بعلم كامل وبعدل شامل، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ١٥٢).

مما سبق يمكن القول أن الإسلام جاء «ليرد الإنسان إلى ربه وليجعل هذه السلطة هي السلطة الوحيدة التي يتلقى منها موازينه وقيمه كما تلقى منها وجوده وحياته والتي يرجع إليها بروابطه ووشائجه، كما أنه من إرادتها صادر وإليها يعود» . (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ١٤٩).

٣- قبول ما أنزل اللّه:

تتمثل الحاكمية في حياة المسلم في قبوله لكل ما أنزل اللّه سبحانه وتعالى وليس هذا اختياريا بل أمر لابد منه ليكون المرء مسلما حقيقيا؛ لأنه من المسلم به في الحاكمية وفي بعض صورها قبول الشريعة الإسلامية ورفض كل شريعة أخرى هو تحقيق العبودية للّه ومن هنا نعلم

«أن نظام اللّه خير في ذاته لأنه من شرع اللّه ولن يكون شرع العبيد يوما كشرع اللّه . . . ولكن هذه ليست قاعدة التوحيد إنما قاعدة التوحيد أن قبول شرع اللّه وحده أيا كان ورفض كل شرع غيره أيا كان هو ذاته التوحيد وليس للتوحيد حقيقة سواه» . (قطب، معالم في الطريق، ص ٤٢).

إن قبول ما أنزل اللّه ليس المراد فيه الجانب النظري أو الإقرار والإعلان بقبول ما أنزل اللّه وشرعه من الأقوال والأعمال والاعتقادات يقول "سيد قطب" (١٤١٢هـ) في كتابه "معالم في الطريق" : «إن القلوب يجب أن تخلص أولا للّه وتعلن عبوديتها له وحده بقبول شرعه وحده ورفض كل شرع أخر غيره من ناحية المبدأ قبل أن تخاطب بأي تفصيل عن ذلك الشرع يرغبها فيه» (ص ٤١).

إن الدين الإسلامي «كما أنه في ذاته دين رباني فإن منهجه في العمل منهج رباني متواف مع طبيعته وأنه لايمكن فصل حقيقة هذا الدين عن منهجه في العمل» . (قطب، ١٤١٢هـ، ص ٤٧).

وبما أنه من عند اللّه سبحانه وتعالى فهذا يدل على «أن هذا المنهج أصيل وليس منهج مرحلة ولا بيئة ولا ظروف خاصة بنشأة الجماعة المسلمة الأولى إنما هو المنهج الذي لا يقوم بناء هذا الدين في أي وقت - إلا به» . (قطب، ١٤١٢هـ، ص ٤٧).

ذلك أن هذا المنهج «منهج رباني مخالف في طبيعته كلها مناهج البشر القاصرة الهزيلة .

ونحن لا نملك أن نصل إلى التصور الرباني وإلى الحياة الربانية إلا عن طريق منهج تفكير رباني كذلك» . (قطب، ١٤١٢هـ، ص ٤٧).

وبناء على ذلك فإنه لن يتم تربية شباب الأمة وناشئتها إلا عن طريق غرس معنى العبودية للّه سبحانه وتعالى بحيث يتشرب هذه المفاهيم ناشئة المسلمين فالمدرسة مسئولة عن تربيتهم على هذه المعاني القيمة فإذا تم للمدرسة أن تقوم بهذا فإنها تقضي على هذه التناقضات وتخرج أجيالا متجانسة في فكرها وتصورها واعتقادها وسلوكياتها وعندئذ تصبح «آصرة التجمع الأساسية في مجتمع هي العقيدة والتصور والفكرة ومنهج الحياة ويكون هذا كله صادر من إله واحد . . . يكون ذلك التجمع ممثلا لأعلى ما في الإنسان من خصائص الروح والفكر فأما حين تكون آصرة التجمع في مجتمع هي الجنس واللون والقوم والأرض وما إلى ذلك من الروابط فظاهر أن الجنس واللون والقوم والأرض لا تمثل الخصائص العليا للإنسان» . (قطب، ١٤١٢هـ، ص١١٩-١٢٠).

(أ) آثار الحاكمية في حياة المسلم.

ولا شك أن قبول ما أنزله اللّه سبحانه وتعالى وترجمته عمليا سيفرز في حياة المسلم آثارا عظيمة من أهمها .

عدم الالتفات إلى أي مصدر من المصادر البشرية الوضعية لا في مجال التعليم والتربية ولا في مجال السلوك والأخلاق أو غيرها ؛ لأنه أصبح يعلم يقينا أنه لا يجوز له أن يقبل إلا ما شرعه اللّه وبينه رسوله ﷺ .

وإذا اعتقد وتيقن المسلم بأنه يتلقى التوجيه والإرشاد من اللّه سبحانه وتعالى وأنه في كل شعور وفكرة وخالجة وسلوك ومعاملة فإنه بذلك يحقق معنى العبودية للّه سبحانه وتعالى، وتظهر اثار مبدأ الحاكمية على الفرد من خلال ما يلي :

أ - ألا يتلقى الناس الشرائع في أمور حياتهم إلا من اللّه .

ب - ألا يتوجهون بالشعائر إلا للّه .

ج - وينتج عن هذا توحيد للسلطان الذي هو أخص خصائص الألوهية .

د - وبهذا يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده .

وهذه هي الهدية الربانية التي يهديها المسلم للناس في الأرض إنها عقيدة التوحيد التي يجب أن تقدم للناس .

والمسلمون مطالبون بإيصالها للآخرين ، وهي الهدية التي يملكها أصحاب عقيدة التوحيد ويهدونها بدورهم للبشرية كلها وقد عبر عن هذا المعنى الجليل " ربعي بن عامر " رضي اللّه عنه رسول جيش المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهو يسأله ما الذي جاء بكم؟ .

فيقول " ربعي " : « اللّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده» . (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٢هـ، ص ٢٠٦).

إن الحاكمية تؤكد على الجانب العقدي التي كانت عليها كل الديانات السماوية ولها مدلول أوسع وأشمل من مدلولها في كل عقيدة فكل «عقائد التوحيد أصلا تتفق في وحدانية اللّه سبحانه وتعالى، ولكن الإسلام يضيف إلى توحيداللّه آثاره الطبيعية في توحيد خلقه وتوحيد نشاط خلقه كذلك» . (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص١٤٤).

(ب) ثمار الحاكمية في حياة المسلم:

ومن ثمار الحاكمية كما يقول " سيد قطب " (١٤١٣هـ) في كتابه " خصائص التصور الإسلامي ومقوماته " أنها :

أ - تنشئ «في القلب والعقل حالة من الانضباط لا تتأرجح معها الصور ولا تهتز معها القيم ولا يتميع فيها التصور ولا السلوك» .

ب - «تنشيء في القلب والعقل " الاستقامة " ذلك أن الإنسان المسلم عند ما يعرف اللّه سبحانه وتعالى معرفة حقيقية يقدره حق قدره ويستقيم سلوكه ولايضطرب . «ومن شأن هذه المعرفة أن تنشيء الاستقامة في قلبه وعقله الاستقامة باستقامة التصور والاستقامة باستقامة السلوك» .

ج - الوضوح والبساطة واليسر في التصور والسلوك خلافا للفلسفات التي تحدث التعقيد والتخبط في حياة المرء» .

د - تحافظ الحاكمية على تجمع الشخصية والطاقة في كيان المسلم الفرد والجماعة وتنفى التمزق والانفصام والتبدد التي تسببها العقائد والتصورات الأخرى» . (ص ١٩٣-١٩٤).

٤- التحاكم عند الاختلاف والنزاع إلى الكتاب والسنة.

من الصور الصادقة التي تمثل تحقيق مبدأ الحاكمية في حياة المسلم التحاكم والرجوع إلى الكتاب والسنة عند النزاع والاختلاف في شيء من أمور الحياة والآخرة امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. (النساء: ٥٩).

وفي معنى هذه الآية يقول "ابن كثير" (د. ت): «إن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر». (تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥١٨).

لإنه «لايجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلا بل أحدهما ينافي الآخر» (آل الشيخ، تحكيم القوانين، ١٤١١هـ، ص ٦).

و يعتبر أن «من أصدر تشريعا عاما ملزما للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافرا». (العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، ١٤٠٥هـ، ص ١٩٦).

ويمكن القول أيضا «أن كل من رفض التحاكم إلى شريعة الله أو فضل أي تشريع على تشريع الله أو أشرك مع شرع الله شرائع أخرى من وضع البشر وكل من رضي أن يستبدل بشرع الله قانونا آخر. فقد خرج من حوزة هذا الدين والغى ربقة الإسلام من عتقه ورضي لنفسه أن يخرج من هذه الملة كافرا». (عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ١٤١٠هـ، ص ٩٢).

والتحاكم المطلوب هنا ليس في مجال واحد بل في كل الأمور في حياة المسلم على الدوام فلا «عمل يفرض ولا حركة ولا سكون يدعى إلا والشريعة عليه حاكمة أفرادا وتركيبا بحيث لا يخرج عمل إنساني وقع في الماضي أو يقع في المستقبل إلا وهو مأمور به أو منهي عنه. (الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، ١٣٤١هـ، ١/ ٤١).

وقبل هذا أوذاك المجال العقدي الذي اهتم به الإسلام كتابا وسنة ووضعه في مرتبة الأولويات؛ لأن قبول العقيدة بعد فهمها فهما دقيقا هو الأساس في الرجوع والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أوجب الواجبات وعلينا بالعودة إليهما سواء في المجال السياسي أم التربوي حتى لايعتقد أن منهج الله قاصر ولا يصلح أن يطبق في الواقع المعاصر، ومن هنا تأتي الخطورة.

إن «من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقا أو ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال فهذا لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد وإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصا ظاهرا أو استنباطا أو غير ذلك علم ذلك من علمه وجهله من جهله» . (آل الشيخ، تحكيم القوانين، ١٤١١هـ، ص ٥).

٥- التطبيق الفعلي لتعاليم التربية الإسلامية:

لايكفي القول بقبول ما أنزل الله والإعلان بالاستسلام لكل توجيهاته أمرا ونهيا لتحقيق مبدأ الحاكمية في حياة الأمة المسلمة بل لابد إلى جانب ذلك كله من ترجمة تلك التوجيهات إلى واقع عملي وسبيل هذا وطريقه المؤهل له هو التربية التي هي في نظر الإسلام الوسيلة التي عن طريقها تتوحد الأفكار والتوجيهات وبها تقوى الأمة ويعلو شأنها وبنيانها وكيانها بين بقية الأمم والشعوب « لا تستطيع أمة من الأمم أن تحمل رسالتها للعالم إلا إذا وصل أفرادها إلى قدر مشترك من الإتقان والتوافق حول القضايا الأساسية لهذه الأمة ، والتربية وحدها، هي القادرة على تكوين ذلك القدر المشترك من الإتقان والتوافق بين أفراد الأمة بل إن التربية هي التي تتحمل المسئولية الكبيرة في بلورة رسالة الأمة وفي غرس الولاء لتلك الرسالة وفي إطار الولاء للرسالة تتلاحم الأمة وتترابط وتتماسك فتصبح كالكتل الصخرية التي تتحدى الأمواج العاتية» . (البدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ٩١).

وإذا نظر المسلم إلى واقع أمته الإسلامية اليوم لوجد ضعفا وترهلا وضياعا في الجانب التطبيقي، وسبب ذلك أن أصحاب القيادات التربوية والتعليمية اكتفوا بلافتات إسلامية وتركوا الحقائق وسيطرت الحياة المادية على الأمور المعنوية الأخرى التي بها حياتها وعزها والتي تتمثل فيها الحاكمية .

لقد أخفقت الأمة الإسلامية في الجانب المادي وسبقها في هذا الميدان حضارات أخرى ولكن الجانب المادي وإن كان مهما لقيادة البشرية من هذه الزاوية غير أن الأهم منه هو الجانب العقدي والمنهج الذي للبشرية أن تحتفظ بنتاج العبقرية المادية تحت

إشراف تصور آخر يلبي حاجة الفطرة كما يلبيها الإبداع المادي» (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص٨- ١٠).

ولا يفهم من هذا أن الإسلام يتنكر للجانب المادي بل يعده من وظيفة الإنسان ويعتبره تحت شروط خاصة عبادة للّه وعلى الرغم من أن الحضارات المعاصرة التي تفوقت في الجانب المادي إلا أنها حضارة جاهلية؛ لأنها تعدت على سلطان اللّه وعلى أخص خصائص الألوهية، وهي الحاكمية «إنها تسند الحاكمية إلى البشر فتجعل بعضهم لبعض أربابا لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفتها الجاهلية الأولى، ولكن في صورة إدعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج اللّه للحياة وفيما لم يأذن به اللّه».

أما في المنهج الإسلامي فهو «يحرر الناس جميعا من عبادة بعضهم بعضا لعبادة اللّه وحده والتلقي من اللّه وحده والخضوع للّه وحده وهذا هو مفترق الطريق . . . هو التصور الجديد الذي نملك عطاءه للبشرية . . . وهذا هو الرصيد الذي لا تملكه البشرية» . (قطب، معالم في الطريق، ص ١٠-١١).

إن القضية التي تصدرت لها الدعوة منذ اليوم الأولى للرسالة المحمدية هي قضية تحقيق توحيد الألوهية وإفراد اللّه سبحانه وتعالى بها، وكان كفار قريش يعرفون «أن الألوهية تعني الحاكمية العليا» و «معناه نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ووشيجة القبائل والأمراء والحكام ورده كله إلى اللّه» . (قطب، معالم في الطريق، ص ٢٦).

ولم يشأ اللّه لرسوله محمد ﷺ إلا أن يبدأ من هذا الطريق دون سواه .

٦- رفض التوجيهات والتعليمات الواردة من الجهات الأخرى.

لما كانت التربية الإسلامية تسعى إلى إيجاد شخصية إسلامية قوية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من حيث الإعداد العقدي والفكري والثقافي والسلوكي كان من ضمن الوسائل اللازمة لتحقيق ذلك تربيته تربية وقائية حفاظا عليه من الذوبان في الحضارات الأخرى وتحصينه من التيارات المعادية عن طريق رسوخ العقيدة الإسلامية والتصورات والمفاهيم الإسلامية الصحيحة في نفوس الناشئة والتي تعتبر سياجا وافيا يؤدي إلى رفض التوجيهات والتعليمات من الجهات الأخرى المعادية للإسلام بناء على ما ترسخ في نفوس الناشئة من تصورات ومفاهيم سليمة ففي الإسلام الغنى والكفاية ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ومن العلامات أو المعايير المعبرة عن صدق الحاكمية في حياة المسلمين أفرادا وجماعات رفض التوجيهات الواردة من غير الدين الإسلامي إذا كانت لاتتلاءم مع العقيدة الإسلامية ؛ لأن عدم الرفض والتوجيهات للمؤسسات المعادية للإسلام يعني تذبذبا في الشخصية المسلمة وإعلاما باعتقاد أن الإسلام ليس فيه ما يكفي لحياة الأمة المسلمة، وبهذا تنعدم حقيقة الحاكمية في حياة المسلمين.

يقول شيخ الإسلام "ابن القيم" (١٤٠٨هـ) في هذا المعنى لابد من قبول شرع اللّه كله ورفض شرع ما سواه كله، وهذا هو الإسلام «فيجب على العبد أن يكون راضيا بلا حرج ولا منازعة ولا مدافعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (النساء: ٦٥).

فاللّه عزوجل أقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسول اللّه ﷺ بينهم وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه وحتى يسلموا لحكمه تسليما، وهذه حقيقة الرضا بحكمه فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان والتسليم في مقام الإحسان». (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ١٩٢).

ويؤكد المعنى السابق "أبو بكر الجصاص" (١٣٣٥هـ) قائلا: «ومن رد شيئا من أوامر اللّه تعالى أو أوامر رسوله فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم». (أحكام القرآن، ٣/ ١٨١).

ومن الأمور المسلم بها أن المشرع سبحانه وتعالى هو أدري بأحوال خلقه وبما يصلحها فهو الذي شرع ووجه وأرشد فلا يصح أن يأخذ المسلم توجيهات وتعليمات من غير الدين الإسلامي.

«لأن التشريعات البشرية بقوانينها الوضعية ليست أكثر من مجرد استجابة للحاجات المحلية والإقليمية الموقوتة، أما الشريعة الكتاب والسنة فهي التي صنعت للمجتمع الإسلامي و «كانت منهاجا إلهيا لتطوير البشرية كلها وصياغتها صياغة معينة ودفعها إلى أوضاع يتم بها تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود . . . وكلما انقضى الزمن وارتفعت درجة المعرفة البشرية كانت أقرب إلى تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود».

وهذا يعني أن المجتمع الإسلامي عند ما ينمو وينشد التقدم والرقى فإنه يظل

محكوما بأصل ثابت هو الشريعة -الكتاب والسنة- وبذلك تقوم الشريعة مقام هذا السياج ووفق مقومات أصيلة ثابتة، وبذلك يظل الطابع الأصيل للمجتمع الإسلامي واضحا مميزا». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٤هـ، ص ٦٤-٦٥).

ومن وضوح المجتمع الإسلامي أن نظامه الاجتماعي التربوي «لم يقم على مقومات قومية أو عنصرية أو محلية أو جغرافية بل هو مجتمع عالمي مفتوح لجميع البشر دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة . . . ومن ثم تملك جميع الأجناس البشرية وجميع الألوان وجميع اللغات أن تجتمع في حمي الإسلام وفي ظل نظامه الإجتماعي». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ٩٢).

وبما أن الناس في المجتمع الإسلامي لا يملكون حق الحاكمية، وإنما هي للّه سبحانه وتعالى فهذا يؤكد أن «المجتمع الإسلامي برز إلى الوجود نتيجة نظام رباني قائم على العقيدة الإسلامية والشريعة القائمة على هذه العقيدة فكان المجتمع الإسلامي بكل مقوماته وخصائصه انبثاقا من هذه العقيدة ومن تلك الشريعة التي ليس للبشر فيها من عمل إلا تلقيها والتكيف بها والتقيد بقالبها والنمو في حدودها، ومن ثم فهو نتاج العقيدة والشريعة الربانية، وهو على هذا الاعتبار نظام رباني». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ١٤١٣هـ، ص ١٣٧).

وبما أننا نملك هذا المنهاج الرباني الذي تفقده البشرية كلها فإن «البشرية كلها في حاجة إلينا . . . ومن ثم تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها الذين يحاولون إن نذوب في حركة أو أيّة منظمة أو أي اتجاه في داخل الوطن الإسلامي أو خارجه على السواء.

إن الذين يريدون لنا أن نذوب في حركة قومية أو في كتلة دولية أو في اتجاه عالمي -على فرض أن هناك اتجاها عالميا - إنما يرتكبون جريمتهم في حق البشرية كلها قبل أن يرتكبوها في حق الإسلام». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ١٢-١٣).

وهذا يعني أن الإسلام ينفي «منذ اللحظة الأولى كل نعرة جنسية أو عنصرية فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد ويقرر أن لا فضل لجنس فيها على جنس ولا ميزة لعنصر فيها على عنصر وأن اختلاف الألوان واللغات لايدل على ميزة ولا أفضلية ولم يرد به إلا التعارف لا التناكر وأن هناك ميزانا واحدا لتقدير الأفضلية هي تقوى اللّه وطاعته والعمل الصالح في عباده». (قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص ٩٢).

إن المأساة التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية أنها تلجأ حين حاجتها لتوجيهات أو تعليمات من نتاج بشري متغير قابل للقبول والرفض دائما واصبح التحاكم إلى قوانين وضعية سمة غالبة في العالم العربي والإسلامي، وسبب الرجوع إلى هذه القوانين التي تتعلق بحياة المسلمين هو جهلهم بهذا الدين أولا ثم عدم معرفتهم بأن الحاكمية لا تكون إلا لله، ثانيا: لأن هناك «كثيرا من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاولة السلطة وبين مصدر السلطة فالناس بجملتهم لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه أما ما لم يشرعه فلا سلطان له ولا شرعية» (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٤/ ١٩٩٠م).

وقد يتساءل القارئ الكريم والمطلع على هذه الدراسة لماذا اقتصر الباحث على هذه المبادئ الثلاثة واعتبرها خطوطا رئيسة في أي خطة تربوية مستقبلية؟

عند الاستقصاء والاستقراء وانعام النظر فيها يجد أنها كتلة واحدة لا يمكن الفصل بينها إلا من حيث الحديث عنها وإلا فهي وحدة لاتنفصم.

فالمبدأ الرباني يحدد الغاية والمصدر والجهة - وآثاره واضحة للعيان لا يشك فيها أحد.

وأما مبدأ الشمول فهو أثر من آثار الربانية فالشمول كذلك ناشئ من طبيعة الخاصية الأولى للمنهج في التربية الإسلامية وهو أنه رباني من صنع الله لا من صنع الإنسان والشمول طابع الصنعة الإلهية.

أما مبدأ الحاكمية فهو أيضا يمثل خاصية مهمة ويؤكد على أن الصبغة الإلهية التي تتسم بها الخاصية الثانية تظهر آثارها في مختلف جوانب الشمول وتصبح بالتالي هذه المبادئ وكأنها كتلة واحدة ووحدة متجانسة لا غنى لأحدها عن الأخرى وهذا يؤكد للمسلم وحدة المعرفة ووحدة مصدرها وتكاملها فيما بينها ولو وكل تقديم منهج إلى الإنسان لم يأت بصورة متكاملة لأسباب منها:

١- أنه محدود الكيونة زمنا ومكانا.

٢- أنه محدود الكيونة من ناحية العلم والتجربة والإدراك.

٣- يبدأ عمله بعد حدوث.

٤- محكوم بضعفه وميله وشهوته ورغبته.

٥- محكوم بقصوره وجهله.

٦- وهذه العوامل والأسباب تجعل تفكيره.

أ- جزئيا لا تكامليا.

ب- يصلح لزمان ولا يصلح لآخر.

ج- يصلح لمكان ولا يصلح لآخر ولحال دون حال ولمستوى دون آخر.

د- لا يتناول الأمر من جميع زواياه وأطرافه وملابساته وأطواره ومقوماته وأسبابه.

(قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٩٥-٩٦).

والخلاصة: أن الأمة الإسلامية حينما صحت من نومها وتحررت نسبيا من الاستعمار العسكري على أراضيها أصيبت بكارثة أخرى لاتقل ضررا وخطورة عن سابقتها إن لم تكن أعظم منها وهي الاستعمار الفكري من أعدائها وتمثل هذا الاستعمار في إرادة الأمة الإسلامية حتى تلحق بركب الحضارة الغربية المعاصرة، فوقعت في سوء أعمالها إذ أن بعض المفكرين فيها من أبناء الإسلام ظنوا أنه ليس في التربية الإسلامية ما يساعد على تحقيق التقدم الحضاري المنشود فبذلت جهودا في إرسال أبنائها للغرب أو الشرق للاغتراف من أفكاره وتصوراته وقيمه وعاد هؤلاء المبعوثون يحملون سموما فكرية قاتلة، والاستراتيجية التي يقوم الباحث بنقدها وبيان مكامن الخطر فيها ربما لم يعثر القارئ فيها على شيء من هذا القبيل بل هي بوق من تلك الأبواق، فالجهود التي بذلت في سبيلها لم تسر على منهج واضح ومميز بل اغترفت من كل نحلة ولم يظهر الولاء الفكري والتميز التربوي الإسلامي الذي تنشده الأمة العربية والإسلامية ومن هنا لم يكن صدى لهذه المبادئ المقترحة في الاستراتيجية، وهذا دليل على عدم تأهل محرري الاستراتيجية للارتقاء إلى مكان القيادة والتوجيه لجهلهم بهذه المبادئ الإسلامية النبيلة، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

وقد اتضح للقارئ أن مبدأ الحاكمية مفقود من الاستراتيجية حيث مر في صفحات ماضية أن الولاء الفكري يكون للوطن العربي وللتراب والأرض، وأن مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ليس واردا في أفكار محرري الاستراتيجية ومن يقرأ المبادئ بدقة وإتقان يخرج بهذه النتيجة.

رابعا : التعليم الأساسي ومنطلقاته "تصور مقترح".

١- تمهيد:

يمر العالم العربي والإسلامي بمنعطف خطير وبمرحلة حرجة وسبب هذا عدم استبانته للطريق الصحيح والسبيل الأقوم.

إن لكل نظام تربوي أهدافه التي تشتق من عقيدة المجتمع الذي يقوم فيه. وإن النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي يعيش بدون هوية أصيلة غالبا، وقد فشل فشلا ذريعا في صناعة جيل يسد الثغرات التي يعاني منها وذلك لأن أهدافه مشتقة من مجتمع آخر غير المجتمع الإسلامي غالبا، وهذا يدل بكل تأكيد على أن التبعية والتقليد للآخرين الذي حذرت منه التربية الإسلامية هو الداء الذي نزل بساحة المسلمين وجعلهم يعيشون عالة على غيرهم على الرغم من أن في الدين الإسلامي ما يغني الأمة العربية والإسلامية عن الاستجداء من الآخرين، ويؤهلها لأن تكون في مركز القيادة والتوجيه، لا في المؤخرة والتأخير، وفي مركز العطاء لا الأخذ وفي منزلة البذل والتقديم لا في منزلة الاستجداء والتسول.

وفي ميدان التطوير لهذا الجانب المهم في حياة الأمة العربية والإسلامية بذلت جهود جبارة جماعية وفردية للارتقاء به نحو الأكمل وجعله مسايرا للعصر وملبيا لحاجات المجتمع ومتطلباته.

إن تطوير التعليم الأساسي يعتبر موضوعا شائكا وخطيرا في الوقت نفسه، وخاصة إذا كان تطويره لم ينطلق من منطلقات إسلامية ومن قبل أناس معدين إعدادا خاصا لهذا الغرض فستكون عواقبه وخيمة ونتائجه مضاعفة على النشء والمجتمع.

إن التعليم الأساسي هو بمثابة القلب من الجسد، فأي خلل أو تقصير أو عجز أو سوء معالجة له يجعل البناء غير صالح ومعرض للانهيار في أي لحظة.

وإذا كان البناء سليما والقواعد متينة والأساس قويا فإنه سيخرج جيلا قويا في فكره وعقيدته وسلوكه، ومن هنا بذلت جهود فردية وجماعية للنهوض به ولكنها اخفقت في تطويره وترقيته لعدم امتلاكها التصور الصحيح عنه والمبادئ السليمة التي ينطلق منها هذا التعليم.

لقد أصيب المسلمون بعقدة النقص وبالهزيمة النفسية التي سرت إلى كل مسلم

غالبا حتى إنها كادت تصل إلى حد اليأس والقنوط بسبب عدم انفراج الأزمة واتهم العقل المسلم والدين الإسلامي بالتخلف والجمود وأنه غير مؤهل لأن يقدم شيئا جديدا، وهذه فرية افتراها أعداء الإسلام ومن تتلمذ على أيديهم.

إن العيب في المسلمين الذين أصبحوا يفكروا بعقول غيرهم، وأهملوا عقولهم، وذلك نتيجة الفترة الطويلة التي ظل فيها عقل المسلم حبيسا محروما من التفكر والاستقلال مستقبلا عن غيره، وبالتالي توقف هذا العقل عن العطاء والبذل والانتاج والتفكير وأصبح إمعة لغيره في مختلف شئون الحياة، ومنها الميدان التربوي.

وهذا هو ما سعى إليه النظام التربوي الحديث في العالم العربي والإسلامي غالبا وهو هدف يسعى إليه أعداء الإسلام من أجل أن يوصم الإسلام بالتخلف والجمود، وبالتالي تظهر الناشئة نافرة من دينها مبغضة له؛ لأنه سبب تخلفها ونكوصها.

٢- تميز عقل المسلم في الواقع.

ولكن الواقع يشهد بأن عقل المسلم المتميز بفكره وعقيدته ودينه مازال يتمتع بمزايا وخصائص تؤهله لأن يبدع ويبتكر ويقدم الجديد في ميدان التربية والتعليم، وأن الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية مازالت متدفقة بالحيوية والعطاء ومسايرة للعصر ومتطلباته، وهي التي تمد المجتمع بالتصورات والمفاهيم والمبادئ السديدة لكل شئون الحياة ما صغر منها وما عظم، ومنها الميدان التربوي، وعودا إلى استراتيجية تطوير التربية العربية يجد المسلم أن أهداف التعليم الأساسي لديها ولدى المنظمات الإقليمية والدولية والعالمية مازالت أهدافا عامة يمكن أن تنطبق على أي تعليم أساسي في أي مجتمع وفي أي زمان ومكان حيث لم يكن هناك تمايز بين المجتمع الإسلامي واهتمامه بهذا النوع من التعليم وبين أي مجتمع آخر، وهذا في حد ذاته يعتبر مفترق الطرق؛ لأن التميز التربوي يجعل من المسلم شخصية متميزة في تصواراتها ومفاهيمها ومبادئها وسلوكياتها، وإن عدم التميز التربوي يوجد شخصيات مهلهلة غيرمحددة الاتجاه، وليس لها هدف ثابت ومعين، وهذا دليل آخر على فشل أي نظام تربوي قائم.

ونظرا لما تعانيه الأمة العربية والإسلامية من تخلف في مختلف المجالات فإنه لابد من حركة إصلاح شاملة تشمل إعادة تشكيل عقل الإنسان المسلم وتقويم سلوكه

وفق منهج الله سبحانه وتعالى، ولا يتأتى هذا إلا عن طريق إعادة النظر في الميدان التربوي وتصحيح مساره، وخاصة التعليم الأساسي الذي يعتبر أساس التقدم بكافة أنواعه الاقتصادي والتربوي والتقني.

ومن الجدير بالذكر هنا أن يذكر الباحث القارئ بأن الاتحاد السوفيتي سابقا فأجأ العالم بإطلاق أول قمر صناعي في الفضاء عام ١٩٥٧م، هنا جن جنون الولايات المتحدة الأمريكية ووجهت عنايتها إلى التربية والتعليم الذي كان سبب التخلف في هذا المضمار فأعلنت أمريكا عن برنامج قومي لمواجهة هذا التخلف.

وفي هذا الوقت بالذات كانت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تسعى بخطي حثيثة للمناداة بالقومية والديمقراطية والعروبة من أجل تطوير التربية في العالم العربي.

فهل التخلف الحاصل في العالم العربي والإسلامي تنقذه القومية والديمقراطية؟ وهل تغيرت الأحوال منذ نشؤ الإدارة الثقافية وبعدها "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" أم ازدادت ضغثا على إبالة؟

لقد كان الحال كما يقال في المثل العربي "حشفا وسوء كيلة" فلم تتحسن الظروف ولم يرتق ميدان التربية والتعليم إلى المكان اللائق به فمازال العالم العربي والإسلامي متسولا من غيره ومتطفلا على موائد الغرب والشرق فلم يع الدرس وينتفع من تجارب الأمم، ولكن كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟.

«لقد حدث هذا كله في غيبة تربية تقوم على مبادئ ربانية تعود بالإنسان إلى حظيرة الإيمان وتعود بالبشرية إلى واحة السلام رغم تفوق التربية ورقى معاهدها ومؤسساتها في الغرب بصفة عامة في المناهج والأساليب والإمكانات إلا أنها تفتقر إلى الروح الإيمانية وإلى العقيدة التي تحسن توجيه غرائز الأفراد وتشبعها بطريقة صحيحة، ولكن ما لنا وللغرب، لقد أحسن رغم هذه المساوئ في دنياه وفق تصوراته فجنى ثمرات ذلك الإحسان وأسأنا رغم عقيدتنا ومبادئنا ونحن نحصد زرع الإساءة وجني التخلف». (الرشيد، نحو أسس استراتيجية للتربية الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص٢).

وبما أن الأساس الذي قامت عليه استراتيجية تطوير التربية العربية واه وغير واضح المعالم والقسمات والاتجاهات فما «لا أساس له فمهدوم وما لا حارس له

فضائع». (الرشيد، نحو أسس استراتيجية للتربية الإسلامية، المؤتمر الإسلامي الأول للدعوة الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ص٢).

وبما أن ميدان التربية والتعليم قد قام في الأساس على أفكار مستوردة غالبا ولم تكن الرؤية واضحة، فهل استراتيجية تطوير التربية العربية وهي بهذه الصورة يمكن أن تسد الخلل؟.

كلا! لا أعتقد ذلك؛ لأن أساسها لا يتلاءم مع العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة المجتمع وفي إطارها ومن خلالها تنطلق أنشطة الحياة، وهنا قد يصدق على الاستراتيجية بأنها لا ترقى ولن ترقى إلى انتاج شخصيات إسلامية بل العكس من ذلك، فقد اعلنت الحرب الفكرية وسعت إلى تشويه المفاهيم والتصورات الإسلامية في نفوس الناشئة وهنا أثر قد ينطبق عليها تمام الانطباق وهو».

«لو قامت قوة معادية بفرض نظام تعليمي متدني الأداء علينا لكان ذلك مدعاة لإعلان الحرب». كما يقول (الرشيد، ١٤٠٨هـ، ص ٣).

فالحرب قد اعلنت على النظام التربوي الإسلامي منذ إنشاء الإدارة الثقافية التي سبق الحديث عنها؛ لأنها انطلقت من منطلق علماني، قومي، ديمقراطي ولم تكن أسسها إسلامية، ورغم ذلك لم نجد أحدا تصدى لها إلا نادرا.

فهل هذه الاستراتيجية وهي بهذه الصورة تعيد مجد المسلمين وتنشئ فتية يذودون عن حياض الإسلام أم لا؟.

وتأكيدا على أن عطاء المسلم مازال جذوة تشتعل ويستطيع أن يقدم من مفاهيمه وتصوراته ما يلبي احتياجات المجتمع ومتطلباته دون إهمال لعقيدته ودينه وفيما يلي.

٣- نموذج تطبيقي على تميز عقل المسلم:

يود الباحث أن يقدم هنا نموذجا تطبيقيا عصريا على تميز عقل المسلم ومسايرته لمتطلبات المجتمع واحتياجاته وفي الصفحات القادمة إيضاح عن هذا النموذج:

أ- المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي

" نموذج عصري للتعليم الأساسي "

ب- الأسس التي تقوم عليها المدرسة:

١- التنشئة الإسلامية.   ٢- التعليم النافع المناسب لمراحل النمو.

٣- تأصيل اللغة العربية. ٤- اختصار مدة الدراسة.

(آل لوتاه، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٦هـ، ص ١٠).

ويتم تحقيق الأساس الأول عن طريق تربية «الطلاب تربية إسلامية حيث يتشرب الطلبة روح الإسلام وقيمه ويتعمق عندهم الوعي الروحي والفكري والخلقي . . . في ضوء شمول العقيدة الإسلامية وتكاملها» ولا يقتصر التركيز في التنشئة «في تفهم القرآن والحديث وفقه العبادات والمعاملات، ولكن أيضا في السلوك اليومي وتعكس مناهج المدرسة وخطط الدراسة هذا الالتزام في الفكر والسلوك» فالمدرسة تحرص في منهجها على:

- التركيز على الجانب التطبيقي في أداء العبادات والتعود على ممارستها بانتظام.
- التركيز على اختيار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والقصص الديني الذي يؤكد قيمة العلم والعمل». (آل لوتاه، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٦هـ، ص١١).

أما الأساس الثاني فهو يتحقق من خلال:

- اختيار المواد الدراسية وعناصرها التفصيلية بدقة بحيث تكون متسقة مع مراحل النمو فلا تقدم مواد علمية للطالب إلا بما يتناسب مع تكوين مدركاته العقلية وتنمية مهاراته».
- التركيز في العملية التعليمية على الفهم والاستيعاب والاستنتاج أكثر من التركيز على الحفظ والتلقين، وكذلك التركيز على اكتشاف الميول المبكرة للتلاميذ وتوجيهها الوجهة الصحيحة». (آل لوتاه، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤١٠هـ، ص١٢-١٤).

وأما الأساس الثالث فيتحقق من خلال:

- اعتبار اللغة العربية لغة العلوم الأخرى بحيث تدرس جميع العلوم في المدرسة "عدا اللغات الأجنبية وعلومها" باللغة العربية الفصحى" وبذلك تكون هي الإطار والوعاء لكل العلوم الأخرى.
- التزام جميع المدرسين والإدارة باعتبار اللغة العربية هي السائدة في المدرسة، ولا يعين مدرس لايجيد اللغة العربية الفصحى مهما كان تخصصه، وكذلك يطالب

المتعلمون بالتحدث مع بعضهم بعضا عن طريق اللغة العربية وعدم السماح باستخدام العامية.

- اختيار الموضوعات التي تدرس داخل كل مقرر بحيث تعكس أصالة اللغة العربية وشمولها وأثرها في تقدم العلوم. (آل لوتاه، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٦هـ، ص١٤-١٦).

وأما الأساس الرابع وهو اختصار مدة الدراسة فقد انطلق من أن:

«عامل الزمن هو البعد الأكثر أهمية في حياة الأمم . . . وقد سبق الإسلام لهذا المفهوم واعتبر الزمن المنتج هو حياة الإنسان . . . فنظرة علمية وعضوية إلى هذا الإنسان يتبين أن نقطة المسؤولية وبداية تحمله للتكاليف تأتي في سن مبكرة من حياته " سن البلوغ " يكون عندها رجلا من الرجال بجسمه وعقله وميوله وطموحه، وعليه فإن الإسلام اعتبر هذه النقطة بداية التكليف وإشارة إلى انتقاله من مرحلة الأخذ والاستهلاك إلى مرحلة العطاء والإنتاج مشاركا والديه في متاعب الحياة ومساقها».

(آل لوتاه، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ص ١٧).

ج - نظام الدراسة في المدرسة:

تعمل المدرسة بنظام الفصول الدراسية -أربعة فصول- ويستغرق كل فصل ثلاثة أشهر، منها نصف شهر عطلة، وبذلك تكون العطلة شهرين فقط في السنة موزعة على الفصول الأربعة.

وهنا نجد أن التلميذ لا يتعرض للفقد في المعلومات بالنسيان أو انقطاع تسلسل المعرفة، كما يحدث في نظام العطلات المدرسية، ففي كل فصل دراسي يقدم للتلميذ مستوى تعليميا معينا يناسب مستواه وإذا لم يحققه فإنه يعيد الدراسة في فصل فقط خلاف ما يحدث في النظام العادي حيث يعيد التلميذ سنة كاملة. (آل لوتاه، نحو نظام تعليمي جديد، ١٤٠٦هـ، ص ١٣-١٤).

د - مراحل التعليم بالمدرسة:

السلم التعليمي بالمدرسة ينقسم إلى ثلاث فئات بطريق ٤-١-٤ ويكون مجموع الدراسة حوالي تسع سنوات بعدها يتخرج التلميذ إلى الحياة العملية في التخصص الذي اتقنه وإليك فكرة مختصرة عن هذه المراحل.

الدراسة توزع إلى ثلاث حلقات وليست إلى مراحل وكلها متكاملة والزامية.

- **الحلقة الأولى (التأسيسية)**

وهي حلقة تأسيسية لمدة أربع سنوات أي: ستة عشر فصلا دراسيا ينتهي منها التلميذ، وقد تمكن من:

= أحكام دينه في العبادة والمعاملات.

= اللغة العربية قراءة وكتابة وتعبيرا.

= الحساب وتطبيقاته في مختلف شئون الحياة.

= أساسيات المعرفة العلمية والإنسانية.

= أساسيات لغة أجنبية.

= القدرة على التعبير الحركي والفني والمهارات الأساسية في المجالات التقنية.

بمعنى إعداد التلميذ بالمهارات الأساسية للتعليم من قراءة وكتابة وتخاطب وحساب فضلا عن تزوده بالقدر الأساسي من المعارف الإسلامية والعامة والمهارات المتعلقة بهما، مثل:

= «تلاوة القرآن الكريم بأحكام التلاوة الصحيحة بالمصحف الشريف».

= حفظ ما لا يقل عن ثمانية أجزاء من القرآن الكريم مع فهم الألفاظ والمعاني وأسباب النزول.

= حفظ ما لا يقل عن مائة حديث شريف مع فهم المعنى».

= القدرة على تناول وتداول الأدوات الأساسية لأعمال الورش وأحكام انتاج عينات ونماذج مبسطة.

= معرفة أساسيات الحياة في كل من النبات والحيوان ومعرفة وظائف الأعضاء الأساسية لجسم الإنسان وطبيعة الصحة والمرض». (الصراف، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم فلسفتها ونظامها وأساليبها، وثيقة (١)، ١٤٠٩هـ، ص ١٤-١٥).

- **الحلقة الثانية (التوجيهية).**

وتستغرق هذه الحلقة سنة كاملة عبارة عن أربعة فصول، وهي امتداد للحلقة الأولى التأسيسية وهذه الحلقة تحاول أن تكتشف قدرات واستعدادات وميول التلميذ

تمهيدا لإلحاقه بأي من شعب التخصص التالية :

= شعبة الدراسات الدعوة الإسلامية .

= شعبة الدراسات اللغوية والإنسانية .

= شعبة الدراسات الطبيعية والرياضيات .

= شعبة الدراسات الحيوية .

= شعبة الدراسات المنزلية .

بحيث تكون شعبة الدراسات الإسلامية واللغة العربية والأجنبية عاملا مشتركا في كل الشعب . (الصراف، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٩هـ، ص ١٦).

- **الحلقة الثالثة (التخصصية).**

وهي أربع سنوات وتحتوي على ستة عشر فصلا دراسيا وتتشعب إلى تخصصات على مستوى عال :

١- العلوم الدينية والدعوة ٢- اللغات والترجمة .

٣- الاقتصاد والبنوك الإسلامية . ٤- إدارة الأعمال . ٥- التجارة .

٦- الهندسة (مدنية - كهربائية - اتصالات - ميكانيكية - زراعية) .

٧- مجالات صناعية مثل : البنزين والبترول، البلاستيك، الحاسبات، الالكترونية، الآلات الدقيقة، وأدوات القياس، تكنولوجيا الطاقة الشمسية، الصناعات الغذائية، مجالات متنوعة، مثل : العلوم المنزلية، التربية، وتكنولوجيا التعليم التمريض، العلاج الطبيعي . (المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٩هـ، ص١٧-١٨).

وعند انعام النظر في هذه المدرسة يجد القارئ أنها راعت «أن تكون جميع عناصر المنهج من أهداف ومقررات وأنشطة ووسائل وأساليب تعليم وخطة دراسية . . . مشتقة من روح الكتاب والسنة، وفي إطارهما، ويتم ذلك عن طريق استخلاص جميع المبادئ والأسس والتعاليم التربوية التي تسود المجتمع الإسلامي الأصولي مع الأخذ بما يبرزها ويدعمها من أساليب الحضارة المعاصرة وأدواتها» .
(الصراف، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٩هـ، ص ٧).

فالمدرسة بصفة عامة تسعى إلى التأكيد على :

(١) «إنماء القدرة في الفرد على الاتصال السليم بربه وبما حوله من مخلوقات وظواهر وتدبر كتاب اللّه الكريم واستيعاب أحكامه وحكمه وأوامره ونواهيه» .

(٢) «إنماء القيم الإسلامية عن طريق الممارسة والمتابعة والتشويق والترغيب والاقتناع لفضلها على سائر القيم التي تتسرب إلى المجتمعات الإسلامية الآن» .

(٣) «إنماء الحواس واستثمار مختلف القدرات العقلية والتوجيه إلى ممارسة عمليات المشاهدة والبحث والتقصي والتجريب والتسجيل والرصد . . . وإنماء الاتجاه العلمي في التفكير والحث على التعمق والتأصيل بهدف التجديد والابتكار» .

(٤) «إنماء روح المبادأة والكشف والاكتشاف والمخاطرة مع التوكل على اللّه وحب التجوال وخوض المجهول والتأمل والتدبر في ملك اللّه وجمال خلقه في انسجام الطبيعة ونظامها ونواميسها» .

(٥) «إشباع الحاجات الأساسية في طهارة وإذكاء للنفس على البدن والعقل على العاطفة واستغلال النشاط الهادف في التعلم وإنماء القدرات الجسمية لإتقان العمل ودقة الأداء وجودة الإنتاج» .

(٦) إنما الإحساس بالوقت ومسئولية الإنسان عنه في عبادته وفي معاملاته وفي إنجازاته وانتاجه» .

(٧) إنماء الحس الاجتماعي والشعور بالغير وعدم تعارض احتياجات الفرد مع الآخرين وحب العمل في فريق» . (الصراف، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم، ١٤٠٩هـ، ص ٧-٩).

هـ - المواد الدراسية في بعض السنوات الدراسية:

بعد الانتهاء من الحديث عن هذه المدرسة الإسلامية بدبي سيقدم الباحث جدولا للمواد الدراسية المقررة في كل من السنة الدراسية الأولى والرابعة والتوجيهية والتخصصية قسما (شعبة الدراسات الطبيعية والرياضيات، وشعبة دراسات الدعوة الإسلامية) .

السنة الدراسية الأولى	عدد الحصص الأسبوعية	السنة الدراسية الرابعة	عدد الحصص الأسبوعية	السنة الدراسية التوجيهية	دراسات الدعوة الإسلامية شعبة التخصص	عدد الحصص الأسبوعية	شعبة تخصص الدراسات الطبيعية والرياضيات	عدد الحصص الإسبوعية
١- علوم الدين		١- علوم الدين		تركز المواد	١- علوم الدين	٦	١- علوم الدين	٤
(عبادات وتهذيب)	٩	فقه وحديث وتفسير	٨	الدراسية	٢- أدب لغة	٣	٢- لغة عربية	٦
٢- لغة عربية		وتوحيد		فيها على	٣- نحو وصرف	٣	٣- فيزيقا	٦
(قراءة وكتابة)	١٢	٢- لغة عربية		التعمق في	٤- بلاغة	٣	٤- كيمياء	٤
ومحادثة		تعبير وأدب	٩	بعض المواد	٥- نقد أدبي	٣	٥- رياضيات	٨
٣- حساب	٩	ونصوص وخط		الدراسية	٦- صوتيات اللغة	٢	٦- جيولوجيا	٢
				تبعا لشعب	العربية			
٤- معارف بيئية	٤	٣- حساب وهندسة		الدراسية	٧- لغات سامية	٣	٧- لغة أجنبية	٦
		ومبادئ الجبر والمثلثات	٨	بهذه الحلقة	٨- علم الإنسان	٢	٨- أشغال	٢
٥- تعبير فني	٢			بغية الإعداد	(انثروبولوجيا)		تقنية	
		٤- دراسات طبيعية	٤	لنوعية التخصص	٩- تاريخ الحضارة	٢	٩- رياضة	٢
٦- تعبير حركي	٤	وإنسانية		على امتداد	الإنسانية		بدنية	
وإيقاعي		٥- أشغال تقنية	٢	سنة كاملة	١٠- لغة أجنبية	٩		
(تربية بدنية		٦- رياضة بدنية	٢		١١- أشغال تقنية	٢		
وأناشيد)		٧- لغة أجنبية	٧		١٢- رياضة بدنية	٢		
	٤٠ ساعة		٤٠ ساعة			٤٠ ساعة		٤٠ ساعة

في هذا الجدول الدراسي يلاحظ القارئ له أن هناك موادا أساسية تلازم المتعلم منذ السنة الأولى وحتى تخرجه ومن ذلك.

أ - العلوم الدينية التي تأتي على قائمة الأسبقيات.

ب- اللغة العربية التي تأتي في المرتبة الثانية.

ج - الأعمال التقنية التي تأتي في المرتبة الثالثة ابتداء من السنة الثالثة الدراسية، وفي مختلف التخصصات وهنا تتضح حقائق مهمة وهي:

١- أن المدرسة الإسلامية بدبي تعتبر مدرسة تكاملية نوعا ما.

٢- أن منطلقها الكتاب والسنة.

٣- مسايرتها للعصر الحاضر وتلبية احتياجات المجتمع ومتطلباته.

٤- اختصار مدة الدراسة دون إخلال في إعداد المسلم وتمكينه من علم يواكب به تطورات العصر ومتطلباته ويكون ملائما لاستعداداته وقدراته.

ومن الجديد بالذكر هنا أن المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم كانت فكرة تختمر في ذهن الحاج "سعيد بن أحمد آل لوتاه" ثم ظهرت إلى حيز الوجود عام (١٤٠٢هـ) وقد كتب عن هذه المدرسة الأخ/ "عبد العزيز بن محسن بن صالح الخطابي" رسالة كاملة للحصول على الماجستير من جامعة أم القرى، كلية التربية - قسم التربية الإسلامية والمقارنة، عام (١٤١٤هـ).

تحدث في هذه الرسالة عن أهداف المدرسة (ص ١٧) ومقرراتها الدراسية (ص٣٦) والوسائل المستخدمة (٤٣) والامتحانات (٤٤) والمهارات التي تقدم فيها (ص ٥٠-٥٨).

وقدم الدارس تقويما عاما عنها قائلا: إن «هذه المدرسة أنموذج فريد وممتاز وخطوة كبيرة نحو التكامل التعليمي ونحو التجديد الذي ينادي به بعض رجال التربية والتعليم» (٩٨).

غير أنه يستدرك على هذه المدرسة بأن نجاحها لم يتجاوز ٥٠٪، كما قال صاحب المدرسة نفسه "الحاج سعيد أحمد آل لوتاه". (ص ٩٨).

وهناك ملحوظات على هذه المدرسة من قبل الدارس تطرقت إلى:

١- المقررات التي لم تكن مكتملة ومتكاملة وخاصة في مرحلة التخصص. (ص٩٩)

٢- طرق التدريس والتي تنزع إلى طريقة الحوار والمناقشة وهذا من حسنات المدرسة . (ص ٩٩).

٣- النشاط : والذي مازال بحاجة إلى دعم أكبر . (ص ١٠٠).

٤- الخريجون نجحت المدرسة في إعدادهم في سن مبكر وأثبتت التقارير حسن الأداء والإتقان في أعمالهم . (ص ١٠٠).

٥- طول اليوم الدراسي والذي تمتد فيه الدراسة إلى ثمان ساعات يوميا إضافة إلى يوم الخميس وقد تأقلم الطلاب مع هذا النظام . (ص ١٠٠).

وهناك ملحوظات أخرى بحاجة إلى أن تتلافاها المدرسة ، والتي مازالت ناشئة وهذه الملحوظات كما يقول الدارس :

لاتنقص من أهمية المدرسة ولا تغمطها اجتهادها وصمودها أمام التيارات الوافدة ، وهي وإن انشئت لغرض مجابهة مثل هذه الحضارة المعاصرة لتلبية المجتمع ومتطلباته ، إلا أنها مازالت بحاجة إلى المزيد من الدعم والتوسع في برامجها مع تلافي القصور الحالي فيها .

٤- منطلقات التعليم الأساسي:

ينبغي أن لا ينطلق التعليم الأساسي إلا من منطلقات أساسية وفكرية تتسم بالأصالة والمعاصرة تجمع بين انتمائها للدين الإسلامي انتماء صادقا وبين تلبية حاجات المجتمع في العصر الحاضر دون أن تمس تعاليم الإسلام بأي إساءة وهذه المنطلقات هي :

(أ) وضوح التصور للكون والألوهية وعلاقات الإنسان بذلك:

يجب أن ينطلق التعليم الأساسي الذي يقدم لأبناء المسلمين من منطلق ومنهج إسلامي يكون مشتملا على تصور الكون وعلاقة الإنسان به وأهمية الآيات والعجائب التي تدل على قدرة الله تعالى وتسخير ذلك للإنسان ، ثم علاقة الإنسان بربه وهي علاقة عبودية وتذلل وخضوع .

ومن ينعم النظر في التربية الإسلامية يجد «أن لنا دينا هو الإسلام ، وهذا الدين يشكل منهج حياتنا وللإسلام عقيدة ونظرة إلى الكون والحياة ، والإنسان تشكل هذه النظرة تصورا مستقلا للوجود ودور الإنسان فيه ، وعلاقة الإنسان بالوجود ودوره

والعلوم التي تبحث في الإنسان وتبحث في الكون لا تكون إسلامية ما لم تبن على عقيدة الإسلام ونظرته إلى الحياة» . (الأشقر، اسلمة التعليم في ديار المسلمين، ١٤١٤هـ، ص١٢-١٣).

ولما كانت العقيدة هي التي أهلت لتقديم التصور الواضح عن الكون والإنسان وعلاقاته كان لابد من توجيه المتعلم وتبصيره بالكون وبما فيه وبعلاقات الإنسان بخالقه وبإخوانه وببقية المخلوقات؛ لأن العقيدة هي التي تهيمن على التربية والتعليم.

لذلك رأى الباحث أنه يستحسن تقديم نماذج تطبيقية على أهمية العقيدة ومدى تغلغلها في مختلف التربيات في العالم كله، وأن التعليم أيا كان نوعه يسير في ظلالها فها هو "جوفرن" أحد كبار التربية فيما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي سابقا يقول: «إن العلم الروسي ليس قسما من أقسام العلم العالمي، فإن سمة العلم السوفيتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لاتزال في حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التي قدمها "ماركس" و "انجلس" و "لينين" و "ستالين".

إننا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة- في معترك العلم الطبيعي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة» (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص٤٦-٤٧).

ولم يكن "جوفرن" السوفيتي متمسكا بعقيدته المادية وحده بل هناك كثير من المربين الغربين يؤكدون على أن النظام التعليمي ليس من البضائع التي تستورد من بلد إلى بلد كالمصنوعات أو المواد الخام بل ينطلق من عقيدة المجتمع فهذا أحد المربين الأمريكان يؤكد هذا المعنى قائلا: «إن عملية التربية ليست تعاط بيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل».

ثم يعلو صراخه وتزداد ثورته فيقول: «إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية الأوروبية إلى بلادنا الأمريكية». (الندوي، ١٣٩٦هـ، ص٤٨).

إن الغرب أصبح ينظر إلى النظام التعليمي على أنه قنطرة يصل بين الحاضر والماضي والخلف بالسلف والمعلومات بالعقائد فهذا أحد خبراء التربية في بريطانيا

يؤكد هذا المعنى في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية قائلا: «لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعا أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها». (الندوي، ١٣٩٦هـ، ص ٥١).

لايشك أحد بأن "جون ديوي" أحد القمم التربوية والذي تأثر به غالب المفكرين المسلمين وكان تأثيره في النظام التربوي الأمريكي أكبر من تأثير أي رجل في عصره، يؤكد على أن نظام التربية والتعليم ينبغي أن ينطلق من عقيدة المجتمع فيقول: «إن الأمة إنما تعيش بالتجديد، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها، ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياته». (الندوي، ١٣٩٦هـ، ص ٥١).

من خلال إيراد الشواهد والأدلة من خبراء التربية في كل من بريطانيا وروسيا وأمريكا يتأكد للمسلم أن نظام التربية في أي بلد ينطلق من منطلقات عقائده وقيمه حتى في مجال العلوم الرياضية فليست علوما محضة ليس للعقائد دخل بها كلا:

«إن الذين ألفوا هذه العلوم صبغوها بالصبغة التي يعتقدونها، إن العلوم التي ألفها اليونان اصتبغت بالعقيدة الشركية التي كانت تسيطر على عقولهم . . . وعند ما صعد أحد الرواد الشيوعين إلى الفضاء قال: صعدت إلى أعلى ولم أجد الله، وكل العلوم المبنية على الفلسفة الشيوعية تحاول في منطلقاتها ونتائجها أن تؤكد النظرية الكفرية التي تنكر الخالق والآخرة وتكذب بالرسل والكتب». (الأشقر، اسلمة التعليم في ديار المسلمين، ١٤١٤هـ، ص ١٥-١٦).

واستراتيجية تطوير التربية العربية هل انطلقت من العقيدة الإسلامية التي يدين بها أكثر من ألف مليون مسلم؟ أم أنها انطلقت من مبادئ وتصورات بعيدة عن العقيدة الإسلامية ومخالفة لها؟.

لقد كانت المبادئ التي انطلقت منها استراتيجية تطوير التربية العربية غير مستمدة من المجتمع الإسلامي، وإنما هي مبادئ دخيلة ووافدة علينا وتتعارض مع عقيدة الإسلام فهل هي جديرة والحال هكذا أن تنشئ أجيالا تصلح لأن تكون في مكان القيادة والتوجيه وفي مركز المسئولية؟

وكيف ستكون الناشئة مستقبلا إذا كانت المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية مبادئ وافدة ودخيلة ومتضاربة مع عقيدة الإسلام؟

إن وضوح التصور يؤدي إلى «أن تصبغ جميع العلوم بالعقيدة الإسلامية فاللّه هو الخالق لهذا الكون والكون وحدة تدل على هذا الخالق والكون كله . . . تتجاوب أصداؤه بالتسبيح لخالقه ويمكن أن نصل إلى هذه النتائج من خلال دراسة الفيزياء والكيمياء والفلك وغير ذلك من العلوم.

إذن نحن لا نرفض دراسة حقائق العلوم التي توصلت إليها الأمم، وإنما الذي نرفضه إقامة هذه العلوم على أصول وفلسفات تناقض الإسلام بحيث توجه هذه العلوم وجهة تخالف أصول الإسلام كما تخالف نظرة الإسلام إلى الحياة نريد صياغة إسلامية جديدة لهذه العلوم تجعل هذه العلوم دائرة في فلك الإسلام بحيث تصبغ بالإيمان باللّه وخشيته والتوجه إليه ليصبح الإسلام إطارا لهذه العلوم ومحورا لها».

(الأشقر، اسلمة التعليم في ديار المسلمين، ١٤١٤هـ، ص ١٦-١٧).

ب - إقصاء التغريب من المواد الدراسية:

لكي تكون منطلقات التعليم الأساسي سليمة ومهيأة لأداء الواجب لابد من اقصاء المفاهيم والتصورات الوافدة في المواد الدراسية واستبعادها واستبعاد الولاء الفكري للمناهج الغربية من المناهج الدراسية في العالم الإسلامي.

وعند إنعام النظر في هذه المناهج في البلاد الإسلامية «فإننا لا نجد عندنا تعليما إسلاميا بهذا المعنى، إن العلوم المختلفة في المدارس والجامعات تقوم على أصول غربية فالعقلية الغربية التي صاغت العلوم المختلفة تسرى في العلوم التي تدرس عندنا في مدارسنا وجامعاتنا، إن كثيرا من هذه العلوم تناقض عقيدة الإسلام ونظرته إلى الحياة، بل تقرر أن الإنسان ليس بخلق الخالق وإنما تطور هكذا بدون خالق. إن العلوم غير مصتبغة بالصبغة الإسلامية في ديارنا بل هي امتداد لعقلية الغرب وعقيدته».

(الأشقر، ١٤١٤هـ، ص ٢١-٢٢).

وبما أن التعليم عندنا لم يقم وفق المنهج الذي نستطيع أن نقول إنه تعليم إسلامي فقد أحدث هذا التعليم «شرخا في عقيدتنا وإسلامنا جعلنا نتشكك في ديننا وجعلنا نقدس الغرب وحضارته وثقافته أكثر مما نعتز بإسلامنا وأصالتنا، وأن هناك داءا آخر

أصاب التعليم عندنا . . . ذلك أن التعليم الشرعي انحرف عن مساره الصحيح في القرون المتأخرة، فقد حورب الإبداع في التعليم والتأليف، ودخلت في الإسلام علوم ليست فيه وانحسرت عنه علوم اساسية . . . كما أصبحت طريقة التعليم عسرة صعبة، ولذلك فإن التعليم الشرعي لم يعط ثماره المرجوة منه في الحقب الأخيرة وأضف إلى هذا إهمال المسلمين العلوم التي تبحث في الحياة والإحياء مما سبب ضعف المسلمين وإبعادهم عن مركز القيادة». (الأشقر، ١٤١٤هـ، ص ٢٣-٢٤).

فالتعليم الغربي الوافد إلى بلاد المسلمين لم يكن الهدف منه إلا إبعاد الناشئة المسلمة عن الدين الإسلامي ومن ينظر في كتب التربية والتعليم في غالب البلاد الإسلامية يجد أن من أهداف التغريب والغزو الثقافي تدمير مفهوم الإسلام الصحيح، وذلك عن طريق السعي إلى إفساد المصادر والمراجع التي يعتمد عليها المسلم في فهم عقيدته وتاريخه، وهذه المؤلفات التربوية غالبا ما تسعى إلا إلى إفساد المفاهيم والتصورات لدى الناشئة.

و من هنا فقد سيطر أعداء الإسلام على دوائر المعارف وأشاعوا سمومهم فيها، ومن ذلك منظمة "اليونسكو" التي اعتمدت "استراتيجية تطوير التربية العربية" عليها اعتمادا كليا، «وهذه المنظمة مسخرة لتشويه العقيدة الإسلامية وتزييف المفاهيم والتصورات ومن مساهمتها في ذلك إخراج كتابين عن العالم الإسلامي كله مليء بالمغالطات والمفاهيم الخاطئة، واستفادت المنظمة "اليونسكو" هذه الطريقة من الخطة التي رسمها التغريب والغزو الثقافي، وبالتالي كانت المصادر العربية مليئة بالأخطاء والسموم؛ لأنها في حقيقتها ترجمة لما عند المستشرقين من مفاهيم وتصورات، ويغلب عليها الفكر الغربي». (الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص٧٣).

(ج) تحديد المصادر التربوية والتعليمية والتعريف بها:

في مجال التصحيح الفكري والتربوي والتعليمي ينبغي تحديد المصادر الأساسية في مجال التربية والتعليم، وذلك لكثرة المصادر المشبوهة والمشوشة التي يقصد منها أعداء الأمة الإسلامية تعكير الصفو على أبناء المسلمين بصفة عامة، وفي مجال مصادر المعلومات على وجه الخصوص، إذ لا يشك أحد في أن قيمة الأبحاث

والدراسات تعتمد في المقام الأول على المصدر الذي استقى منه الباحث معلوماته، وكلما كانت المعلومات من مصادر موثوقة كلما كان البحث له قيمة كبرى وأهمية عظمى، وكلما كان المصدر ثانويا أو مشبوها فيه أو غير ثقة قلت قيمة البحث العلمية واعتبر بحثا غير علمي، ومن هنا يجب اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر أثناء تقديم أبحاث في الميدان الاجتماعي والتربوي والاقتصادي وغيرها؛ لأن القرآن منزه عن النقص والزيادة والتحريف محفوظ بحفظ اللّه له، وكذلك السنة النبوية المطهرة ففيهما الخير والرشاد لكل مناحي الحياة.

«أما الذين لا يعتمدون القرآن والسنة في مصادر دراساتهم وأبحاثهم فإنهم يحرمون هذه الفوائد من النظرة الشمولية والتشخيص الدقيق لاتجاهات الأحداث، وحتى لو عرفوا تشخيص بعض الأسباب فإنهم لا يستطيعون وصف العلاج الحقيقي للأمراض الاجتماعية والخلقية التي تصيب المجتمعات فتؤثر في تطور الأحداث وتوجيهها». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩).

أي: أن المصادر الشرعية واجبة التقديم باعتبارين:

أ- أنها أصدق من كل وثيقة في الأمر الذي يعالج؛ لأن مصدرها هو اللّه سبحانه وتعالى وهو المطلع والمهيمن على البشر.

ب- أنها أمان من الزيغ والهلاك والردي لمن تمسك بها وهذا شيء ملموس على مدار التاريخ البشري ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقد أخبر الصادق المصدوق بذلك.

وبما أن القرآن والسنة مصدرهما واحد، وهما أمان من الانحراف إذن فهما يعطيان المسلم التصورات والمفاهيم والقيم السليمة والتي في ضوئها يفسر الحدث ويحكم عليه وكل دراسة لا تعتمد المصادر الشرعية لابد أن تصاب بالنقص والتشوه والبعد عن التصور الإسلامي.

إن هذه المصادر الأصيلة لابد من الرجوع إليها في مختلف الدراسات التربوية والإجتماعية والثقافية، وهذه الدراسات التربوية والاجتماعية لا يصح لأحد «أن يتكلم فيها من ليس عنده علم من الشرع لذا لابد من اعتماد المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعا من الأوضاع الاجتماعية وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكيا واجتماعيا». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩).

إن كل من يتصدر لدراسة هذا الجانب المهم من حياة الأمة يجب عليه أن يكون ملما بالمصدرين الأساسيين وعقائد الفرق الأخرى المخالفة، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وإذا لم يكن مطلعا وملما بهذا فليس مؤهلا لأن يقحم نفسه في مثل هذه الدراسات التعمقية ويترك المجال لمختص يمكن أن يبدع؛ لأن فاقد الشيء لايعطيه». (السلمي، ١٤٠٨هـ، ص ٢٢١).

وإذا كانت هذه المعايير التي يجب توفرها فيمن يتصدر لمثل هذه الدراسات التربوية والاجتماعية فهل يمكن انطباقها على محرري الاستراتيجية؟ وهل الاستراتيجية معتمدة على المصدرين الأساسين أم على غيرهما؟.

(د) أولويات التعليم الأساسي:

إن ترتيب الأولويات شيء مهم في البناء التربوي، ومن السهل جدا أن تهتم الدول بقاعدة الأسهل قبل الأهم، وهو ما يميل إليه الشباب.

فمثلا نفس الإنسان تميل إلى اللهو، ومن السهل أن يجذب إليه بسرعة بخلاف أن تبنى فكر الشباب وعقيدته ليتعامل بها في المجتمع فهذا أهم من سابقه إن التربية الإسلامية لم تكن تلجأ إلى مبدأ الأسهل قبل الأهم بل إنها تعطي أهمية كبيرة للأهم قبل الأسهل وتطبق هذا المبدأ عمليا بصورة لم تعهد البشرية لها نظيرا، فها هو المربي الكريم سيدنا محمد ﷺ يواجه كفار قريش الذين يعبدون الأصنام ويقدسون الآباء ويعيشون في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، فتأبى أهل مكة قبول دعوة الرسول ﷺ وناصبوه العداء وحاربوه بكل ما يستطيعون فكريا واقتصاديا وثقافيا، ولكنه عليه الصلاة والسلام استطاع بفضل الله تعالى وتربيته له أن يتسلل إلى قلوب أصحابه ليس عن طريق دعوته إلى الاهتمام بالمبدأ أو تجميع قومه حول العروبة أو محاربة الظلم الاجتماعي والطبقي الذي كان شائعا بين قومه، بل كان سيجد العون والوقوف معه لو سعى إلى هذا المبدأ، وكان باستطاعته عليه الصلاة والسلام أن يجمع العرب على كلمة سواء في أقل مدة ممكنة وبأقل جهد ممكن.

لقد كان أمام المربي الكريم سيدنا محمد ﷺ سبلا كثيرة لتجميع الناس، ولكن أمامه طريق صعب وشاق وهو الأهم فمن أين بدأ؟.

من المعلوم «إن مهمة النبي ﷺ لم تكن التجميع، بل كانت التربية والبناء على

أسس ثابتة، فكان وحي الله عزوجل يوجهه وجهة البداية الصعبة؛ لأنها الأهم . . . بداية استهلكت من وقته ثلاثة عشر عاما متواصلة من الجهد والضنك والتعب، بداية كلفته معاداة الأهل والقبيلة محاربة العرب والعجم داخل الجزيرة وخارجها، كلفته الدم وتساقط الشهداء، كانت بداية العقيدة . . . إفراز العقيدة في النفوس . . . العقيدة التي هي الضريبة الضخمة التي منها وعليها تؤسس جميع الروافد والمصاب التربوية». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ١٠٧-١٠٨).

طبعا لقد اختار رسولنا الكريم ﷺ الطريق الصعب ولكنه الأهم وهو بذلك عليه الصلاة والسلام يقرر حقيقة إنها حقيقة بالغة الأهمية «حقيقة يفقدها أساس بنائنا التربوي . . . إننا نريد في مسارنا التربوي أن يأخذ العزيمة ويبدأ تلك البداية . . . بداية العقيدة، عندها فقط سنكون في دائرة السباق الحضاري بل على خط السياق الأول وسنحرز الفوز الحقيقي لا الفوز المنفوخ الخاوي ويومها سنكره العيش على الهوامش والفضلات والتبعية وسنحس بلذة الصدارة والناس على أثرنا ونور هدايتنا سائرون». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ١٠٨).

وهكذا يلمس المسلم أن التربية في عهد الرسول ﷺ كانت منصبة على الاهتمام بالعقيدة.

واستمرارا لعطاء التربية الإسلامية في العهود التالية لعهد الخلافة الإسلامية يجد المسلم أن علماء المسلمين وكل المربين قاطبة قد وجهوا الأمة على نهج وسلوك مسالك التربية الإسلامية الغنية بالعطاء الدائم والفوز المستمر؛ ولكن هؤلاء العلماء لم يكتفوا فقط بسلوك مسالك التربية الإسلامية وحسب، بل رتبوا العلوم التي تدرس على ضوء توجيهات التربية الإسلامية.

«ترتيبا يتفق مع مفهوم التعليم في الإسلام، فجعلوا في المرتبة الأولى العلوم التي تساعد على الهدف الأسمى للتعليم، وهو معرفة الخالق عزوجل ورسالة الإنسان "خليفة الله في الأرض"، ومن ثم صارت علوم الدين ذات المرتبة الأولى في التعليم في الإسلام». (العدوي، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه الحاضر، ١٣٩٧هـ، ص ١٩-٢٠).

وكان القصد من ترتيب العلوم هو العمل بها، وفي هذا يقول "أبو حنيفة" : «ماالعلم إلا للعمل به والعمل به ترك العاجل للآجل». (الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ١٣٤٢هـ، ص ٥٥).

كما يقول أيضا: «ينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال ثم ما يحتاج إليه في المآل». (ص ٧١).

ومع التوجه الصادق إلى دراسة العلوم ينبغي أن يراعي في ذلك الأهم فالمهم منها، وفي هذا الصدد يفاضل "ابن القيم" (١٣٩٨هـ) في كتابه "عدة الصابرين" بين العلوم والمعارف من حيث إفضائها إلى معرفة الله أو بعدها عنها فيقول في ذلك: «وتفاوت العلوم في فضلها بحسب إفضائها إلى هذه المعرفة "معرفة الله" . . . فكل علم كان أقرب إفضاء إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه» (ص ٩٣).

ويقول في موضع آخر: «وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها». (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د. ت، ١/ ٨٦).

ويؤكد حاجة الناس إلى هذه العلوم قائلا: «حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء . . . فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ماجاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز، الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم». (مفتاح دار السعادة، د.ت، ٢/ ٢).

ومن هنا فقد تواضعت الأمة على جعل القرآن القاعدة المطلقة والأساس الأول للتعليم والتربية، وكل علم لهداية الإنسان وإنقاذه لا بد أن يتأسس عليه و ينطلق منه وهذا يعني أن يعود القرآن فيكون المادة في كل مراحل التعليم وفي شتى التخصصات والفروع. وهذا يعني أيضا أن يكون القرآن مكونا أوليا في المواد الأساسية وفي لب المنهج الدراسي.

ولا شك «أن موضوع تعليم القرآن قراءة وكتابة كان هو الموضوع المحوري في هذا التعليم مهما كانت المؤسسة التي تقدمه ومهما كانت طبيعة المرحلة التعليمية القادمة، فسواء اتجه الطالب فيما بعد إلى الدراسات الأدبية أو الدراسات الدينية أو الدراسات العلمية أو اتجه اتجاها مهنيا أو حرفيا . . . فإن حفظ القرآن وتعلمه قراءة وكتابة كان شعار التعليم الإسلامي وأهم سماته على الإطلاق، ولم يقبل المسلمون مع تعليم القرآن بحماس ديني يفتقد المبررات العقلية والأسس الإجتماعية، بل كان إقبالهم على ذلك بناء على إدراك سليم بأن حفظ القرآن في تلك المرحلة تكسب

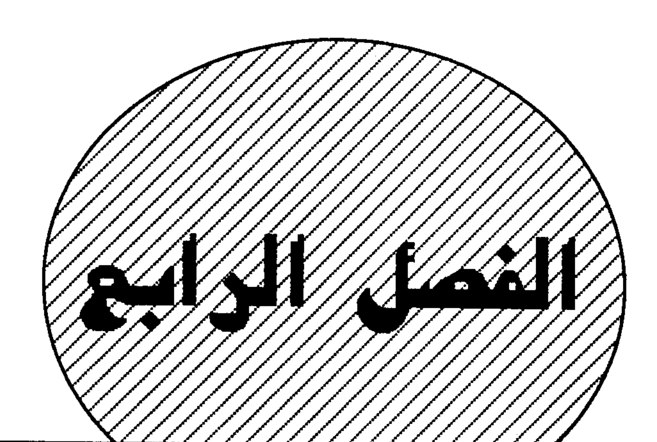
الطفل الطابع الإسلامي الأصيل». (النقيب، بحوث في التربية الإسلامية، ١٤٠٤هـ، الكتاب الثاني، ص٣٥-٣٦).

يقول "أحمد فؤاد الأهواني " (١٣٨٧هـ): «وكان حفظ القرآن أو حفظ ذلك القدر اليسير منه كاف في طبع الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة، فالقرآن ديوان المسلمين فيه جوهر العقيدة وفيه تفصيل العبادات، وفيه إرشاد للسلوك الفاضل والطريق المستقيم». (التربية في الإسلام، ص ٣١٠).

ويوضح "ابن خلدون" (د. ت) أهمية تعليم القرآن بقوله: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق منه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي تبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل مابعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه». (المقدمة، ص ٤٥١).

ذلك لأن تعلم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما يفتق الألباب والقلوب ويرسخ الإيمان ويكون عقيدة المسلم وأخلاقه وأفكاره وتصوراته. وقد رغب الرسول ﷺ في العناية بالقرآن وتعلمه وتعليمه قائلا: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن، ٩/ ٦٦-٦٧).

وخلاصة القول في مجال الحديث عن أولويات التعليم الأساسي أنه ينبغي عند وضع أى منهج للتعليم مراعاة هذه الأولويات بحيث يكون الإيمان بالله والعقائد والأحكام الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المحور الرئيسي للتربية والتعليم الذي ترتكز عليه كافة المواد والأنشطة التعليمية الأخرى، وينبغي كذلك أن يكون هناك قدر من المعرفة الأساسية يفرض تعليمه على كل مسلم في جميع مراحل التعليم من أعلاها إلى أدناها، ومن خلال هذا المحور ينظر المسلم إلى الكون وإلى الحياة الدنيا والآخرة، ومن خلاله يتعامل مع هذا الكون والإنسان والحياة ويتخذ مواقفه من الآخرين. (الميداني، غزو في الصميم، ١٤٠٥هـ، ص ٢٤٣-٢٤٦).



الفصل الرابع

قواعد عامة توجه تطوير التربية الإسلامية مستقبلا في العالم العربي والإسلامي

١- اعتماد المصادر الإسلامية عند بناء الخطط التربوية.

٢- جعل العقيدة الإسلامية محور الأنشطة الحياتية كلها

٣- تحديد وفهم الغاية العليا من التربية تحديدا سليما

٤- التميز التربوي "الولاء والمفاصلة"

وفي ختام هذه الدراسة يود الباحث أن يؤكد على أن التربية هي عملية قصدية تهدف إلى إعداد الإنسان المسلم الصالح العابد للّه سبحانه وتعالى، ولا يتحقق هذا الإعداد إلا من خلال قواعد معينة- وأساسية يجب أن تكون خالدة في الذهن والذاكرة لتكون هذه القواعد بمثابة منارة يسترشد بها القارئ والمطلع والمخطط والقائد التربوي أثناء بناء خطة تربوية إسلامية مستقبلية أو الإقدام على مشروع ما في ميدان التربية والتعليم أو غيره، ومن هذه القواعد ما يلي :

١ - اعتماد المصادر الإسلامية عند بناء الخطط التربوية:

من الأمور البدهية أن مستخرجات التعليم الإسلامي في صدر الإسلام أوجدت جيلا فريدا لا ولم ولن يجود الزمان بمثلهم، وذلك لتحقق عناصر التربية الثلاثة : «المربي والمنهج والعنصر المتلقى، فلا شك أن المنهج الأعظم في هذا الوجود هو كتاب اللّه تعالى، ولا شك أن المربي الأعظم في هذا الوجود هو رسول اللّه ﷺ ، والعنصر المتلقى للتربية هو الذي تمت صياغته وهو الذي يمكن أن يكرر في كل جيل، ولكن ضمن حدود . . . المنهج لم يتغير كتاب اللّه . . . ولأننا نملك منهج التربية نفسه نملك السيرة النبوية التي نقلت لنا طريقة تربية هذا الجيل» . (الغضبان، المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية، ١٤١٣هـ، ١/ ٦).

نعم لقد استطاع عليه الصلاة والسلام « أن يكون من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير» . (شديد، منهج القرآن في التربية، ١٤٠٢هـ، ص ٦).

وبالتالي أثمرت التربية النبوية وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ بحق خير أمة أخرجت للناس، لم يعهد التاريخ حتى الآن مثيلا لهم.

إذا فالطريق واضح والمنهج موجود و«إذا جاز لأمة أن تتعثر في وضع أسس تربوية تنشئ عليها أبناءها أو تضطرب في البحث عن أهداف تربوية تحمي أجيالها من الزلل فإنه لا يغتفر لأمتنا الإسلامية أن تتجرع غصص الحيرة في هذا السبيل ؛ لأن أمتن الأسس التربوية وأرفع أهداف التربية والتعليم موجودة بين أيدينا متمثلة بعقيدة هذه الأمة وقواعد هذا الدين وتوجيهاته وتعاليمه التي انعم اللّه بها علينا» . (التميمي، نظرات في التربية الإسلامية، ١٤٠٥هـ، ص ٦١).

وهذا يدعو الأمة العربية والإسلامية إلى الابتعاد عن دعائم غربية للتربية الإسلامية لإثبات مصداقيتها فللتربية الإسلامية أسس ومبادئ تختلف أصلا عن النظريات التربوية الموجودة الوافدة من بيئات غير بيئات الإسلام ويكفي التربية الإسلامية شرفا أنها تعتمد على مصدرين أساسين هما: القرآن والسنة، وهذان الأساسان مفقودان من جميع النظريات الأخرى الأرضية، ولا يعني هذا أننا نرفض ماجاء في هذه النظريات من مبادئ موافقة لما عندنا ولا تتعارض مع مبادئ التربية الإسلامية، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم كلها بين أيدينا إلا شخص رسول اللّه ﷺ فإنه غائب عنا غير أن المنهج مازال قائما وموجودا والذي من خلاله تربى الجيل الأول الذي فتح اللّه على يديه الشرق والغرب ونشر دين اللّه في الآفاق واستحق وصف اللّه له بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. (آل عمران: ١١٠).

وما علينا إلا أن نترسم خطاهم ونسير على هديهم في تربية أبناءالأمة الإسلامية.

٢ - جعل العقيدة الإسلامية محور الأنشطة الحياتية كلها:

لما كانت التربية الإسلامية تسعى إلى بناء الإنسان المسلم بناءا متكاملا يحقق الهدف الأسمى من خلقه فإنه من الصعب إدراك تصور إسلامي صحيح عن الألوهية والكون والإنسان والحياة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية.

وإذا قام نظام تربوي بدون عقيدة واضحة فمن الصعب أيضا أن ينجح هذا النظام بل سيظل يسير بدون قائد «إن الإسلام هو سبيل البشرية إلى الحياة الراشدة الهانئة في الدنيا والآخرة، إلا أن الإسلام لا يقود إلى هذا النوع من الحياة إلا إذا جرت خطوات عرضه وتطبيقه حسب نظام خاص وترتيب معين . . . هذا النظام والترتيب أن يبدأ التركيز على غرس العقيدة وإشاعة الفضائل الإسلامية قبل تطبيق الحدود والشرائع». (الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي، وهكذا عادت القدس، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧٢).

إن هذه حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها فإنه «ما من نظرية تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية إلا وانبثقت من عقيدة، تحدد نظرها في الكون والحياة والإنسان وتتشعب عنها جميع أنظمة الحياة فيما بعد». (الغضبان، من معين التربية الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ص ٦).

وهذا يؤكد للمسلم أن التربية في المجتمع الإسلامي يجب أن تنبثق من عقيدة الأمة التي تدين بها وأن الاستفادة من الحضارات الأخرى يجب أن يخضع لمفاهيم الإسلام ومبادئه والمسلم مطالب بالاستفادة من أفكار الآخرين و«يأخذ من معطيات التفكير البشري في العلوم الإنسانية بحذر وبالقدر الذي لا يتعارض مع أصول عقيدته كما أنه يأخذ وهو عارف بصير بما يأخذ ويدع وهو عارف بصير بما يدع لا يضره أن يأخذ الحكمة أني وجدت فهو أحق الناس بها». (الغضبان، ١٤٠٢هـ، ص ٩).

إن العقيدة الإسلامية هي القاعدة الصلبة والمرتكز الأساسي في بناء الناشئة وتربيتهم «ولأهمية العقيدة في تربية الإنسان كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى العقيدة أولا سموا بالروح وتعليقا لها ببارئها لترتقي بجسم صاحبها عن ركونه إلى تحقيق رغباته المادية التي يتجه إليها بميله الفطري من غير توجيه». (الحمد، العقيدة نبع التربية، ١٤٠٩هـ، ص ٣١).

ولأهميتها في تربية الأمة طالت دعوة الرسول ﷺ في غرس العقيدة في نفوس أصحابه و«كان رسول الله ﷺ يلقى أصحابه في دار الأرقم: يربيهم ويعلمهم . . . يعلمهم العقيدة الصحيحة ويربيهم عليها . . . فتأصلت العقيدة في قلوب ذلك الجيل المنفرد ، فكانت تلك الطاقة الهائلة التي صنعت الأعاجيب». (قطب، واقعنا المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ٤٨٨-٤٨٩).

من المعلوم أن الأساس المتين والبنيان الراسخ يمكن إقامة عليه بناء شامخا وقويا أما الأساس غير المتين فإنه لا يمكن إقامة بناء شامخ عليه؛ لأنه ضعيف وغير متماسك ومن هنا فالتربية التي تنبثق من «عقيدة قوية وصالحة أقوى وأنفع من تربية صادرة عن عقيدة ضعيفة وفاسدة، ذلك لأن المجتمع الذي يقوم على عقيدة ضعيفة وفاسدة يصيبه التفكك ويظهر فيه التناقض؛ لأن مؤسساته تفقد ما يهديها إلى هدف واحد وما يجعلها متماسكة ومنسجمة ويحيط به الانحلال؛ لأنه يفتقر إلى المصدر الثابت الذي يستمد منه إرادته وقوته». (التوم، التربية والمجتمع، ١٤٠٣هـ، ص ٧).

إن الإنسان مفطور على معرفة الله تعالى وعلى أن جانب الخير متأصل في كيانه وإنما هناك مؤثرات تؤثر على هذه الطبيعة الإنسانية سلبا أو إيجابا لقوله عليه الصلاة والسلام: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يشركانه». (مسلم، الصحيح، ١٣٧٥هـ، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢٦٥٨).

وقد أكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠). وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾؟ (الأعراف: ١٧٢).

جاء في تفسير الفطرة أنها هي: «الملة وهي الإسلام والتوحيد». (الشوكاني، فتح القدير، د. ت، ٤/ ٢٢٤). وأن المراد بالناس هم كل مولود سواء كان كافرا أبواه أم غير كافر، أى حمل المعنى «على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وأنهم جميعا مفطورون على ذلك، لولا عوارض تعرض لهم فيبقون بسببها على الكفر». (الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٢٢٤).

ويشرح "الشوكاني" الحديث السابق قائلا: «أن كل أحد لوترك في وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين وهو التوحيد». (نيل الأوطار، ١٣٩٣هـ، ١/ ١٢٦).

ويرى "الشوكاني" (د. ت) أن بقاء اليهودي على يهوديته والنصراني على نصرانيته يعود إلى الوسط الاجتماعي وتأثير سلوك الوالدين وانعكاسه على سلوك الأبناء. (فتح القدير، ٢/ ١٩٨-١٩٩، ٢٤٣).

ويلخص "الشوكاني" (١٣٩٣هـ) حديثه عن الفطرة بقوله: إن «كل مولود يولد على الدين فإذا لزم غيره فذلك لأجل ما يعرض له بعد الولادة من التغيرات من جهة أبويه أو سائر من يربيه». (نيل الأوطار، ٨/ ١٤-١٥).

وإذا كان كل مولود يولد عل الفطرة فهذا يدل على أنه «لم يكن في تاريخ التربية فكرة كانت فعالية أقوى في تغيير مهمة التربية وتغيير وظائفها في حياة الإنسان . . . في تغيير البيئة الحضارية إلى بيئة تلائم طبيعة الإنسان، وفي كل جانب من جوانبها الدينية والتربوية . . . مثلما كان لمفهوم الفطرة الذي انطلق منه الإسلام . . . أكد مفهوم الفطرة أن الإنسان كائن يأتي إلى هذا العالم وفي خلقه فطرة خاصة به هي ما يرشحه لخير مصير عقلي وخلقي وديني وحضاري، وهي ما يجب أن يقرر نوع التربية الملائمة لهذا المصير والصالحة له.

وأكد هذا المفهوم أن ما يتوارثه المجتمع من دين أو فكر أو معتقدات أو حضارة يحكم عليه أوله بقدر ملاءمته أو عدم ملاءمته حاجات هذه الفطرة». (عثمان، النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية واستبداله بنظام إسلامي، مجلة الفكر العربي، العدد: ٢١، ١٤٠١هـ، ص ٢٩١).

إن حديث الفطرة «قذف بفكرة جديدة لم يكن لها مثيل من قبل فلقد أخرج هذا الحديث المولود البشري عن كل مجتمع من المجتمعات البشرية وعن كل عصر من عصورها وعزله ككائن مستقل عن المكان والزمان اللذين يولد فيهما ووضعه جانبا وجعل ما يتوارثه المجتمع من دين ومعتقدات وقيم . . . ممثلا في الأبوين في الجانب الآخر» . (عثمان، ١٤٠١هـ، ص ٢٩٢).

أي : أن حديث الفطرة جعل ما في البيئة موضع شك وحذر منها وأصبحت مهمة التربية «توفير البيئة التي تلائم فطرة الإنسان، وبهذا التغيير الجذري والأساسي في مهمة التربية ارتقت التربية من تربية ضيقة ونسبية تعكس دين مجتمع معين من المجتمعات البشرية وحضارته إلى تربية عالمية ترتبط بحقيقة الإنسان وبحاجاته في النمو العقلي والخلقي أينما كان وفي أي عصر كان . . . هذا هو ميزان التربية السليمة الذي وضعه الإسلام والح عليه» . (عثمان، ١٤٠١هـ، ٢٩٤-٢٩٥).

مما سبق يتضح للقارئ أن التربية التي تقوم بدون عقيدة لا يستقر لها قرار بل تنتج شخصيات مشوهة ومضطربة في تفكيرها، وأي تربية تنطلق من عقيدة قوية يظهر في ناشئتها قوة العقيدة وصلابتها وصحة الفكر والسلوك والاهتمام بالعقيدة نابع من أنها هي «الأصل في كل عمل، وهي المؤثر الأساسي في حسنه وقوته . . . فالتربية عديمة الجذور تذوي بسرعة وتجتاحها أخف الرياح وأقل الأمطار، كما أن البناء المقام على أرضية رخوة ينهار لأدنى عامل مضاد، وهذا مشاهد في كل تربية وتعليم بنيا على أمور باطلة أو غير ملائمة للإنسان في تكوينه لصدورها ممن لا يعلم حقيقة هذا المخلوق المتميز عن سائر الخلق لكن من يتربى تربية صحيحة تخالط كيانه وتطابق فطرته وتوافق عقله الصريح تظهر قوته بصورة لا تقارن بقواه المادية» . (الحمد، العقيدة نبع التربية، ١٤٠٩هـ، ص ٣٥).

إنه لا «يتصور قيام تربية إسلامية دون هذا الجانب من الإيمان الذي يجعل المسلم يقيم كل تصرفاته على هذه العقيدة، ولا يأتي عملا مهما كان مبعثه ودوافعه إلا بعد أن يرى حكم اللّه فيه؛ لأنه مكلف ومحاسب على جميع أعماله» . (حسين، التربية في السنة النبوية، ١٤٠٣هـ، ص ١٢).

وإذا تربى الجيل المسلم على هذه العقيدة لمس أدلة اللّه في كل شيء يحللونه

ويدرسونه حتى يصبحوا كالعالم الإخصائي "سيلهمان" الذي يقول: «أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت أدلة الله على التصميم والإبداع وعلى القانون والنظام تدل على وجود الخالق الأعلى». (الدمرداش، الله يتجلى في عصر العلم، د. ت، ص١٤١).

٣ - تحديد وفهم الغاية العليا من التربية تحديدا سليما:

بما أن المصدر قد حدد وقامت التربية على أساس عقيدة واضحة، فإن الغاية العليا من التربية قد حددت أيضا، فالتربية الإسلامية هي:

«عملية مقصودة تستضئ بنور الشريعة تهدف إلى تنشئة جميع جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقق العبودية لله سبحانه وتعالى يقوم فيها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه أفراد آخرين وفق طرق ملائمة مستخدمين محتوى تعليمي محدد وطرق تقويم ملائمة». (عبد الله، مفهوم التربية الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد: ٢. ١٤١٠هـ، ص٤٨).

وإذا فقدت الغاية من التربية سارت التربية على غير هدى وانتجت شخصيات مشوهة ومضطربة لا تعرف لها غاية ولا هدفا تسير بغير هدى وتقوم على غير أساس، إن افتقاد الغاية من التربية تجعل الأنشطة الحياتية خاضعة لآراء وأهواء الإنسان التي لاتثبت على حال، وإذا انطلقت التربية من هذا الأساس فلا ينتظر منها إلا تشويه المفاهيم والمبادئ ومسخ هوية الأمة وطمسها وجعلها تعيش بدون هوية ولا غاية.

إن معرفة الغاية من التربية تعتبر ركيزة أساسية في بناء المنهاج الدراسي؛ لأن الأهداف تسعى إلى تحقيق هذه الغاية وجميع الأنشطة الحياتية تكون محققة لهذه الغاية. وإن نظرة سريعة في مخرجات الرعيل الأول تمنح الإنسان المسلم صورة واضحة لقيام التربية على غاية محددة يعبر عنها المتعلمون بيسر وسهولة، دون تكلف أو مشقة أو عناء الجميع يعلم أن أي أمة من الأمم لا تستطيع أن تحمل رسالتها للآخرين إلا إذا كان أفرادها قد تشربوا هذه المفاهيم والمبادئ والقيم التي تنبثق من عقيدة يعتنقها جميع أفرادها عن طريق التربية التي تبلور تلك المبادئ والقيم وغيرها إلى سلوك واقعي ينشأ من قناعة الفرد بعقيدته ومبادئه وقيمه.

إن التربية النبوية أوجدت نسيجا متحدا في غايته، فها هو "ربعي بن عامر" ﷺ يحدد الغاية من التربية في كلمات موجزة وعبارة فصيحة يعجز عنها النظام التربوي

القائم في العالم العربي والإسلامي أن يوجد أمثال هذا الصحابي أو قريبا منه، يقول: " ربعي بن عامر " الذي كان رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس وقد سأله رستم «ما الذي جاء بكم»؟ الإجابة لم تكن عادية أو عابرة وإنما يستشف منها مدى نجاح التربية النبوية من خلال مخرجاتها الذين كانوا بحق خير أمة أخرجت للناس «اللّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد» . (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ١٧٩-١٨٠).

هنا حدد الغاية من التربية وحصرها في تحقيق العبودية للّه سبحانه وتعالى، وكان ولاؤه للّه تعالى لا للون أو جنس أو وطن بل رابطة العقيدة هي الرابطة التي تجمع حولها صحابة رسول اللّه ﷺ .

ومن هنا يتساءل المرء المسلم هل النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي يستطيع أن ينتج شخصيات مثل هذا الرعيل أو قريبا منه؟ .

إن الواقع يدل بكل تأكيد عجز النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي عن هذا كله لعدم وضوح الغاية، وتحديد المسار وجاءت " استراتيجية تطوير التربية " بمثابة ضغثا على إبالة فزادت الضعف ضعفا والوهن وهنا أجهزت على البقية الباقية.

«حقيقة العملية التعليمية في كثير من أنحاء العالم الإسلامي أشبه بمن يقيم أشكالا وهياكل من الثلج ثم يبكي على ذوبانها» . (أقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، (٣٤)، ١٤١٣هـ، ص ١٢).

أي: إن النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي ليس في المستوى المطلوب لعدم وضوح الرؤية والغاية التي يسعى إليها، فالتعليم «هو المحضن والرحم الذي تتخلق وتنمو فيه قابليات الإنسان وتتشكل شخصيته ومهاراته . . . صناعة التعليم . . . موادها الأولية هم البشر بكل مكوناتهم . . . هو صناعة مدخلاتها ومخرجاتها من البشر أكرم خلق اللّه . . . فالتعليم يتعامل مع أعقد المهمات وأخطرها وأبعدها أثرا لذلك، فإن أي خطأ أو خلل أو عجز أو تقصير سوف تكون له نتائجه الممتدة والمتراكبة على المستويات كلها» . (اقلانية، ١٤١٣هـ، ص ١٠-١١).

وبما أن الغاية ليست محددة والعقيدة الإسلامية غير واضحة في نفوس الناشئة

فالنتيجة الطبيعية تكون «انتاج شخصيات مشوهة مشوشة متناقضة وممزقة تعيش صراعا وأنشطارا ثقافيا لا ينتهي نتيجة لتناقض الموارد التعليمية واضطراب فلسفة التعليم». (اقلانية، ١٤١٣هـ، ص ٢٣).

٤ - التميز التربوي الولاء والمفاصلة.

لقد تحددت معالم المنهج التربوي في الرجوع إلى الكتاب والسنة وأصبحت العقيدة هي الإطار المرجعي لكل أنشطة الحياة واتضحت الغاية من التربية في المنهج الإسلامي هنا أصبحنا «نمتلك منهاجا تربويا شاملا يسد الثغور على فتنة الجاهلية المعاصرة ونستطيع من خلاله إعادة صياغة الفرد المسلم بما يتفق وأهداف الإسلام ويلبي حاجات الأمة الإسلامية». (بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، ١٤١٤هـ، ص ٩٤).

إن أي أمة لا تسير وفق السنن الربانية ولم تفقه عوامل الهدم والبناء فإنها تعرض مجتمعها لأن يخر صريع هذه السنن التي لا تحابي أحدا من البشر.

«ومن سنن اللّه أن البشر يتحملون مسؤوليتهم في الرقى والانحطاط فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى أو بالانتكاس والهبوط إلى الأسفل». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ١٤٠٨هـ، ص ٥٩).

لقد مكن اللّه سبحانه وتعالى لأمة الإسلام وجعلها متصدرة القيادة والريادة ولكنها لما أعرضت عن أمر اللّه تعالى وفسدت مفاهيمها وتصوراتها تردى حالها إلى الحضيض، ووصلت إلى مستنقع آسن وما حدث لها هو انطباق السنة اللّه، عليها حين عرضت نفسها لها «والإنسان حين يعرض نفسه لسنة اللّه لابد أن تنطبق عليه مسلما كان أو مشركا ولا تنخرق محاباة له» (قطب، في ضلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ١/ ٥١٤).

إن انهزامنا في الميدان التربوي هو نتيجة قصورنا وتقصيرنا ونحن «مسؤولون عن هزائمنا وتخلفنا الحضاري ومرفوضة كل محاولة تسعى إلى اتخاذ ممارسات الأمم الأخرى شجبا لتعليق هذه الهزائم وتبريرها». (خليل، العقل المسلم والرؤية الحضارية، ١٤٠٤هـ، ص ١٥٢).

إن تغيير الواقع التربوي لا يتأتى عن طريق استيراد أنظمة تربوية قامت على أسس الحادية فالأصالة تقتضي الاعتزاز بالعقيدة الإسلامية وجعلها منطلقا للتربية فالدول

النامية كما يقول "ادجارفور" (١٣٩٩هـ) في كتابه "تعلم لتكون" حين «أثرت النظم التعليمية المأخوذة عن النماذج الغربية أيام الاستعمار قد أدركت الآن أن النماذج المستوردة لا تناسب حاجاتها ولا تحل مشكلاتها». (ص ٨).

إن طريق الخروج مما نحن فيه لابد أن يعتمد على تغيير ما بالنفوس من تصورات ومفاهيم ومبادئ مستمدة من غيرنا، وهذا الطريق هو السبيل الأقوم الذي سلكه رسول الله ﷺ الذي اتبع مبدأ التخلية قبل التحلية، وبهذا الأسلوب استطاع عليه الصلاة والسلام أن يغير الواقع الذي تعيشه الجاهلية وأنشأ أمة لها تصور آخر رباني يقوم عليه واقعها. (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٢١).

لابد أن تكون مناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي متميزة في أهدافها ومحتواها بحيث تنشئ جيلا قويا «ونقصد بالتميز صياغة الفرد عقائديا وفكريا وسلوكيا بحيث يتشكل في صورة مستقلة هي الصورة الإسلامية بكل أبعادها وفق الكتاب والسنة المطهرة بالتصور الشامل للحياة في نواحيها الاجتماعية وغيرها». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ٩١).

وهكذا يجدالمسلم أن «صحة المجتمعات أومرضها أساسها صحةالفكر أومرضه» (الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي، وهكذا عادت القدس، ١٤٠٥هـ، ص٢٧٤).

كما وأن «المجتمعات التي تدور في فلك الأفكار الصحيحة تتفوق على تلك التي تدور في فلك الأفكار الخاطئة كما كانت حال الأمة المسلمة الأولى في صدر الإسلام وتفوقها على مجتمعات الرمان والفرس وغيرهما». (الكيلاني، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، ١٤١٢هـ، ص ٨٨).

ويقال بأن التصرف السليم فرع عن التصور السليم ومن هنا فما «سلوك الإنسان وتصرفاته إلا نتيجة لأفكاره فإذا تغيرت هذه الأفكار سواء بجهده أو بجهد غيره فإن سلوكه يتغير لا محالة». (سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ١٤٠٤هـ، ص ٨٠).

إن من المعلوم لدى الجميع أن مخططات أعداء الإسلام تعتمد على « احتواء وتدمير الأمة الإسلامية وتهدف إلى هزيمة الأمة فكريا؛ لأن هزيمة الأمة في أفكارها تجردها من الحصانة وتتركها فريسة لأي مرض أو وباء فيسهل بعد ذلك احتواؤها وتفكيك معتقداتها». (شبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ١٤٠٩هـ، ص ١٧).

لقد قامت الأمة التي رباها رسول الله ﷺ على العقيدة التي كانت أرحب في آفاقها من الدم والأرض والإقليم، وكانت المفاهيم والتصورات والمبادئ سليمة وصحيحة وراسخة ونابعة من عقيدة سليمة، وهذا الأسلوب هو المتبع في تغيير الواقع الجاهلي، ومنه انطلق المربي الأعظم رسول الله ﷺ في «نفي الأفكار الجاهلية البالية، ثم رسم طريق الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة صحيحة». (بن نبي، شروط النهضة، ١٣٩٩هـ، ص ١١).

إن تخلف العالم العربي والإسلامي واضطراب المفاهيم وانحراف التصور هو نتيجة بعد الأمة عن العقيدة الإسلامية ومعالم السنن، وهذا الوضع أدى إلى بعد «واقعها عن النظام الإسلامي للحياة . . . ثم إن بعد حياتها عن النظام الإسلامي، أخذ بدوره يبعدها عن التصور الإسلامي من جديد . . . وهكذا ظلت هذه الأمة تدور في هذه الحلقة المفرغة . . . حتى انتهت إلى أن تصبح غريبة غربة كاملة عن الإسلام». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٢٢-٢٣).

إن المفاهيم والمبادئ والتصورات التي نحن اليوم عليها غير المفاهيم والمبادئ التي كان عليها سلف هذه الأمة، وهذا هو حصيلة الانحراف الذي أصاب مفاهيمنا وتصوراتنا ومبادئنا، ولا شك أن إحياء الأمة الإسلامية يعتمد على «تصحيح المفاهيم أولا، ثم إقامة بناء جديد على المفاهيم الصحيحة» كما أنه لايمكن إحياء الأمة الإسلامية إلا إذا أقام هذا الإحياء على أسس أهمها «الرجوع إلى المنابع الأولى للإسلام الكتاب والسنة، وتخليص عقائد المسلمين مما علق بها وليس منها والذي كان له أثر على سلوكهم وعبادتهم وحركتهم». (حسن، الحركة المهدية والحركة السنوسية ضمن ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، ١٤٠٥هـ، ص ٤٠٣).

لقد أدرك أعداء الإسلام منذ البداية ظاهرة التميز الإسلامية وخاصة اليهود، ذلك أن سيدنا محمدا ﷺ كان دائما يحاول تشكيل شخصية متميزة في مختلف جوانب حياتها وقد وضع عليه الصلاة والسلام أصلا عاما للتميز وحذر من الذوبان في كيان الآخرين؛ لأن هذا الذوبان يمحي الشخصية ويقضي على كيانها، قال عليه الصلاة والسلام: «من تشبه بقوم فهو منهم». (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ٢/ ٥٠).

ومن إدراك اليهود لتأصيل الشخصية المسلمة وصياغتها صياغة متميزة أن قال

قائلهم للمسلمين «ما يريد هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - أن يدع من أمرنا إلا خالفنا فيه». (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ٣/٢٤٦).

إن المحافظة على الشخصية الذاتية لأي أمة من أهم ما تسعى إليه التربية، وهي دليل أكيد على قوة تلك الأمة التي تتميز بهويتها ولا تتهرب منها، وكلما قويت الهوية وتمسك الأفراد بها صمدت أمام الرياح العاتية والأفكار الهدامة وكلما ضعفت أو فقدت هويتها أصبحت لقمة سائغة وانصهرت في هوية أقوى منها.

إن الباحث لن يجانب الصواب إذا قدم دليلا من واقع الحياة المعاصرة ليدلل من خلاله على أهمية التميز التربوي والمحافظة على الهوية وأثرها في الأمة فالجميع يعلم أن اليابان «خرج من الحرب العالمية منهك القوي متضررا كما لم تتضرر دولة مثله ومع ذلك هو الآن في مصاف الدول المتقدمة . . . لأن الخط الواضح الذي سارت عليه اليابان منذ خروجها من الحرب هو التميز بهوية مستقلة». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص٩٢-٩٣).

فاليابان هنا حافظت على هويتها ولم ترض لأبنائها أن يتقمصوا شخصية العامل الغربي، ولهذا يجد المرأ أن اليابان لما بعثت «بعثة من أبنائها للتعليم في بلد الغرب ورجع أولئك المبتعثون متحللين من مبادئهم ذائبين في الشخصية الغربية منغمسين في الشهوات الفردية لم يكن من اليابانيين إلا أن أحرقوهم جميعا على مرأى من الناس ليكونوا عبرة لغيرهم». (العودة، وسائل دفع الغربة، ١٤١٢هـ، ص١١٣).

هنا يتساءل المرء لماذا أحرقت اليابان أبناءها؟ أهو تعد على التصرفات الفردية والحرية الفردية؟ أم أن هناك مكمنا خطيرا ينتظر اليابان وأبناءها؟.

طبعا لقد أدركت اليابان خطورة استيراد الأفكار والتصورات الغربية وفقدان الشخصية اليابانية وذوبانها في هوية أخرى فهذا يعني أن اليابان فصلت بين المعتقد والفكرة والثقافة والسلوك وبين المادة العلمية الحضارية إذ تناولت الوسائل العلمية مجردة عن وجدان وأخلاق وثقافة المصادر التي أتت منها فالحضارة سلعة يمكن استيرادها دون أفكار وعادات وثقافة روادها وأصحابها.

ونحن المسلمين نتساءل أيضا هل استفدنا من مثل هذه الدروس العبر وحاولنا أن نرسخ مبادءنا وقيمنا من خلال مناهجنا الدراسية وسياستنا التعليمية؟ أم كان شأننا

شأن المتسولين من غيرنا ننتظر ما يصلنا من فتات الموائد الغربية والشرقية ولم نكلف أنفسنا أن نقوم بفحصه وتمحيصه ونقده ووضعه تحت الميزان الإسلامي بل استسلمناله بكل سهولة ويسر والسبب يوضحه "أبو الأعلى المودودي" (١٤٠٤هـ) في كتابه : نحن والحضارة الغربية" قائلا :

«إن العقول التي تعودت أن تفكر بأسلوب الغرب وتؤمن بمبادئ حضارته لا تصلح بحكم مزاجها وتركيبها المخصوص أن تستقر فيها مبادئ الإسلام وإذا هي لم تتسع للمبادئ فما أحراها أن تنفر من الجزئيات والفروع وتخالجها في بابها أنواع الشكوك». (ص ٢٦).

هنا يتحدد التمايز والتفاضل بين التربية الإسلامية والتربيات الأخرى فكل تربية ولكل أمة من الأمم مبادؤها العقدية والفكرية وسماتها التربوية وليس من السهل أن تستورد أو تستعير جزءا من مبادئها من أمة أخرى ذلك «أن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم عن غير المسلم أو عن غير التقى من المسلمين في علم الكيمياء. . . ولكنه لايتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته ولامقومات تصوره ولاتفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه. . . من مصادر غير إسلامية ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٤٣).

إن المسلم الحقيقي «لا يملك أن يتلقى في أمر يختص بحقائق العقيدة أو التصور العام للوجود أو يختص بالعبادة أو يختص بالخلق والسلوك . . . إلا من ذلك المصدر الرباني ولا يتلقى في هذا كله إلا عن مسلم يثق في دينه وتقواه ومزاولته لعقيدته في واقع الحياة». (قطب، ١٤١٣هـ، ص ١٣٨).

لقدكانت الضحية هي النظم التعليمية في العالم العربي والإسلامي التي تعرضت للتغيير والتبديل والتطوير إلى الأسؤ وزاد مسلسل التضليل للأمة ولناشئتها التي ستتربى على مثل هذه المفاهيم والمبادئ والتصورات التي تصادم التربية الإسلامية.

لقد أخذ محررو الاستراتيجية المبادئ على علاتها ولم يفحصوها ويعرضوها للنقد والتمحيص ليروا مدى ملائمتها للمجتمع العربي والإسلامي وقربها أو بعدها من الإسلام، وخفي عليهم أن هناك معايير اجتماعية وثقافية لعملية التجديد يجب أن تكون في الحسبان وهذه المعايير هي :-

١- المحافظة على الجوانب المميزة للنظام التعليمي الإسلامي.

٢- أن يعكس التجديد روح العصر ومطالبه ولا يتعارض مع العقيدة.

٣- أن يمثل التجديد حلا لما يعانيه النظام التربوي من مشكلات. (عبد الجواد، التجديد التربوي معاييره ومحاذيره، مجلة التربية جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ، ص ٨٥-٨٦).

ويؤكد هذا "جون ديوي" قائلا: «إن الأمة إنما تعيش بالتجديد وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها» (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ٥١).

فهل تقرير الاستراتيجية حافظ على هوية الأمة الإسلامية وانطلق من عقيدتها أم قدم مبادئ من خارج بيئة الأمة الإسلامية وتبناها على علاتها واعتبرها مسلمات غير قابلة للنقاش والتقويم؟.

هل تعميق مفهوم الإقليمات والقوميات يعتبر سبيلا إلى توحيد الأمة أم إلى القضاء على وحدتها؟.

أما تعتبر العروبة من الشعارات الجاهلية؟

وهل الحضارة الإسلامية تنسب إلى العرب فقط أم إلى غيرهم؟.

وهل وجود مثل هذه المفاهيم والتصورات يمكن أن تساعد العالم العربي على تكوين المعاني الربانية في نفوس الناشئة؟.

أما بالنسبة للعروبة التي هي من شعارات الجاهلية فقد جعل اللّه الاجتماع حول الدين وحرم اللّه ورسوله مثل هذه الشعارات التي تفرق ولا تجمع وتشتت ولا تلم.

والقرآن الكريم بين أن لا رابطة تربط المسلم بالكافر لا في شئون الحياة الدنيا من ميراث وغيره ولا في شئون الخاصة بالآخرة من حب وموالاة.

والواقع التاريخي يشهد للأمم كلها أنها لم تجتمع على العنصر العرقي في البلد وإنما كان اتحادها لرابط آخر هو المعتقد سواء كان صحيحا أم فاسدا.

وكذلك بالنسبة إلى نسبة الحضارة الإسلامية إلى العرب فيه ظلم للأجناس الأخرى التي شاركت في بناء هذه الحضارة وهو خلاف للواقع التاريخي المسطور في الكتب وخلاف الواقع كذب والكذب محرم في شرع اللّه.

والحضارة الإسلامية ليست حضارة جنس من الأجناس وإنما هي حضارة تنطلق من منطلقات عقيدية وفكرية إسلامية لا عنصرية.

فهل إيراد مثل هذه الشعارات يحدث تميزا تربويا أم يحدث خلافه؟.

وبما أن محرري الاستراتيجية يمجدون العروبة والقومية والديمقراطية وهم ممن تبنوا مثل هذه الأفكار الساقطة والأسمال البالية، فالواقع يشهد «أن الذين تهيمن على أفكارهم ونفوسهم النزعة القومية . . . أو النزعة التحررية . . . أو النزعة الديمقراطية أو غير ذلك إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلدانهم أو لبلد خاضع لسلطانهم أو مشورتهم فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة تربية أجيال تحمل هذه النزعة أو تؤمن بها وتعمل على تأصيلها وخدمة قضاياها». (آل سعود، المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي، "دول مجلس التعاون"، ١٤١٤هـ، ص ١٨٤).

إن التميز التربوي "الولاء والمفاصلة" يقتضي هنا عدم استيراد أنظمة للحياة كلها لأن العقيدة الإسلامية التي يعتنقها المسلمون قدمت حلولا لمشكلاتهم وقضاياهم وبالتالي لا يصح عقلا ولا يجوز شرعا استيراد أنظمة تربوية أو غيرها في مجتمع المسلمين للأمور التالية:

١- إن الأنظمة المستوردة ومعالجاتها «حتى أن فرضنا صلاحها لا تنتج إنتاجا حسنا يضمن لها السعادة المرجوة والرقى المنشود؛ لأنها لم تنبثق من عقيدة المسلمين وحينئذ تفقد الدافع الذاتي . . . وبالتالي تفقد الولاء الصادق».

٢- إن تلك الأنظمة المستوردة وحلولها للمشكلات مهما كانت وأيا كان مصدرها فإنها لابد أن تكون متناقضة كليا أو جزئيا للأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية حيث أن الواقع أثبت التناقض بين العقيدة الإسلامية وبين غيرها من العقائد والمسلم مطالب «أن يأخذ أنظمة الإسلام كلها لا فرق بين نظام وآخر وأن يتقيد بجميع أحكامه التي عالجت مشكلاته وحلت قضاياه وذلك بكم إيمانه بالعقيدة الإسلامية وإلا لكان كافرا» لقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: ٨٥).

٣- «العقيدة الإسلامية هي قاعدة أساسية انبثقت عنها جميع أنظمة الحياة . . . وعلى

المؤمنين بهذه العقيدة أن يؤمنوا فقط بما انبثق عنها من أنظمة وما استخرج منها من معالجات وحلول ليصح إيمانهم ويكمل معتقدهم ويقبل إسلامهم».

٤- «إن العقيدة الإسلامية تفرض على معتنقيها أن يرفضوا أى نظام آخر غير أنظمتها مهما اشتدت مشابهته لأنظمتها لأن قبول معتقدي هذه العقيدة لذاك النظام تسليم بهزيمة أنظمة عقيدتهم وارتياب في صلاحيتها وطعن بأنظمتها ووسيلة لإخراجهم عن عقيدتهم». (البدري، حكم الإسلام في الاشتراكية، ١٣٨٤هـ، ص ٤١-٤٤).

وإذا أنعم الإنسان النظر في تقرير الاستراتيجية يجد أن المصدر الأصيل لتنظيم الميدان التربوي وتصميمه هو من اختصاص منظمة "اليونسكو" التي تعتبر منظمة يهودية صليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين وتسعى إلى طمس العقيدة الإسلامية وتضليل أبناء المسلمين لينشأوا بدون عقيدة وهوية تميزهم عن غيرهم.

لقد حذر اللّه المسلمين من التلقي في الرأي والمشورة من غير المؤمن فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠). وقوله تعالى: ﴿يـأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾ (آل عمران: ١١٨).

«إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج اللّه لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعدا في طريق النماء والارتقاء . . . هذا من جانب المسلمين فأما من الجانب الآخر فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها فهذه العقيدة هي صخرة النجاة وخط الدفاع ومصدر القوة الواقعة للأمة المسلمة». (ياسين، التربية الإسلامية في ظلال القرآن، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣٦).

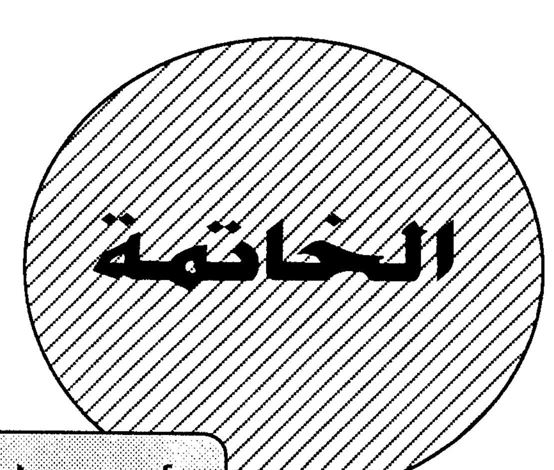
فالمسلمون في غفلة عن أمر ربهم الذي أمرهم «ألا يتخذوا بطانة من دونهم بطانة من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة والمسلمون في غفلة عن أمر ربهم هذا يتخدون من أمثال هؤلاء مرجعا في كل أمر وكل شأن وكل وضع وكل نظام وكل تصور وكل منهج وكل طريق». (ياسين، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣٧).

لقد كشف القرآن الكريم عن نيات الكفار وأهل الكتاب للمؤمنين وأنهم لا يألون جهدا في ردهم عن الحق الذي أشرقت أنواره وأنهم يتخذون صورا كثيرة للصد عن سبيل الله وإثارة الفتن والإيقاع بين المسلمين وألوانا من الشبه.

ووضح الله سبحانه وتعالى أن الخروج من هذا كله بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُون - وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣).

فهل يعي المسلمون أوامر الله ورسوله؟

وهل لهم مخرج غير الرجوع إلى المصدرين الأساسين؛ لأن فيهما النجاة من كل مهلكة والهدى دون الضلال؟.



الخاتمة

أ - نتائج الدراسة

ب - التوصيات

جـ - البحوث المقترحة

الخاتمة

لقد أعان الله سبحانه وتعالى الباحث على إنجاز هذه الدراسة وإتمامها وقضى فترة ليست بالقصيرة في كتابة هذا البحث وإعداده بعد جمع مادته الأولية، وها هو ذا يحط الرحال منهيا بذلك رحلة فكرية ممتعة تعتبر واحدة من أهم وأخطر قضايا العصر، إنها قضية إعداد خطة تربوية إسلامية مستقبلية للأجيال القادمة، وقد توجس خيفة من هذا الموضوع في البداية وزاد إحساسه بخطورته كلما تقدمت خطوات في دراسته وشعرت بعظم المسؤولية وجسامتها أكثر وأكثر.

ولهذا فقد كتبته على عجل؛ لأنه لا يوجد الوقت الكافي لتنقيحه وتجليته وكنت مرغما على ترك بعض ما جمعته؛ لأني لو ذكرته لكان حجم البحث قد تضاعف مرات لذلك اضطرت مكرها للاختصار، وترك بعض النقول الجميلة، وهي إن لم تضف جديدا في الموضوع فهي على الأقل تزيده قوة وتعطيه مذاقا حسنا.

إن هذه الدراسة في نظر الباحث خطوة على الطريق الصحيح، وهي في الوقت نفسه تأصيل لجانب مهم من الجوانب التي تمس حياة المجتمع الإسلامي بعد أن خدع بعض علماء التربية في أمتنا ببريق الغرب ونظرياته وأفكاره وفلسفته لدرجة تأثرهم بهم تأثرا كبيرا حتى أضحت كثير من النظريات والكتب المنشورة التي تحمل أفكارا وتصورات فاسدة بل ومسمومة هي الزاد الذي ينهل منه طلاب التربية دون القدرة على التمييز بين الصحيح والسقيم.

وعلى الرغم من أن التربية الإسلامية في مفهومها لا تعارض الاستفادة من الشرق أو الغرب إلا أنها وضعت لذلك ضوابط وحدودا يمكن من خلالها تنقيح ما يرد وفق تعاليم عقيدة الإسلام لذلك فهي ترفض كل ما يخالف هذه العقيدة الربانية؛ لأنها أساس البناء وقاعدته، ومازال بعض من تسنموا مركز القيادة والتوجيه مصرين على تبني الأفكار الوافدة «والغريب في الأمر هو أن أصحاب الفكر الغربي أنفسهم يؤكدون على أن ما يصلح لثقافة معينة لا يناسب غيرها من الثقافات ولو أدرك المربون عندنا هذه الحقيقة لما قاموا بتبنى هذه الأفكار اللقيطة التي يؤكد أصحابها على ارتباطها الوثيق بأوضاع اجتماعية معينة».

إذن «فإن الذين يدعون إلى تصحيح عقائد الناس، وإصلاح عباداتهم وإقامة

حكم اللّه في القلوب -ثم في الأرض- هم الذين ينفعون الناس . . . . وهم الذين يقتدون بهدي النبي ﷺ الذي ربى أصحابه على العقيدة والعبادة والإخلاص والأخلاق لا على العواطف والأحداث فأوجد اللّه على يده جيلا عجزت البشرية عن تربية أمثالهم».

إن التأصيل الذي تدعو إليه هذه الدراسة هو أن «تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة؛ وهي إحياء مدلول العقيدة في القلوب والعقول وتربية من يقبل هذه الدعوة تربية إسلامية صحيحة».

وأي «انشغال عن العقيدة - في مراحل سير الدعوة كلها- هو في ثمرته هدر خالص للمنهج السني النبوي في تربية الأمة وإنشاء أجيالها».

إن الدراسة المستقبلية في أي ميدان من ميادين الحياة المختلفة لابد أن تعتمد على الأصلين الكريمين: كتاب اللّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالرسول عليه الصلاة والسلام كان في كل مرحلة من المراحل الدعوية يسير وفق خطة محكمة مستبصرة، وكان ينظر إلى المستقبل دائما في أحلك المواقف وأحرجها ويبشر أصحابه بظهور الدين وإعلاء كلمة اللّه تعالى. فالمستقبل لهذا الدين شعار صحيح بلاشك، ولكن لابد من شروط التمكين وموانعه والعمل على إعداد الأمة وبنائها ورسم الخطط الكفيلة بتيسير سبيل ذلك وإنجازه.

إن هناك ثلاث عمليات لابد من إجرائها للوصول إلى بناء جديد لكيانها، وهي:

١- التحرر من آثار التشويه والانحراف الذي أصاب الإسلام في فهم المسلمين له، وكانت له نتائج سيئة لدى المسئين لهذا الفهم فسبب هذا التشويه الفكري والنظري التخلف والضعف، وكانت نتائجه لدى فئة أخرى اتصلت بالثقافة الأوروبية الحديثة الابتعاد عن الإسلام وسوء الرأي فيه ظنا منهم أن هذا الإسلام المشوه هو الإسلام.

٢- التحرر من نقائص الحضارة الأوروبية الحديثة الفلسفية الفكرية والعملية السلوكية مع استبقاء مكاسبها الصالحة النظرية والعملية.

٣- «إحلال الإسلام باعتباره نظاما عقائديا كاملا - أي بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محل الثقافتين: ثقافة العصور الوسطى الإسلامية المتجمدة والمشتملة على

انحرافات وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية والأهداف المادية».

وإذا تحقق هذا نكون قد تمكنا من تربية ناشئة على الإسلام المصفى من كل تحريف وتشويه وتزييف

وإذا أردنا أن نقوم أي خطة تربوية إسلامية مستقبلية فلا بد أن تتوفر فيها المعالم السابقة وتكون محققة للمعنى الاصطلاحي للتربية، وهو: «العمل بمختلف الأساليب والوسائل التي لا تتعارض مع شرعة الإسلام على رعاية الإنسان وتعهده حتى يصير سيدا في هذه الأرض؛ سيادة محكومة بالعبودية التامة للّه رب العالمين».

وهذا يعنى أن حقيقة التربية تتضمن ثلاثة أصول هي:

الأول: أن التربية يجب أن تركز على بعث عقيدة التوحيد وتطهير حياة الأمة من البدع والانحرافات كمقدمة لتأهيل الأمة لحمل الإسلام مرة ثانية».

الثاني: أن مقياس التربية السليمة هو قيامها على أصول مستمدة من القرآن والسنة وانسجامها مع تطبيقات السلف وإعادة توصيل المتعلم بالقرآن والسنة.

الثالث: أن التربية لا يمكن فصلها عن التوجيه العام للمجتمع، وهي ترتبط بالحياة اليومية وما يتفاعل خلالها من المعتقدات والقيم والعادات».

وإذا كانت الأمم غير الإسلامية لا تسيغ لنفسها أن تأخذ منهجا تربويا من أي دولة أخرى وحتى ولو كانت متماثلة في الفكر والمبدأ فحرى بأمة الإسلام أن تربأ بنفسها عن الاستقاء من غيرها في ميدان التربية وغيره مادام يخالف عقيدتها الإسلامية.

«والحل لهذه المشكلة أن يصاغ نظام التربية والتعليم في بلاد المسلمين صوغا جديدا يلائم عقائد الأمة الإسلامية ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على اللّه . . . وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى اللّه».

وإذ أنعم الإنسان النظر شرقا وغربا لوجد «أن الأقطار الإسلامية هي التي تعيش وحدها في فوضى تعليمية وغموض والتباس، بل في تناقض وصراع بين العقائد والحقائق التي تؤمن بها، والغايات والأهداف التي خلقت لأجلها والرسالة والدعوة التي تتبناها، وبين نظام التربية الذي تطبقه والنظريات التي تستوردها . . . إن ذلك من المآسي التي تحير العقل وتجرح القلب».

ما أصعب المهمة التي هي منوطة بأمة الإسلام والتي تتمثل في إعادة الثقة في نفوس المسلمين بدينهم وعقيدتهم ومنهجهم الأصيل ولن يتم هذا إلا عن طريق استئصال المفاهيم الفاسدة والتصورات المنحرفة والمبادئ البالية التي ترسخت في نفوس الناشئة، وهذه هو حصيلة عقود طويلة من الزمن «ولا ينبغي لنا أن نتوقع أن يتم ذلك التحول في سنوات قليلة؛ لأن الفساد في جسم الأمة الإسلامية إنما أصاب المفاهيم والتصورات «وذلك أخطر بكثير مما لو كان الفساد في السلوك وحده مع صحة التصور وسلامة المفهوم».

ودراستي هذه كانت منصبة على نقد بعض المبادئ الواردة في "استراتيجية تطوير التربية العربية" و"التعليم الأساسي"، وقد بذلت قصارى جهدي في هذه الدراسة، وكانت المفاهيم والتصورات الإسلامية نصب عيني وجعلت العقيدة الإسلامية منطلقي وأمامي للحكم على هذه المبادئ ومدى قربها أو بعدها من مفهوم العقيدة الإسلامية وتحقيقها للعبودية.

وقد نثرت ما بكنانتي وما أومن به وأعتقده وحاولت قدر المستطاع أن انطلق في دراستي هذه من منطلقات إسلامية وبعد تجوال طويل ودراسة متأنية لبعض المبادئ الواردة في الاستراتيجية والتعليم الأساسي خرجت منها بنتائج وتوصيات ومقترحات تمثلت في :-

أ- نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :-

١- أن الاستراتيجية تميزت بالجدة والنشاط والحيوية وسعت إلى تطوير التربية والتعليم في البلاد العربية لما رأته من تخلف في واقع النظام التربوي التعليمي إلا أنها جانبت الصواب في كثير من معالجاتها.

٢- اختلال المفاهيم والتصورات تعتبر سمة بارزة لدى محرري الاستراتيجية.

٣- كثرة المصادر في تحرير هذه الاستراتيجية وتعددها على الرغم من أنها مصادر مشبوهة بل وهدامة.

٤- فقدان المحررين معرفة الغاية الحقيقية من الخلق سبب ظلالا كثيفة وظلاما دامسا على الاستراتيجية بحيث لم تتضح الرؤية، ولم يكن معلوما معرفة الغاية من التربية لدى المحررين لها.

٥- الاقتباس من الحضارات كان عاما وشاملا بحيث لم يلتزم المحررون للاستراتيجية بالمعايير والضوابط العقدية.
٦- التأكيد على أهمية إخضاع عملية الانتقاء للضوابط العقدية.
٧- فساد التصور لدى المحررين شكل عقبة كأداء في طريقهم ولهذا جاءت تصوراتهم غالبا مغايرة للتصور العقدي في الإسلام.
٨- الاستراتيجية خلت من المختصين في العلوم الدينية؛ ولهذا حرمت من التوجيه الرباني وانطلقت من غير أساس متين أو بنيان راسخ.
٩- لا يمكن لهذه الاستراتيجية أن توجد جيلا مسلما بل على العكس من ذلك، فهي تخرج أجيالا لا هوية لهم ولا صلة لهم بدينهم وعقيدتهم وخالقهم.

ب - التوصيات:

١- تنمية فكر المسلم بحيث يقدم له تصورات واضحة عن الألوهية والحياة والكون والإنسان.
٢- كل معرفة تزيد الإنسان المسلم صلة بالله ومعرفة بقدرته وتحقق معنى العبودية لله تعالى فالمطلوب الاستفادة منها والحرص عليها؛ لأن تربية الإنسان المسلم على العبودية لله تعالى تنقله من حدود ذاته الضيقة إلى مجال الغايات الكبرى في الحياة، وهي عبادة الله وحده.
٣- إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي وإقامتها على أساس أخر ما هو قائم وواقع في معظم الدول.
٤- غرس الشعور بالكرامة في نفوس الناشئة وأنها عصمة وحماية له ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾ وهي كرامة تتغذى من عقيدته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾.
٥- ضرورة صياغة العلوم من خلال التصور الإسلامي.
٦- تجديد فهمنا للإسلام الذي نحن عليه بحيث يكون قريبا من فهم السلف الصالح.
٧- إخضاع النظم المقتبسة من الحضارات الوافدة ومبادئها للعقيدة الإسلامية ومبادئها وقيمها.

٨- الاستفادة من منابع التأثيرات العالمية وما فيها من جوانب إيجابية وأخرى سلبية بحيث نتمكن من تقدير الآخرين وكيفية التعامل معهم ويكون ذلك في إطار العقيدة الإسلامية.

٩- الاستفادة من الحضارات الأخرى يجب أن لا يكون في الجانب الفكري والثقافي.

١٠- لابد من إيجاد خطة تربوية إسلامية تكون غايتها تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وتساهم في تنشئة جيل مسلم قوي في دينه وعقيدته وفكره خاليا من التصورات والمفاهيم المنحرفة.

١١- إعادة بناء النظام التعليمي وتعديل سياسة التربية والتعليم من زاوتين:

أ- التنظيم الأكاديمي لعدد السنوات، كما حدد في المدرسة الإسلامية للتعليم بدبي.

ب- المنهج الدراسي.

١٢- إعادة بناء المناهج في البلاد الإسلامية في ضوء فلسفة إسلامية مستمدة من العقيدة الإسلامية تربط بين الثقافة الدينية والعلمية وبين الجانب النظري والعملي لتحقيق أهداف التعليم الإسلامي بحيث تكون مراعاة لخصائص نمو المتعلم وللتطور العلمي التقني.

ج - البحوث المقترحة:

يقترح الباحث بعض الموضوعات التي تكون امتدادا لموضوع الدراسة ومكملة لمساره مثل: -

أ- دراسة التعليم الأساسي الوارد في الاستراتيجية ومدى قربه أو بعده من أهداف التربية الإسلامية مقارنة بالتعليم الابتدائي في الاسلام.

ب- اهتمام العلماء الأوائل بالتعليم الابتدائ - الأسس والأهداف - ومدى توافقه مع حاجات المجتمع مقارنة بما ورد في استراتيجية تطوير التربية العربية.

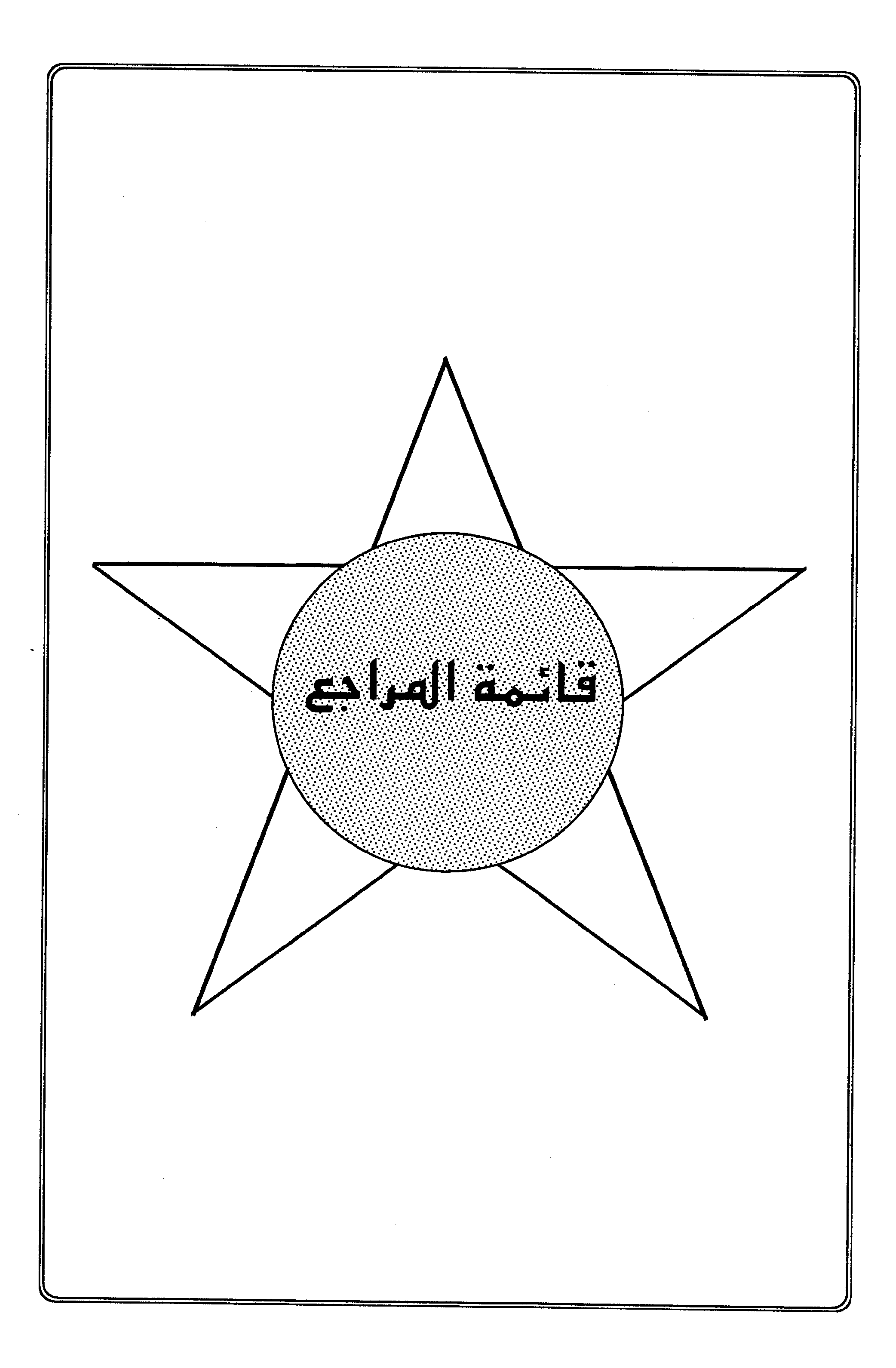
ج- إعداد المعلم المسلم من خلال الاستراتيجية ومدى قربه أو بعده من أهداف التربية الإسلامية.

د - واقع السمات العامة للتربية والتعليم في منهج التربية الإسلامية مقارنة بما ورد في استراتيجية تطوير التربية العربية.

هـ - مصادر استراتيجية تطوير التربية العربية من منظور التربية الإسلامية.

و - الأهداف والأسس التي انطلقت منها استراتيجية تطوير التربية العربية مقارنة بالأهداف والأسس التربوية الإسلامية.

ز - المعالم الأساسية التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم مقارنة بماورد في استراتيجية تطوير التربية الإسلامية.


قائمة المراجع

قائمة المراجع ×

١- القرآن الكريم.

٢- آل سعود، ثنيان بن محمد (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي "دول مجلس التعاون" السعودية، الرياض، دار أسامة.

٣- آل سعود، محمد بن الفصيل (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م) القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية، السعودية، مكة المكرمة، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، ١٣٩٧هـ.

٤- آل الشيخ، محمد بن عبد اللطيف (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، تحكيم القوانين، السعودية، الرياض، مطبعة سفير.

٥- آل لوتاه، سعيد بن أحمد (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، دليل المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي.

٦- ــــــــــ (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، نحو نظام تعليمي جديد عن المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي.

٧- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، نقد القومية العربية على ضوء الإسلام، السعودية، الرياض، دار طيبة.

٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (د. ت)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، دار الفكر، د. ن.

٩- ــــــــــ، (١٤٠٦هـ=١٩٨٥م)، العقيدة الواسطية، إعداد وتقديم مصطفى العالم، السعودية، جدة، دار المجتمع.

١٠- ــــــــــ، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الكريم، السعودية، الرياض، دار طويق.

× رتب الباحث مراجع الدراسة ترتيبا هجائيا مع اعتبار لفظ "ابن" و "أبو" وحذف "ال" التعريف من الاسم.

١١- ــــــــــــــــــــ، (د. ت)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، د. ن.

١٢- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المتوفى عام: "٥٩٧هـ" (د. ت) تحفة الودود بأحكام المولود، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣- ــــــــــــــــــــ (١٣٦٨هـ=١٩٤٨م)، تلبيس إبليس، مصر، القاهرة، المطبعة المنيرية.

١٤- ــــــــــــــــــــ (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد أشرف المليباري، السعودية، المدينة المنورة، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.

١٥- ابن حجر، أحمد بن علي، (١٣٩٨هـ=١٩٧٨م)، الإصابة في تميز الصحابة، لبنان، بيروت، دار الفكر.

١٦- ــــــــــــــــــــ (١٣٨٧هـ=١٩٦٨م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري مصر، القاهرة، البابي الحلبي.

١٧- ابن حنبل، أحمد بن محمد، (١٣٦٨هـ=١٩٤٨)، المسند، لبنان، بيروت، دارالفكر العربي.

١٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (د. ت)، المقدمة "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، مصر، القاهرة، المكتبة التجارية.

١٩- ابن سعد، محمد بن سعد، (١٣٧٧هـ=١٩٥٧م)، الطبقات الكبرى، لبنان، بيروت، دار بيروت وصادر.

٢٠- ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، كتاب السياسة، حققه فؤاد بن عبد المنعم بن أحمد، مصر، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٢١- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٣٩١هـ=١٩٧٢م)، معجم مقاييس اللغة مصر، القاهرة، البابي الحلبي.

٢٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٣٩٧هـ=١٩٧٧م)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد بن محي الدين بن عبد الحميد، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة.

٢٣- ـــــــــــــــ (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لبنان، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

٢٤- ـــــــــــــــ (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٥- ـــــــــــــــ (د. ت)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٦- ابن كثير، اسماعيل بن كثير، (١٣٩٤هـ=١٩٧٥م)، البداية والنهاية ، لبنان، بيروت ، مكتبة المعارف.

٢٧- ابن ماجه، محمد بن يزيد، (د. ت)، السنن ، لبنان، بيروت، دار الفكر.

٢٨- ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (د. ت) السيرة النبوية ، بيروت - لبنان.

٢٩- أبو بكر، عبد الله بن عبد الحي، (١٤١٢هـ=١٩٩٢م)، الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان، أهدافه وآثاره في العقيدة والأخلاق ،السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة و أصول الدين، رسالة دكتوراة غير منشورة.

٣٠- أبو حبيب، سعدي، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، السعودية، جدة، نادي جدة الأدبي الثقافي.

٣١- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (١٣٩٥هـ=١٩٧٥م)، السنن ، سوريا، دمشق، دار الحديث.

٣٢- أبو زنط، عبد المنعم ، (١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، التميز الإسلامي، الكويت، مكتبة السندس.

٣٣- أبيض، ملكة، (١٤٠١هـ=١٩٨٠م)، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيزة لبنان، بيروت، دار العلم للملايين.

٣٤- أحمد، أحمد التهامي، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، نحو استراتيجية تربوية ، السعودية، جدة، مجلة المنهل، العدد ٤٣٦، المجلد ٤٦ ، شهر رمضان.

٣٥- أحمد، لطفي بركات، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، التربية الإسلامية ، مصر، القاهرة، دارالعربي.

٣٦- أحمد، لطفي بركات، (د. ت)، فلسفة عربية تربوية، السعودية، الرياض، دار المريخ.
٣٧- ـــــــــــــ، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، المعجم التربوي، السعودية، الرياض، مكتبة الفرزدق.
٣٨- أحمد، محمد بن عبد القادر، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، استراتيجية التربية العربية لنشر التعليم الأساسي في الدول العربية، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
٣٩- ـــــــــــــ، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، طرق تعليم التربية الإسلامية، لبنان، بيروت، المكتبة الأموية.
٤٠- أرسلان، شكيب، (١٣٤٨هـ=١٩٣٠م)، الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم، سوريا، جريدة الفتح الأسبوعية، العدد ١٥٩، ١٨ ذوالقعدة.
٤١- أسد، محمد، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر ابن فروخ، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين.
٤٢- الأشقر، عمر بن سليمان، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، أسلمة التعليم في ديار المسلمين، الأردن، عمان، دار النفائس.
٤٣- ـــــــــــــ، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، التوحيد محور الحياة، الأردن، عمان، دار النفائس.
٤٤- ـــــــــــــ، (١٤٠٥هـ=١٩٨٤م)، العقيدة في الله، الكويت، مكتبة الفلاح.
٤٥- ـــــــــــــ، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد، الأردن، عمان، دار النفائس.
٤٦- أقلانية، المكي، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى كتاب الأمة: (٣٤)، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
٤٧- الباني، عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي.
٤٨- أملاجه، عبد المؤمن، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، المسألة القومية بين الجاهلية والإسلام، مصر، الأسكندرية، دار الدعوة.

٤٩- أنيس، إبراهيم وآخرون، (د. ت)، المعجم الوسيط، دار الفكر، د. ط.

٥٠- الأهواني، أحمد بن فؤاد، (١٣٨٧هـ=١٩٦٧م)، التربية في الإسلام، مصر، القاهرة، دار المعارف.

٥١- باشميل، أحمد بن محمد، (١٣٧٩هـ=١٩٦٠م)، القومية في نظر الإسلام، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين.

٥٢- البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٣٧٩هـ=١٩٦٠م)، الأدب المفرد، خرج أحاديثه: محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، لبنان، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

٥٣- ــــــــــــــــ، (١٣٧٩هـ=١٩٥٩م)، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد ابن فؤاد بن عبد الباقي، ومحي الدين الخطيب، لبنان، بيروت، دار المعرفة.

٥٤- بخش، خادم حسين إلهي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية، السعودية، مكة المكرمة، دار حراء.

٥٥- بدران، شبل، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، سياسة التعليم في الوطن العربي، مصر، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

٥٦- البدري، عبد العزيز، (١٣٨٤هـ=١٩٦٤م)، حكم الإسلام في الاشتركية، السعودية، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.

٥٧- بدري، محمد بن محمد، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م)، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، السعودية، مكة المكرمة، دار الرسالة.

٥٨- البسام، عبد العزيز، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، استراتيجية تطوير التربية العربية عرض مجمل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلة العربية للتربية، العدد الأول.

٥٩- ــــــــــــــــ، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، ندوات فكرية في إطار استراتيجية تطوير التربية العربية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلة العربية للتربية، العدد الثاني.

٦٠- البستاني، بطرس، (١٣٩٧هـ=١٩٧٧م)، محيط المحيط، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان.

٦١- بشور، منير، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، اتجاهات التربية في البلاد العربية على ضوء

استراتيجية تطوير التربية العربية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٦٢- ــــــــــــ، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م)، التربية العربية التعليم في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، لبنان، بيروت، دار نلسن.

٦٣- بشيه، ناصر بن علي، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، التربية الإسلامية والتحديات في المجال التقني، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة.

٦٤- بن نبي، مالك، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، شروط النهضة، سوريا، دمشق، دار الفكر.

٦٥- ــــــــــــ، (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ليبيا، طرابلس، دار الإنشاء.

٦٦- بو حجام، محمد بن قاسم، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، أهمية النظام التربوي مفهومه وأهدافه، البعث الإسلامي، العدد الأول، المجلد (٣٦) رمضان.

٦٧- البيهقي، أحمد بن الحسين، (١٣٩١هـ=١٩٧١م)، مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد بن صقر، مصر، القاهرة، مكتبة التراث.

٦٨- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، السنن، تحقيق: يوسف الحوتي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٩- التميمي، سمرين، عز الدين، بدر إسماعيل، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، نظرات في التربية الإسلامية، دراسات تربوية، الأردن، عمان، دار البشير.

٧٠- توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم الإسلامي.

٧١- التوم، بشير حاج، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، التربية والمجتمع، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي (٣).

٧٢- ــــــــــــ، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.

٧٣- جابر، كاظم، أحمد خير، جابر عبد الحميد، (١٣٩٨هـ=١٩٧٨م)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار النهضة العربية.

٧٤- الجبالي، محمد، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، منهج التربية الربانية، مجلة الأصالة، العدد ١٥، ١٦، ذو القعدة.

٧٥- جرادات، عزت، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، نظرة في التعليم الابتدائي في الوطن العربي واقعه وتطويره، الأردن رسالة المعلم الأردنية، العدد الثالث، المجلد الواحد والثلاثون، ربيع الأول.

٧٦- الجرجاني، علي بن محمد، (١٣٥٧هـ=١٩٣٨م)، التعريفات، مصر، القاهرة، البابي والحلبي.

٧٧- جريشة، علي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، حاضر العالم الإسلامي، السعودية، جدة، دار المجتمع.

٧٨- ______________، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، نحو نظرية للتربية الإسلامية، ليس بالتكفير والتجهيل تربى الأجيال، مصر، القاهرة، مكتبة وهبة.

٧٩- الجصاص، أحمد بن علي، المتوفى عام: "٣٧٠هـ" (١٣٣٥هـ=١٩١٧م)، أحكام القرآن، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي.

٨٠- جمال، أحمد محمد، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي، مصر، القاهرة، دار الصحوة.

٨١- الجمال، حمد بن صادق، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م)، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، السعودية، الرياض، عالم الكتب.

٨٢- الجندي، أنور، (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)، أخطاء المنهج الغربي الوافد، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

٨٣- ______________، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، إطار إسلامي للفكر المعاصر، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي.

٨٤- ______________ (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مصر، القاهرة، روز اليوسف.

٨٥- ______________، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، التجربة الغربية في بلاد المسلمين،

مصر، القاهرة، دار الاعتصام.

٨٦- ________، (١٣٩٥هـ=١٩٧٥م)، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

٨٧- ________، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصر تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسية، مصر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي.

٨٨- ________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، لبنان، بيروت، دار الجيل.

٨٩- ________، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، الفكر الغربي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٩٠- ________، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، المعاصرة في إطار الأصالة، مصر، القاهرة، دارالصحوة.

٩١- ________، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية، مصر، القاهرة، دار الاعتصام.

٩٢- جنزرلي، رياض بن صالح، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، الأسس التربوية للمناهج التعليمية، السعودية، الرياض، دار الهدى، ضمن سلسلة بحوث نفسية وتربوية (١).

٩٣- جودة، حسن وآخرون، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، المؤامرة على التعليم والمعلم، مصر، المنصورة، دار الوفاء.

٩٤- الحجاجي، حسن بن علي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، الفكر التربوي عند ابن القيم، السعودية، جدة، دار حافظ.

٩٥- حسان، حسن بن محمد، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، التعليم الأساسي بين النظرية والتطبيق، السعودية، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي.

٩٦- حسن، يوسف بن فضل، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، الحركة المهدية والحركة السنوسية، ضمن ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصرة المنعقدة في البحرين، من ٣-٦ جمادي الآخرة، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٩٧- حسنة، عمر بن عبيد، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، فقه الدعوة ملامح وآفاق، قطر، كتاب الأمة (١٨)، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، الجزء الأول، شعبان.

٩٨- الحسني، السيد محمد، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، المنهج الإسلامي، الكويت، دارالقلم.

٩٩- حسين، أبو لبابة، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، التربية في السنة النبوية، السعودية، الرياض، دار اللواء.

١٠٠- حسين، محمد بن محمد، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م)، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية.

١٠١- ________، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، الإسلام والحضارة الغربية، السعودية، مكة المكرمة، دار الرسالة.

١٠٢- ________، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، حصوننا مهددة من داخلها، السعودية، مكة المكرمة، دار الرسالة.

١٠٣- حكيم، محمد بن طاهر، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، هذه حقيقة مجلس الأمن نظرات في مواقفه من قضايا المسلمين، لندن، مجلة البيان، العدد (٦٢) جمادي الآخرة.

١٠٤- حلاوي، محمود، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، التربية عند المسلمين بين الأصالة والتجديد، ضمن مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في لبنان، بيروت، في ...... الجزء.

١٠٥- الحلبي، علي بن حسن بن علي، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م)، التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية، السعودية، الرياض، دار التوحيد.

١٠٦- حمادة، حسين بن عمر، (١٤٠٦هـ=١٩٨٥م)، مناهج التعليم البوليتكنيكي، سوريا، دمشق، دار طلاس.

١٠٧- الحمد، أحمد بن ناصر، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، العقيدة نبع التربية، السعودية، مكة المكرمة، مكتبة التراث.

١٠٨- حمدي، شعيب، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، قطوف تربوية حول قضية جزيج العابد، الكويت، مجلة المجتمع، العدد/ ١٠٧، السنة/ ٢٤، جمادي الأولى.

١٠٩- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، السعودية، مكة المكرمة، دار مكة.

١١٠- الخالدي، محمود، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، الأردن، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة.

١١١- خان، وحيد الدين، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، قضية البعث الإسلامي المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان الندوي، مراجعة: الدكتور عبد الحليم عويس، مصر، القاهرة، دار الصحوة.

١١٢- الخراشي، سليمان بن صالح، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة دراسة إسلامية "سلفية" الكتب ومقالات الدكتور محمد بن عمارة، السعودية، الرياض، دار الجواب.

١١٣- خضر، فخري رشيد، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، تطور الفكر التربوي، السعودية، الرياض، مطابع الجزيرة.

١١٤- الخطابي، عبد العزيز، (١٤١٤هـ)، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

١١٥- خليل، عماد الدين، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، حول إعادة تشكيل العقل المسلم كتاب الأمة (٤)، لبنان، بيروت.

١١٦- ــــــــــــــــ، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، العقل المسلم والرؤية الحضارية، مصر، القاهرة، دار الحرمين.

١١٧- خياط، محمد جميل بن علي، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، النظرية التربوية في الإسلام، دراسة تحليلية، السعودية، مكة المكرمة، مطابع الصفا.

١١٨- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام، (د. ت)، السنن، لبنان، بيروت، دار الفكر.

١١٩- الدامغاني، الحسين بن علي، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز بن سيد الأهدل، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين.

١٢٠- الدمرداش، سرحان، (د. ت)، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش سرحان، مصر، القاهرة، إحياء الكتب العربية.

١٢١- ديوي، جون، (١٣٨٦هـ=١٩٦٦م)، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة: عبد الفتاح ابن جلال، مصر، القاهرة، الدار المصرية.

١٢٢- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ا (د. ت)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، لبنان، بيروت، دار المعرفة.

١٢٣- الراوي، مسارع حسن، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، دراسات حول التربية في البلاد العربية، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية.

١٢٤- الرشيد، محمد بن الأحمد، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م)، نحو أسس استراتيجية للتربية الإسلامية، السعودية، مكة، المؤتمر الإسلامي الأول للدعوة الإسلامية المنعقد من ١٨-٢٢ صفر، رابطة العالم الإسلامي.

١٢٥- الزنتاني، عبد الحميد الصيد، (١٤٠٥هـ=١٩٨٤م)، أسس التربية الإسلامية في النبوية، ليبيا، طرابلس، الدار العربية للكتاب.

١٢٦- الزنيدي، زيد، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م)، العصرانية في حياتنا الاجتماعية، السعودية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد العاشر، جمادي الآخرة.

١٢٧- الزهراني، عبد الله بن أحمد بن عبد الله، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، التوجيه والدوافع نحو التدريب المهني والتعليم الفني بين الأطفال السعوديين، ورقة مقدمة إلى ندوة الطفل والتنمية المنعقدة بوزارة التخطيط، ربيع الأول.

١٢٨- الزهراني، علي بن إبراهيم، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، مبادئ مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النبوية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٢٩- زين، إلياس، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، الوحدة العربية في فلسفة التربية والتعليم وأهدافهما في الأقطار العربية، ضمن كتاب "في التربية العربية"، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٣٠- سابق، سيد، (د. ت)، العقائد الإسلامية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣١- سالم، عطية بن محمد، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، منهج الإسلام في كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين، السعودية، المدينة المنورة، دار التراث.

١٣٢- السباعي، عبد الناصر، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، قراءة في الكتابات التربوية الإسلامية من ابن سحنون إلى ابن خلدون، المغرب، مجلة الهدى، العدد (٢١) جمادي الأولى.

١٣٣- سعادة، إبراهيم، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، الإسلام وتربية الإنسان، الأردن، عمان، مكتبة المنار.

١٣٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، السعودية، الدمام، دار ابن القيم.

١٣٥- سعيد، جودت، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، حتى يغيروا ما بأنفسهم، سوريا، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت.

١٣٦- سلطان، جمال، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، الإسلام ومازق الفكر القومي، مصر، المنصورة، دار الوفاء.

١٣٧- ــــــــــــ، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، الغارة على التراث الإسلامي، مصر، القاهرة، مكتبة السنة.

١٣٨- ــــــــــــ، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، الغزو من الداخل، قراءة في وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السعودية، مجلة "المسلمون"، العدد (٣٤٠)، ٢٩ محرم.

١٣٩- ــــــــــــ، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، الغزو من الداخل، قراءة في وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السعودية، مجلة "المسلمون"، العدد (٣٤١)، ٦ صفر.

١٤٠- ــــــــــــ، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، الغزو من الداخل، قراءة في وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السعودية، مجلة "المسلمون"، العدد (٣٤٢)، ١٣صفر.

١٤١- ــــــــــــ، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، فصول من ثقافة الصحوة، مصر، القاهرة، دارالصفا.

١٤٢- سلطان، محمود السيد، (١٤٠٠هـ=١٩٧٩م)، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، مصر، القاهرة، دار المعارف.

١٤٣- السلمي، محمد بن صامل، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، مصر، المنصورة، دار الوفاء.

١٤٤- السلوم، حمد بن إبراهيم، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، استراتيجية تطوير التربية العربية إلى أين؟، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية.

١٤٥- سليمان، عرفات بن عبد العزيز، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، نظم التعليم في العالم الإسلامي، دراسة تحليلية مقارنة، القاهرة، الأنجلو المصرية.

١٤٦- السمان، محمد بن عبد الله، (د. ت)، مفتريات اليونسكو على الإسلام، مصر، القاهرة، دار الاعتصام.

١٤٧- السماعيلي، محمد بن أمين، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرنين ١٣/١٤هـ، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٤٨- سمعان، وهيب بن إبراهيم، (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)، دراسات في التربية المقارنة، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة.

١٤٩- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (١٣٤١هـ=١٩٢٣م)، الموافقات في أصول الأحكام، مصر، القاهرة، المطبعة السلفية.

١٥٠- الشاماني، سند بن لافي، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ، السعودية، المدينة المنورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٥١- الشبانه، عبد الله، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، السعودية، الرياض، دار طيبة.

١٥٢- شحاتة، حسن، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، التربية الإسلامية أسسها ومناهجها في الوطن العربي، مصر، القاهرة، مركز الكتاب.

١٥٣- شديد، محمد، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، منهج القرآن في التربية، لبنان، بيروت،

مؤسسة الرسالة.

١٥٤- الشريف، أحمد، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، الإسلام على حلبة الصراع، دراسة لأوضاع العالم المعاصرة، السعودية، جدة، دار المجتمع.

١٥٥- الشريف، محمد بن أحمد وآخرون، (١٤٠٠هـ=١٩٧٩م)، استراتيجية تطوير التربية العربية، "تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية"، تونس، "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم".

١٥٦- شعلان، محمد بن سليمان وآخرون، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، اتجاهات في أصول التدريس بمدرسة التعليم الأساسي، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٥٧- شلبي، أحمد، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، جوانب التاريخ والنظم والفلسفة، مصر، القاهرة، النهضة المصرية.

١٥٨- شلتوت، محمود، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، الإسلام عقيدة وشريعة، لبنان، بيروت، دارالشروق.

١٥٩- الشوكاني، محمد بن علي، (١٤٠٠هـ=١٩٧٩م)، أدب الطلب ومنتهى الأرب، اليمن، صنعاء، تحقيق ونشر مركز الدراسات اليمنية.

١٦٠- ــــــــــــــ، (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، مصر، القاهرة، دار النهضة.

١٦١- ــــــــــــــ، (١٣٩٧هـ=١٩٧٦م)، أمناء الشريعة الإسلامية، تحقيق: إبراهيم بن إبراهيم هلال، مصر، القاهرة، دار النهضة.

١٦٢- ــــــــــــــ، (د. ت)، رسالة الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، ضمن الرسائل السلفية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية..

١٦٣- ــــــــــــــ، (د. ت)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لبنان، بيروت، دار المعرفة.

١٦٤- ــــــــــــــ، (١٣٨٩هـ=١٩٦٩م)، قطر الولي، تحقيق: إبراهيم بن إبراهيم هلال، مصر، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

١٦٥- ــــــــــــــ، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لبنان، بيروت، دار الجيل.

١٦٦- الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، (د. ت)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: الدكتور/ السيد الباز العريني، لبنان، بيروت، دار الثقافة.

١٦٧- صابر، محي الدين، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م)، من قضايا الثقافة العربية المعاصرة، لبنان، صيدا، المكتبة العصرية.

١٦٨- ــــــــــــ، (د. ت) ، التغير الحضاري وتنمية المجتمع، لبنان، بصيدا، المكتبة العصرية.

١٦٩- صالح، سعد الدين السبد، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مصر، القاهرة، دار الأرقم.

١٧٠- الصراف، أدهم بن أحمد، (١٤٠٩هـ)، المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي فلسفتها ونظامها وأساليبها ، وثيقة رقم (١).

١٧١- الصواف، محمد بن محمود، (د. ت)، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، د. ن.

١٧٢- الطبري، محمد بن جرير، المتوفى عام: ٣١٠هـ، (١٣٧٣هـ=١٩٥٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

١٧٣- الطنطاوي، علي، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م)، سووا صفوفكم، جريدة الشرق الأوسط، العدد (٩) في ١٠/ ١٢/ ١٩٨٧م.

١٧٤- العاني، طارق وزميله، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، التعليم المهني في الوطن العربي، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٧٥- عبد الجواد، نور الدين، (١٤٠٥هـ=١٩٨٤م)، التجديد التربوي، معاييره ومحاذيره، السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، دراسات تربوية، مجلة كلية التربية، المجلد الأول.

١٧٦- عبد الحميد، محسن، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، قطر، كتاب الأمة (٦)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

١٧٧- عبد الخالق، عبد الرحمن، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي، الكويت، جمعية المعلمين الكويتية، لجنة النشاط الثقافي والبحوث، مطبعة الفيصل.

١٧٨- عبد الخالق، عبد الرحمن، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية، الكويت، الدار السلفية.

١٧٩- عبد الدائم، عبد الله، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٠م، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين.

١٨٠- ــــــــــــــــ، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، السياسات التربوية العربية والاستراتيجيات التربوية العربية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلة العربية للتربية، العدد الأول.

١٨١- عبد العال، حسن بن إبراهيم، (١٤١٤هـ=١٩٩٤م)، هل من سبيل إلى نظرية عربية إسلامية للتربية، السعودية، مكة، رابطة العالم الإسلامي، مجلة التضامن الإسلامي، السنة/ ٤٨، شهر صفر.

١٨٢- عبد الله، عبد الرحمن بن صالح، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، الأردن، عمان، دار البشير.

١٨٣- ــــــــــــــــ، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، مفهوم التربية، باكستان، إسلام آباد، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثاني، مجلد/ ٢٥.

١٨٤- ــــــــــــــــ، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، السعودية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.

١٨٥- عبد الله، فودة، عبد الرحمن بن صالح، حلمي، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، المرشد في كتابة الأبحاث التربوية، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي.

١٨٦- عبد المعطي، يوسف، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، أمة معرضة للخطر، حول حتمية إصلاح التعليم، ترجمة وعرض: د/ يوسف بن عبد المعطي، مصر، القاهرة، دار الصحوة.

١٨٧- ــــــــــــــــ، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م)، التعليم الأساسي في الفكر وتجارب التطبيق، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

١٨٨- ــــــــــــــــ، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، المجلة العربية للتربية، تونس، "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، العدد الأول.

١٨٩- عبد الهادي، لبن، جمال، علي بن أحمد، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، التطوير بين الحقيقة والتضليل، مصر، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

١٩٠- عبد الواحد، مصطفى، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم، قطر، إدارة الشؤون الدينية، رئاسة المحاكم الشرعية.

١٩١- ________، (١٣٩١هـ=١٩٧١م)، نحو نهضة إسلامية، ضمن ندوة المحاضرات بالرابطة، السعودية، مكة المكرمة، شركة مكة.

١٩٢- العبود، صالح بن عبد الله، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، السعودية، الرياض، دار طيبة.

١٩٣- عبود، عبد الغني، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، الأيديولوجيا والتربية، مدخل لدراسة التربية المقارنة، مصر، القاهرة، دار الفكر.

١٩٤- ________، (١٣٩٧هـ=١٩٧٧م)، في التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، دارالفكر العربي.

١٩٥- ________، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، نحو فلسفة عربية للتربية، مصر، القاهرة، دارالفكر العربي.

١٩٦- العبيدي، غانم بن سعيد، (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م)، التربية والتعليم في المجتمع العربي، ضمن كتاب "دراسات في المجتمع العربي، اتحاد الجامعات العربية، الأردن، عمان.

١٩٧- عثمان، علي بن عيسى، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية واستبداله بنظام إسلامي، مجلة الفكر العربي، العدد/ ٢١، السنة/ ٣.

١٩٨- العدوي، إبراهيم بن أحمد، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه الحاضر، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، ١٣٩٧هـ.

١٩٩- عزام، عبد الله، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، اليمن، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد.

٢٠٠- العزب، محمد بن أحمد، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، حول مصطلح الإنسان في القرآن، قطر، مجلة الأمة، العدد التاسع، السنة الأولى، رمضان.

٢٠١- العسال، أحمد بن محمد، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، الإسلام والتقنية الحديثة، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج، العدد الثالث عشر، السنة الرابعة.

٢٠٢- عفيفي و أحمد، محمد الهادي، سعد مرسي، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، قراءات في التربية المعاصرة، مصر، القاهرة، عالم الكتب.

٢٠٣- العقل، ناصر بن عبد الكريم، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، السعودية، الرياض، دار المسلم.

٢٠٤- علوان، عبد الله بن ناصح، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، القومية في ميزان الإسلام، مصر، القاهرة، دار السلام.

٢٠٥- علي، سعيد بن إسماعيل، (١٣٩٥هـ=١٩٧٥م)، أصول التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، عالم الكتب.

٢٠٦- ــــــــــــ، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، دراسات في التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، عالم الكتب.

٢٠٧- العليان، حمد بن بكر، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، التربية والتعليم في الدول الإسلامية خلال القرن الرابع عشر، مصر، القاهرة، دار الأنصار.

٢٠٨- العلياني، علي بن نفيع، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، السعودية، الرياض، دار طيبة.

٢٠٩- عمارة، محمد، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، الشورى والديمقراطية في الإسلام، السعودية، جدة، مجلة المنهل، العدد/ ٥٠٩.

٢١٠- العمري، أكرم بن ضياء العمري، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، التراث والمعاصرة، قطر، كتاب الأمة (١٠)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

٢١١- ــــــــــــ، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، التعليم في عصر السيرة والراشدين، ضمن التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، الجزء الأول، الأردن، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

٢١٢- عميرة، عبد الرحمن، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، منهج القرآن في تربية الرجال، السعودية، جدة، عكاظ.

٢١٣- العودة، سلمان بن فهد، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، من وسائل دفع الغربة، السعودية، الدمام، دار ابن الجوزي.

٢١٤- عيسى، محمد بن عبد الحميد، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، تاريخ التعليم في الأندلس، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

٢١٥- الغامدي، أحمد بن سعيد، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها، السعودية، الرياض، مطبعة سفير.

٢١٦- الغزالي، محمد (١٣٩٧هـ=١٩٧٦م)، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، مصر، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

٢١٧- ______________، (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، مصر، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

٢١٨- ______________، (١٣٨٧هـ=١٩٦٨م)، إحياء علوم الدين، مصر، القاهرة، الحلبي.

٢١٩- ______________، أيها الولد، تحقيق: علي بن محي الدين بن علي قرة داغي، لبنان، بيروت، دار البشائر.

٢٢٠- ______________، (١٣٨٤هـ=١٩٦٤م)، ميزان العمل، مصر، القاهرة، دار المعارف.

٢٢١- الغضبان، منير بن محمد، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، من معين التربية الإسلامية، الأردن، عمان، دار المنار.

٢٢٢- ______________، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، المنهج التربوي للسيرة النبوية - التربية الجهادية -، مصر، المنصورة، دار الوفاء.

٢٢٣- ______________، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، المنهج الحركي للسيرة النبوية، الأردن، عمان، دار المنار.

٢٢٤- فائز، أحمد، (١٤٠١هـ=١٩٨١م)، طريق الدعوة في ظلال القرآن، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٢٥- الفاروقي، راجي بن إسماعيل، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبدالوارث سعيد، الكويت، دارالبحوث العلمية.

٢٢٦- فرحان، إسحاق، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، الأردن، عمان، دار الفرقان.

٢٢٧- ________ وآخرون، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، سلسلة الدراسات والبحوث الإسلامية، (التربية - ١)، الأردن، عمان.

٢٢٨- فور، إيدجار، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، تعلم لتكون، ترجمة: حنفي بن عيسى، الجزائر، الشركة الوطنية.

٢٢٩- القاضي، علي، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، المفاهيم الأساسية في التربية الإسلامية، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، المنعقد من ٨-١٣ رجب، مصر، القاهرة، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالقاهرة.

٢٣٠- القحطاني، محمد بن سعيد، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، الولاء والبراء في الإسلام، السعودية، مكة المكرمة، دار طيبة.

٢٣١- القرضاوي، يوسف، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مصر، القاهرة، مكتبة وهبة.

٢٣٢- ________، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، الإيمان والحياة، مصر، القاهرة، مكتبة وهبة.

٢٣٣- ________، (١٤١٢هـ=١٩٩١)، أين الخلل؟، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٣٤- ________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، الخصائص العامة للإسلام، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٣٥- ________، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، السعودية، الطائف، مكتبة المؤيد.

٢٣٦- القصار، محمد بن عمر، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، المنهج الإسلامي في تعليم

العلوم الطبيعية، السعودية، سلسلة دعوة الحق، العدد (٣٠)، السنة (٣) مكة المكرمة، مطبعة رابطة العالم الإسلامي.

٢٣٧- قطب، سيد، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، مصر، القاهرة، دار الشروق.

٢٣٨- ________، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، دراسات إسلامية، مصر، القاهرة، دار الشروق.

٢٣٩- ________، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، دراسات قرآنية، لبنان، بيروت، دارالشروق.

٢٤٠- ________، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، العدالة الاجتماعية في الإسلام، لبنان، بيروت، دار الشروق.

٢٤١- ________، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، في ظلال القرآن، لبنان، بيروت، دارالشروق.

٢٤٢- ________، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، معالم في الطريق، السعودية، جدة، دار الشروق.

٢٤٣- ________، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، نحو مجتمع إسلامي، السعودية، جدة، دارالشروق.

٢٤٤- ________، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، هذا الدين، لبنان، بيروت، دارالشروق.

٢٤٥- قطب، محمد، (١٤١٢هـ=١٩٩١م)، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، السعودية، الرياض، دار الوطن العربي.

٢٤٦- ________، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، العلمانيون والإسلام، السعودية، الرياض، دارالوطن.

٢٤٧- ________، (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)، دراسات في النفس الإنسانية، مصر، القاهرة، دار الشروق.

٢٤٨- ــــــــــــــــ، (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م)، دور الدين في التربية، سلسلة التعليم الإسلامي، السعودية، جدة، دار عكاظ للنشر.

٢٤٩- ــــــــــــــــ، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، مذاهب فكرية معاصرة ،السعودية، جدة، دار الشروق.

٢٥٠- ــــــــــــــــ، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، منهج التربية الإسلامية، لبنان، بيروت، دارالشروق.

٢٥١- ــــــــــــــــ، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، واقعنا المعاصر، السعودية، جدة، مؤسسة المدينة.

٢٥٢- قمبر، محمود، (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، استراتيجيات الإصلاح التربوي في الوطن العربي ووسائل تحقيقها، ضمن كتاب في التربية العربية، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٥٣- كاريل، الكسيس، (د. ت)، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق بن أسعد بن فريد، لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف.

٢٥٤- كامل، عبد العزيز، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م)، نعم قامت الجامعة العربية بدورها، لندن، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد/ ٨٩، شهر محرم.

٢٥٥- الكتاني، عبد الحي، (د. ت)، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، د. ن، د. ط.

٢٥٦- الكردي، راجح، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، الاتجاه السلفي بين التأصيل والمواجهة، ضمن ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، المنعقدة في البحرين، مابين ٣-٦ جمادي الآخرة، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي.

٢٥٧- كوبلاند، مايلز، (١٣٩٠هـ=١٩٧٠م)، لعبة الأمم، ترجمة مروان، لبنان، بيروت، د. ن.

٢٥٨- الكيلاني، إبراهيم بن زيد، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة، ضمن ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، المنعقدة في البحرين، من ٣-٦ جمادي الآخرة، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٥٩- الكيلاني، ماجد بن عرسان، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، أهداف التربية الإسلامية، السعودية، المدينة المنورة، دار التراث.

٢٦٠- ______________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، السعودية، المدينة المنورة، مكتبة التراث.

٢٦١- ______________، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، السعودية، جدة، الدار السعودية.

٢٦٢- ______________، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، الفكر التربوي عند ابن تيمية، السعودية، المدينة المنورة، مكتبة التراث.

٢٦٣- ______________، (١٤١١هـ=١٩٩١م)، مقومات إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، كتاب الأمة (. .)، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

٢٦٤- ______________، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، قطر، كتاب الأمة (٢٩)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

٢٦٥- ______________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي وهكذا عادت القدس، السعودية، جدة، الدار السعودية.

٢٦٦- مالك، مالك بن أنس، (١٣٧٠هـ=١٩٥١م)، الموطأ، تحقيق: محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، مصر، القاهرة، إحياء الكتب العربية.

٢٦٧- ما هو سبب تخلف المسلمين وضعفهم؟، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، أسباب الضعف والتخلف وطرق علاجها، د. ن، د. م.

٢٦٨- الماوردي، علي بن محمد، (١٣٧٥هـ=١٩٥٥م)، أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه: مصطفى السقا، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية،

٢٦٩- المبارك، محمد، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، سوريا، دمشق، دار الفكر.

٢٧٠- ______________، (١٣٩٥هـ=١٩٧٥م)، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، لبنان، بيروت، دار الفكر.

٢٧١- مجلة العربي الكويتية، (١٣٨٧هـ=١٩٦٧م)، تعريف الأقمية ، الكويت، العدد/ ١٠٣، شهر صفر.

٢٧٢- مجلة المجتمع الكويتية، (١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، التغيير والهدم في مناهج التعليم، شهر جمادي الأولى.

٢٧٣- محمود، علي بن عبد الحليم، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، الغزو الفكري وأثره في المجتمع، الكويت.

٢٧٤- ـــــــــــ، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة، مصر، القاهرة، مطبوعات دار الشعب.

٢٧٥- مدخلي، ربيع بن هادي، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، الكتاب والسنة أثرهما ومكانتهما والضرورة إليهما في إقامة التعليم في مدارسنا، السعودية، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (٦٢)، السنة (١٦).

٢٧٦- مدكور، علي بن أحمد، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، منهج التربية في التصور الإسلامي، لبنان، بيروت، دار النهضة.

٢٧٧- مدني، عباسي، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد العربية، دراسة ابستمولوجيه للمعرفة التربوية، السعودية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٧٨- ـــــــــــ، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، السعودية، مكة المكرمة، مكتبة المنارة.

٢٧٩- المرزوقي، آمال بنت حمزة، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، السعودية، جدة، تهامة.

٢٨٠- مرسي، محمد عبد العليم، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، السعودية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة من ينابيع الثقافة، (١٩).

٢٨١- مرسي، محمد بن منير، (١٣٩٧هـ=١٩٧٧م)، أصول التربية الثقافية والفلسفية، مصر، القاهرة، عالم الكتب.

٢٨٢- ـــــــــــ، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م)، التعليم العام في البلاد العربية، دراسة مقارنة، مصر، القاهرة، عالم الكتب.

٢٨٣- مسلم، ابن الحجاج القشري، (١٣٧٥هـ=١٩٥٥م)، الصحيح، تحقيق: محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، لبنان، بيروت، دار المعرفة.

٢٨٤- المسند، عبد العزيز، (١٣٨٧هـ=١٩٦٨م)، وحدة الأمة الإسلامية وعلاقتها بوحدة التعليم، ضمن ندوة المحاضرات، السعودية، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي.

٢٨٥- المصري، جميل بن عبد الله، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، الأردن، عمان، دار أم القرى.

٢٨٦- المصري، محمد بن أمين، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، المجتمع الإسلامي، الكويت، دارالأرقم.

٢٨٧- المصري، محمد عبد الهادي، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، معالم الانطلاقة الكبرى، السعودية، الرياض، دار طيبة.

٢٨٨- مصلح، أحمد بن منير، (١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)، نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي، السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شئون المكتبات.

٢٨٩- مقبل، صالح بن محمد، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية، لبنان، بيروت، دار الجيل.

٢٩٠- من أوراق مجلة "المرابطون" (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، تدمير وثن القومين، باكستان، بيشاور، دار الفتح.

٢٩١- المنتدى الإسلامي، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م)، التجديد في الإسلام، السعودية، الرياض، دار الهدى، الجزء الأول.

٢٩٢- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، قطر، إدارة إحياء التراث الإسلامي.

٢٩٣- منصور، فاروق، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، المنهج النبوي أساسيات التربية والتعليم، قطر، مجلة التربية، العدد (٨١)، السنة ( ) رجب.

٢٩٤- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ت)، تعريف بالمنظمة وبدايتها وغايتها وأعضاؤها وهيكلها ومصادر تمويلها وانجازاتها.

٢٩٥- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (١٩٧٠-١٩٨٧م)، تعريف بالمنظمة وانجازاتها، تونس، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٢٩٦- المودودي، أبو الأعلى، (د. ت)، دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي، الكويت، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، مطبعة الفيصل.

٢٩٧- ________، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي.

٢٩٨- ________، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، نحن والحضارة الغربية، السعودية، جدة، الدار السعودية.

٢٩٩- ________، (١٣٨٧هـ=١٩٦٨م)، نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور، لبنان، بيروت، دار الفكر.

٣٠٠- الموسوعة العربية الميسرة، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، لبنان، بيروت، دار النهضة.

٣٠١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، السعودية، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٣٠٢- الميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، أجنحة المكر الثلاثة.، سوريا، دمشق دار القلم.

٣٠٣- ________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، غزو في الصميم، سوريا، دمشق، دار القلم.

٣٠٤- ________، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥)، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، سوريا، دمشق، دار القلم.

٣٠٥- النجار، زغلول بن راغب، (١٤٠٠هـ=١٩٨٠م)، أزمة التعليم المعاصر، الكويت، مكتبة الفلاح.

٣٠٦- ________، (١٤٠٩هـ=١٩٨٨م)، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، قطر، كتاب الأمة (٢٠)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

٣٠٧- نجيب، منير بن محمد، (١٤٠٣هـ=١٩٨٢م)، الحركات القومية الحديثة في ميزان

الإسلام، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار.

٣٠٨- النحلاوي، عبد الرحمن، (١٣٩٩هـ=١٩٧٩م)، التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، سوريا، دمشق، دار الفكر.

٣٠٩- ______، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، سوريا، دمشق، المكتب الإسلامي.

٣١٠- النحوي، عدنان بن علي، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، الشورى لا الديمقراطية، السعودية، الرياض، دار النحوي.

٣١١- ______، (١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، السعودية، الرياض، دار النحوي.

٣١٢- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، (١٣٨٨هـ=١٩٦٨م)، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الكويت، الدار الكويتية.

٣١٣- ______، (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)، العرب والإسلام، السعودية، مكتبة المنارة.

٣١٤- ______، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مصر، القاهرة، دار الأنصار.

٣١٥- ______، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، السعودية، جدة، دار المجتمع.

٣١٦- ______، (١٣٩٦هـ=١٩٧٦م)، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، مصر، القاهرة، المختار الإسلامي.

٣١٧- النشمي، عجيل بن جاسم، (١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، طريق البناء التربوي، الكويت، دارالدعوة.

٣١٨- نصحي، فؤاد وآخرون، (١٤٠٩هـ=١٩٨٨م)، دور الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تطوير التربية بالوطن العربي، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٣١٩- النقيب، عبد الرحمن بن عبد الرحمن، (١٤٠٤هـ=١٩٨٣م)، بحوث في التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، "الكتاب الأول".

٣٢٠- ــــــــــــــــ، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م)، بحوث في التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، "الكتاب الثاني".

٣٢١- ــــــــــــــــ، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م)، بحوث في التربية الإسلامية، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، "الكتاب الخامس".

٣٢٢- ــــــــــــــــ، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، التربية الإسلامية، رسالة ومسيرة، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

٣٢٣- النووي، يحيى بن شرف الدين، المتوفى عام: "٦٧٦هـ" (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م)، صحيح مسلم بشرح النووي، مصر، القاهرة، المطبعة المصرية.

٣٢٤- الهاشمي، عبد الحميد، (١٣٩١هـ)، التعليم بين وحدته واختلافه، من محاضرات وزارة الحج والأوقات بالمملكة العربية السعودية، المطبوعة بعنوان: "العوامل التي تنخر في الكيان الإسلامي"، رابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة.

٣٢٥- ياسين، عبد الله، (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، التربية الإسلامية في ظلال القرآن، دراسات حركية، الأردن، عمان، دار الأرقم.

٣٢٦- يا لجن، مقداد، (١٤٠٦هـ=١٩٨٦م)، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، السعودية، الرياض، مطابع القصيم.

٣٢٧- يا لجن، مقداد، (١٤١١هـ=١٩٩٠م)، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، السعودية، الرياض، دار عالم الكتب.

٣٢٨- اليسوعي، لويس معلوف، (د. ت)، المنجد في اللغة والأدب والأعلام، لبنان، بيروت، دار الشروق.

٣٢٩- يوسف، عبد القادر، (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م)، حول النظرية العربية في التربية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلة العربية للتربية، العدد الأول، السنة الثانية، شهر يناير.

٣٣٠- ــــــــــــــــ، (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، نقد التعليم العربي المعاصر، الكويت، مجلة البيان، العدد (٢٣٤)، شهر ذي الحجة.